الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان–

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم العلوم الإسلامية

جُهُوْدُ عُلَمَاء مَنْطِقَة تَوَات في الدَّرس اللُّغوي والقُرآني

من القرن الثاني عشر حتى القرن الرابع عشر للهجرة

أطروحة مُقدّمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في العلوم الإسلامية

تخصّص: اللّغة والدّراسات القرآنية.

إعداد الطالب:

عبـــــاس بن شيخ

إشراف الأستاذة الدكتورة:

كريمـــــــة بولخراص

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د. ماحي قندوز	أستاذ	جامعة تلمسان	رئيساً
أ.د كريمة بولخراص	أستاذ	جامعة وهران01	مشرفاً ومقرراً
د. بلخير مراد	أستاذ محاضر قسم أ	جامعة تلمسان	عضواً ممتحنا
د. باي بن زيد	أستاذ محاضر قسم أ	جامعة تلمسان	عضواً ممتحناً
أ.د. خيرة سرير حاج	أستاذ	جامعة وهران01	عضواً ممتحناً
أ.د. بوسيف مختارية	أستاذ	جامعة سيدي بلعباس	عضواً ممتحناً

السنة الجامعية: 1444–1445هـ/2022–2023م

بسم الله الرحمن الرحيم

إهْـدَاء

إلى روح والدي الطّاهرة تغمّده الله برحمته الواسعة.

إلى والدتي الكريمة عرفاناً بالجميل... وإسداءً لبعض مالها عليّ من الفضل العظيم

أسال الله أن يُبارك في حياتها.

إلى زوجي الكريمة الفاضلة.. إلى ابنتي ميسون؛ نبض الفؤاد.. إلى ابنتي أميمة سناء؛ فداء العيون..

وإلى إبني أحمد حسن؛ أحمد بيقة، الذين تحمّلوا حالات الانشغال عنهم طيلة فترة انجاز البحث.

إلى أشقائي وشقيقاتي؛ الذين كانوا عوني وأزري وقُدوتي؛ فَيمِينُهُم كانت عليَّ اليد الطولى؛

اعتزازاً... ووفاءً... وتقديراً... وافتخاراً.

شُكْرٌ وتَقْدِير

الحمد لله حمداً كثيراً طيّباً مباركاً يليق بجلال وجهه وعظيم سُلطانه، نشكره في الأولى والآخرة على أن وفّقني لاتمام هذا العمل المتواضع.

يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: « مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ » . رواه أبو داود (1672).

وبعد:

لايفوتني في هذا المقام إلاّ أن أتقدّم بالشكر الجزيل والأمتنان لأُستاذتي المشرفة **الأستاذة الدكتورة بوخراص كريمة؛** شكراً وافياً تبجيلا. لها الشكر وفاءً على الصبر والتوجيه دائماً موصولا، ولها الدعاء ببسطةِ علمٍ تنال بها قبولا.

ولمن ربَّاني وعلّمني من الكُتَّاب إلى الجامعة، شيوخاً ومعلّمين وأساتذة، ربِّ فاجْز بالجميل جميلا.

والشكر للقائمين على خزائن التراث والمخطوطات والزوايا بالدّيار التواتية حفظاً وتعليماً؛ على العون وللخير دليلا.

...إلى من تحمّل همَّ هذا البحث حُباً وعَوناً لي وثقة بي، ربّ كن بجزائهم كفيلا. أخص ذكراً **ا.د. بوسليم صالح** على حرصه وتوجيهه وتصويبه؛ فاجعلها رب في ميزانه تثقيلا.

إلى كل هؤلاء جميعا أهدي هذا العمل العلمي المتواضع وأحتسب ثوابه عند الله لي ولهم أجراً جزيلا.

الطالب الباحث: ....

بن شيخ عباس بن احمد

مُقَدِّمَـــــــة

الحمـد لله ربّ العـالمين والصـلاة والسّـلام علـى المبعـوث رحمـة للنـاس أجمعـين، وعلـى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

كانـت العنايـة بالقـرآن الكـريم وخدمتـه ودفـع اللحـن عنـه الـدافع الأول لنشـأة الـدرس اللغـوي، فاسـتمد أصـوله منـه، ومـن أجلـه وضـعت قوانينـه، ومنهـا ظلـت علاقـة التـأثير والتـأثر بـين الـدرس اللغـوي والـدرس القـرآني قائمـة تاريخيـاً إلى يـوم أن يـرث الله الأرض ومن عليها.

وعلـى الـرغم مـن أن الـدرس اللغـوي في بـدء أمـره ترعـرع في كنـف القـرآن الكـريم إلَّا أن تأثيره ومكانتـه في العلـوم المسـتمدة مـن القـرآن كـان جليـاً وواضـحاً، إذ خـدمت علـوم اللغـة مـن صـرف ومعجميـة التفسـير، وخـدم النحـو لغـة القـرآن بأن أشـاح عنهـا اللحـن، وخـدمت البلاغـة القـرآن مـن جهـة إعجـازه، وخـدم علـم الأصـوات الأداء القـرآني والتجويد والقراءات.

إن عطـاء علمـاء الإسـلام لم يتوقـف منـذ أن فتحـوا أعيـنهم علـى القـرآن دراسـة وتحلـيلا وتفسـيرا، فكـان لعلمـاء كـل عصـر بصـمتهم وأثـرهم في خدمـة الـدرس اللغـوي والقـرآني، ويطلعنـا الـتراث الإسـلامي علـى جملـة مـن تلـك الجهـود المتمثلـة تارة فيمـا نـراه ونشـاهده مـن دور علـم ومكتبـات ومـدارس، وتارة أخـرى فيمـا نقـرأه مـن سـير أعـلام أفنـوا ثمـرة علمهـم تعلمـاً وتعليمـاً، وأخـرى فيمـا نقـرأه مـن مؤلفـات تعمـر المكتبـة الإسـلامية في شتى فنون العلم.

لقـد كـان الفـتح الإسـلامي للمغـرب نافـذة أطـل مـن خلالهـا علمـاء المغـرب علـى تاريـخ الـدرس اللغـوي والقـرآني فكانـت لهـم أيضـا بصـمتهم وأثـرهم في خدمـة القـرآن

ولغتـه، والتـاريخ يشـهد لهـم بمـا بنـو مـن مؤسسـات تعليميـة لا يظـل بعضـا قائمـاً إلى عهـدنا، ويشـهد لهـم بمـا أقـاموا مـن جهـود في التعلـيم والتـاليف والتـدوين، وقـد انخـرط علمـاء الجزائـر في هـذا المسـعى شـأهم شـأن باقـي علمـاء المغـرب الإسـلامي، نـذكر مـنهم علـى التمثيـل لا الحصـر: الشـيخ أبـو العبـاس المقـرئ الباغـاني(401 هـ) وجهـوده في تفسـير القـرآن الكـريم، وابـن الأشـيري التلمسـاني (569هـ)ونبوغـه في القـراءات، والمصعصع البجائي (882هـ) وما خدم به التفسير، والمغيلي (909هـ) وغيرهم كثر.

إن الحـديث عـن الدّراسـات اللّغويـة والقرآنيـة بالجزائـر عامـة وفي منطقـة تـوات خاصّـة، لمـن شـأنه أن يـؤجّج المشـاعر، ويبعـث علـى تحريـك الهمـم، ويـدعو إلى تـرابط الصّـلات وتجديـد العهـود، ويُـذكّر الخلـف برسـالة السّـلف؛ علمـاً أن بـلاد الجزائـر قـد عُرفـت عـبر تاريخهـا الطويـل ومجـدها العريـق بخدمـة كتـاب الله عـزّ وجـل وسُـنة رسـوله صـلى الله عليـه وسـلم، وكـان لهـا كبـيرُ الأثـر في الـذّب عـن الشـريعة الإسـلامية، والتعهّـد بحمـل رايتهـا، حيـث طفحـت العديـد مـن حواضـرها العلميـة بـدور العلـم ومجـالس الـدّرس مـن كتاتيـب ومساجد وجوامع وزوايا وخزائن علمية زاخرة.

وقـد عَرِفـت منطقـة تـوات بالجنـوب الغـربي الجزائـري خـلال العصـر الحـديث نهضـةً علميـةً وثقافيـةً كبـيرةً؛ بفضـل تلـك المراكـز العلميـة الـتي انتشـرت في أرجائهـا، والـتي سـاهمت أيمـا مسـاهمة في نشـر العلـم والمعرفـة في أنحـاء منطقـة تـوات وخارجهـا، وبهـذ وجـب تسـليط الضـوء علـى أحـد أهـم الجوانـب الفكريـة العلميـة الـتي أثْـرت السـاحة العلميـة في منطقة توات وخارجها.

لقـد تمظهـرت الحركـة العلميـة بتـوات فـترة الدراسـة بإنشـاء المركـز التعليميـة والمؤسّسـات الثقافيـة وتخصـيص أوقـاف لتمويلهـا، وإنشـاء خـزائن كتـب وتزويـدها بالمؤلفـات

والمصـنّفات. ولم يكتـف بعضـهم بمـا حصّـل مـن الإجـازة في بلـده، بـل سـافروا طلبـا للاستزادة من طلب العلم في شتى حواضر العالم الإسلامي.

وانطلاقـاً مـن تلـك المعطيـات؛ جـاء موضـوع هـذه الأطروحـة الموسـوم بـ:" **جهـود علمـاء منطقـة تـوات في الـدّرس اللغـوي والقـرآني مـن القـرن الثـاني عشـر حـتى القرن الرابع عشر للهجرة**".

ولـيس ثمـة شـك بأن لمشـايخ منطقـة تـوات جهـوداً كبـيرةً ودروسـاً قيّمـةً مثّلـت ثمـرة مـن ثمـرات مـا تحقّـق في حقـل المعرفـة، وأبـرزت قـدرتهم العلميـة وعنـايتهم الفائقـة بالـدّرس اللغـوي والقـرآني دراسـةً وتدريسـاً وتأليفـاً، ممـا يؤكّـد حرصـهم علـى تعميـق اللغـة العربيـة؛ لغة القرآن في فكر وعقول الأجيال المتلاحقة.

وهـذه الجهـود علـى أهميتهـا لم تحـظ بالعنايـة الكاملـة، وظلّـت متنـاثرة ومشـتّتة بـين ثنـايا خـزائن مخطوطـات المنطقـة وغيرهـا، ولم يكتـب لهـا أن تـرى النـور؛ أو لم يبلـغ صـيتها الحـدود؛ فضـلاً عـن ضـياعها بفعـل عـاديات الزمـان، فعزمـت بعـد مشـورة إلى التعريـف بإسـهامات علمائنـا الأفاضـل في الوقـت الـذي عـزّ التـأليف فيـه؛ وفي ظـروف كظـروفهم من بُعد مسافة وقلّة حيلة وانعدام أداة أو ندرتها.

- **أهمية الموضوع:**

ولعـل مـا يزيـد مـن أهميـة هـذا البحـث؛ إمكـان إدراجـه ضـمن البحـوث البيبليوغرافيـة الـتي تـذلل الصـعوبات أمـام البـاحثين وتُسـهل علـيهم التعـرف علـى علمـاء تلـك الحقبـة وعلـى أعمـالهم ومجـالات اهتمـامهم، كمـا يعطـى صـورة للمنـاهج الـتي اتبعوهـا وسـاروا عليهـا لتحقيـق أهـدافهم العلميـة والتربويـة، كمـا توقفنـا علـى أدوارهـم البـارزة والفاعلـة في شتى النواحي؛ خصوصاً العلمية منها.

ويستمد هذا البحث قيمته وأهميته أيضاً من تاريخيته التي تلقي إطلالة على حقبة زمنية من تاريخ الجزائر الثقافي، تلك الفترة التي عرفت نهضة علمية كان لها كبير الأثر في مدّ جسور التواصل بين أقطار المغرب الإسلامي من شرقه إلى غربه ومن شماله إلى جنوبه، وتَفتح نافذة مطلة على منطقة تعتزّ بانتمائها الحضاري الإسلامي العريق.

وهو بحث يرسُم في إجمال الجهود الحصيبة لعلماء توات في الدّرس اللغوي والقُرآني، فيما يدور حول القرآن من علوم وطرق تدريس ومناهج تعليم ومقررات وفيما يتعلق باللغة العربية؛ تعليماً وتدريساً وتأليفاً، يرصد جهودهم المادية واللاّمادية التي كانت نابعة من إرادتهم القوية وعزيمتهم الوقادة، وقبل ذلك حرصهم الشديد على القرآن ولغته.

كما يلفت البحث إلى روح الانفتاح الثقافي لدى علماء توات التي جعلتهم يؤثِّرون ويتأثَّرون بما حولهم من فواعل ثقافية صقلت نبوغهم وأثْرت معارفهم وأعلت مكانتهم العلمية؛ فأبتدعوا وأبدعوا وأسّسوا قواعد لا تزال الحركة العلمية تقوم عليها إلى الآن برغم ما عرفه المجتمع التواتي من تطور في مؤسّساته التعلمية.

ولقد كان لعلماء توات جهودٌ كبيرةٌ في خدمة كتاب الله تعالى قراءةً ورسمًا وضبطًا وتفسيرًا، والذي يحتاج إلى أن يُسَلَّط عليه الضوء، وتُلْفَتُ إليه الأنظار؛ حيث خفي كثيرٌ من هؤلاء الأعلام على كثيرٍ من الباحثين، ولم تُولَ جهودهم قدرها الذي تستحقه من العناية والتحليل والدراسة.

- **أسباب ودواعي اختيار الموضوع:**

لقد اخترت هذا الموضوع لأسباب متعدّدة؛ منها الذاتية، ومنها الموضوعية، فهي تشكّل في مجموعها دواعي اختياري لموضوع هذا البحث:

أما الأسباب الذاتية: فتعود إلى ما يأتي:

- انتمـائي لمنطقـة تـوات وتعلّقـي بعلمائهـا ومشـايخها، وإن مـن بـر العلمـاء إكرامهم وذكر محاسنهم وإبراز مآثرهم من بعدهم.
- لعلّ مما دفعني ابتدأ إلى اختيار الموضوع والبحث فيه ما أشار به عليّ بعض الأساتذة ممن جالستهم وخالطتهم، ويقال من جالس العطر فاح بعطره، فرغم ما كان يخالجني من مواصلة البحث في موضوع الماجستير؛ فقد لاقى اقتراح أستاذي في التاريخ أ.د. بوسليم صالح: مدير مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية بجامعة غرداية: رغبةً وقبولاً لارتباطه بتاريخ منطقة أعتز بالانتماء إليها ولارتباطه ثانياً بمجال بحثي، وهو اللّغة والدراسات القرآنية؛ فكان العزم على المضي في الموضوع وبحثة بعد تعديلٍ على ما اقترح.
- تولّدت لدى الباحث الرغبة الشخصية في خدمة التراث المخطوط في منطقة توات الذي يعبر عن تنوع وثراء الموروث الجزائري؛ مما ساعد في إزكاء روح البحث في الموضوع.

وأما الأسباب الموضوعية؛ فتتمثل فيما يأتي:

- لم يأخذ علماؤنا – أي علماء توات –حقهم منا، وما لهم علينا من واجب الكتابة والتأليف، بما يناسب مقامهم، ويليق بمكانتهم، وبما تميّزوا به من تفوق في العلوم، واجتهادات فقهية، وبضاعة فكرية تخدم الدين، والوطن، والأمة الإسلامية، كل في اختصاصه.
- إن ضياع العديد من المخطوطات؛ بسبب العوامل الطبيعية والبشرية، والذي أدّى إلى ضياع تاريخ حقب زمنية وضياع جهود علمية كان يمكن

للأجيـال الاسـتفادة منهـا؛ لا شـك محـرك لهمـم البـاحثين للتوجّـه إلى حفـظ ذلـك الإرث الحضـاري التـاريخي مـن خـلال دراسـته دراسـات أكاديميـة يمكـن أن تفـتح لـه باب العالميـة، وهـو داع ينضـاف إلى مـا سـبق في تـوجهي نحـو البحث.

كل تلك الدواعي والأسباب كانت محركاً للبحث للوصول إلى أهدافه المبتغاة.

- **إشكالية الدراسة:**

عرفـت لفـترة الممتـدة بـين القـرن الثـاني عشـر حـتى القـرن الربـع عشـر للهجـرة في تـوات نشـاطاً علميـاً كبـيراً، تبلـور فيمـا عرفتـه الحركـة الثقافيـة مـن مؤسّسـات تعليميـة ومراكـز علميـة، ومهَّـد لـه العـدد الكبـير مـن العلمـاء الـذين زاروا المنطقـة قبـل القـرن الثـاني عشـر، مـن أمثـال الشـيخ مـولاي سـليمان بـن علـي (ت.670هـ)، والشـيخ عبـد الله بـن أبي بكـر العصـنوني (ت.927هـ)، والشـيخ محمـد بـن عبـد الكـريم المغيلـي(ت. 909هـ) وغـيرهم، مـن الـذين كـان تواجـدهم باعثـاً علـى ازدهـار الحركـة الفكريـة والثقافيـة بالإقلـيم، كمـا شـكّلت الـرحلات العلميـة والحجازيـة فرصـة للاسـتزادة في طلـب العلـم والتبحـر في مختلـف العلـوم الدينيـة، سـواء في حواضـر المغـرب أو المشـرق الإسـلاميين، أو في حواضـر بـلاد السودان الغربي.

مـن ذلـك يمكـن لدراسـتنا أن تنطلـق مـن إشـكالية رئيسـة، وهـي: فـيم تكمـن جهـود علمـاء ومشـايخ منطقـة تـوات في الـدَّرس اللُّغـوي والقُـرآني خـلال الفـترة الممتـدة مـن القـرن الثاني عشر إلى القرن الرابع عشر للهجرة؟ وما هي أبرز تجلّياتها؟ وما قيمتها العلمية؟

وتندرج تحت هذه الإشكالية الرئيسة جملة من التّساؤلات الفرعية، وهي كالآتي:

– كيـف خـدم علمـاء تـوات الـدّرس اللغـوي والقـرآني؟ ومـاهي وسـائلهم وسُـبلهم في ذلك؟

– تـرتبط اللغـة العربيـة بالقـرآن الكـريم ارتباطـاً وثيقـاً يصـعب فصـلهما عـن بعـض، فكيـف كانت علاقة الدّرس اللّغوي بالدّرس القرآني عند علماء توات؟

– فيمـا تجلّـى دور الكتاتيـب والمسـاجد والـزوايا والمـدارس القرآنيـة في تـوات في خدمـة الدّرس اللّغوي والقرآني؟

– وفـيم تكمـن القيمـة العلميـة لمصـنّفات وتقاييـد علمـاء تـوات في خـزائن المخطوطـات التي تهتم بالدّرس اللغوي والقرآني؟

– مـا أنـواع التـآليف والمصـنّفات الـتي سـادت بيـنهم في تنـاولهم للموضـوعات اللغويـة والقرآنية؟

– مـا أهـم موضـوعات الـدّرس اللغـوي والقـرآني الـتي وقـف عنـدها علمـاء ومشـايخ تـوات تدريساً و تأليفاً؟

كـل هـذه التسـاؤلات الـتي تحمـل في طياتهـا افتراضـات؛ فرضـت أن يتخـذ البحـث منهجـاً ويرسـم خطـةً تفـي بالعناصـر المـذكورة فيهـا، لجمـع شمـل الموضـوع والوصـول بـه إلى غايته.

- **أهداف البحث:**

يمكن تحديد الأهداف المرجو تحقيقها من هذا البحث، فيما يأتي:

- لفـت انتبـاه الدارسـين إلى أهميـة الدراسـات الـتي تكشـف جهـود السـابقين وإسهاماتهم العلمية والعملية، في شتى العلوم والمجالات.
- الإسـهام مـن خـلال البحـث في وضـع قاعـدة ببليوغرافيـة للمؤلفـات والإسـهامات العلميـة لعلمـاء تـوات في تخصّـص اللغـة والدراسـات القرآنيـة، يمكن للباحثين الرجوع إليها.

- الاستفادة من التجارب السابقة لعلماء توات في التدريس والتأليف وتَرَسُّم مناهجهم التي كان لها الفضل في تخريج العديد من الطلبة الذين انتشروا مشرقاً ومغرباً وشمالاً وجنوباً يحملون رسالة العلم والإسلام.
- بيان العلاقة الوطيدة بين الدّرس اللغوي والدّرس القرآني عند علماء توات، والجهود التي بذلوها وأسهموا بها من خلال التأليف تارة والتدريس تارة أخرى، وكيف كانت مكانة الدّرس اللغوي والقرآني عندهم، وكيف كان تعاطيه عندهم بين سائر العلوم.
- إحياء وتجديد الدعوة إلى دراسات كاشفة تنظر إلى التراث من جوانبه المختلفة، تنقده وتمحّصه وتزيل عنه ما لا يستقيم مع التفسيرات العلمية الموضوعية، خصوصا وأن تراث منطقة توات حُطَّ من طريق التأليفات الشخصية والروايات الشفوية، والمخطوطات التي تعتريها بعض العيوب على قيمتها وأهميتها.
- إبراز وبيان الإسهامات العلمية التي قدّمها علماء توات في مجال الدّرس اللغوي والقرآني من خلال رصد مقرراتهم الدراسية ومناهجهم في التدريس ومؤلّفاتهم وكل الجهود التي يمكن أن تحتسب لهم في هذا المجال.
- **الدراسات السابقة:**

لا يَدَّعي الباحث سبقاً في موضوع الدراسة ولا إلى فكرته، ولكن يرمي إلى معالجة الموضوع من زاوية جديدة. وتجدر الإشارة أن هناك دراسات علمية جادّة لا يمكن للباحث تجاوزها، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- مذكرة ماجستير الموسومة بـ:" **ألفية الغريب نظم الزجلوي المعروف بابن العالم (ت.1212هـ)– دراسة وتحقيق**-" للباحث عبد القادر بقادر، جامعة أحمد دراية بأدرار،2009م.

- كتاب:" **التّاريخ الثقافي لإقليم توات**"، للأستاذ الباحث حاج أحمد الصديق، منشورات مديرية الثقافة لولاية أدرار، 2003م.

- كتاب:" **الحركة الأدبية في أقاليم توات (من القرن 07هـ حتى نهاية القرن 13هـ)**، للأستاذ الباحث أحمد جعفري، منشورات دار الحضارة 2009م، عنيت هذه الدراسة بالجانب الأدبي مع الوقوف على بعض تراجم علماء توات ومصنّفاتهم في اللغة والنحو والفقه وما درَّسوا من علوم.

- مذكرة ماجستير بعنوان:" **الدراسات اللغوية بتوات من بداية القرن 12هـ إلى نهاية القرن 14هـ**"، في تحقيق مخطوطات في اللغة وآدابها، للباحث حاج أحمد الصديق، الذي قام في هذا البحث المتواضع بتحقيق بعض المخطوطات اللغوية التي تمّ إصدارها في الفترة الزمنية التي تمتد من القرن 12هـ إلى نهاية القرن 14هـ، مع التعريف بأهم الأعلام في تلك الفترة ،كما قام بإبراز الطريقة التعليمية في الكاتيب والمدارس القرآنية بإقليم توات، والتي لازالت لحد الآن متوارثة بالمدارس التقليدية في حواضر إقليم توات.

- مذكرة ماجستير بعنوان:" **محمّد بن أُبّ المزّمري الجزائري التّواتي وجُهوده في النّحو**"، في اللغة العربية وآدابها للباحث محمّد عمّاري، تخصّص: النحو العربي مدارسه ونظرياته، جامعة ورقلة،2010م.

– أطروحة دكتوراه بعنوان: " **جهود علماء توات في الدّرس اللغوي من خلال الشروح (دراسة وصفية تحليلية)**"، للأستاذ الباحث عبد القادر بقادر، وهي أطروحة دكتوراه في اللغة العربية بجامعة الحاج لخضر بباتنة 2013م، وهي من بين الدراسات الأكاديمية الجّادة؛ والتي لها صلة مباشرة بموضوع الدراسة.

ومن الدراسات غير الأكاديمية، توجد بعض الكتابات المحلية لمشايخ وأعلام المنطقة، نذكر منها سبيل المثال لا الحصر:

- قطف الزهرات من أخبار علماء توات، للشيخ عبد العزيز سيدي عمر المهداوي (كتاب مطبوع)2002م.
- الرحلة العلية إلى منطقة توات: لـذِكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، للعلامة الشيخ محمد باي بلعالم. يقع في جزأين (كتاب مطبوع)2005م.
- النبذة في تاريخ توات وأعلامها، لعبد الحميد بكري (كتاب مطبوع) 2010م.
- سلسلة النواة في إبراز شخصيات من علماء وصالحي إقليم توات ولاية أدرار الجزائر، للشيخ مولاي التهامي غيتاوي (كتاب مطبوع)2013م.

والدراسات السابقة على أهميتها وسبقها قد عَنيت خصوصاً بجانب مهم وهو الدرس النحوي عند علماء توات، أما كتابات علماء المنطقة المذكورة فكانت بمثابة موسوعات قدمت معلومات في عدة جوانب وقدمت سيرا للعديد من الأعلام؛ استفدنا منها في الموضوع، ومن خلال دراستنا نريد التركيز على الدرس اللغوي والقرآني من حيث الجهود التعليمية والتدريسية وكذا الجهود التي ترجمت في

مؤلفـات كُتِـب لبعضـها أن يصـلنا إسمـا ورسمـا ولبعضـها الآخـر أن يصـلنا اسمـاَ في السـير وللبعض الثالث أن لا نرى ولا نسمع له ذكرا.

- **الخطة المعتمدة في البحث:**

اشـتملت خطـة البحـث علـى مقدّمـة، وفصـل تمهيـدي، وثلاثـة فصـول، وخاتمـة، وفيما يلي عرض للخطة كالآتي:

أمـا **مقدّمـة** البحـث؛ وهـي واجهتـه، فقـد عرفنـا فيهـا بأهميـة الموضـوع، وذكـر أسـباب اختيـاره، وبيـان أهدافـه، وضـبط حـدوده، والدراسـات السـابقة، والمـنهج المتّبـع في معالجـة مسـائله، وعـرض مـوجز لخطتـه، وأهـم مصـادره ومراجعـه، بالإضـافة إلى ذكـر العوائـق والصعوبات التي واجهتنا.

وخُصِّـص **الفصـل التمهيـدي**؛ باعتبـاره مـدخلا للدراسـة للحـديث عـن تـوات؛ الإطـار الجغـرافي والإمتـداد التـاريخي، فعالجـت في المبحـث الأول أصـل التسـمية والموقـع، وفي المبحـث الثـاني تطرقـت فيـه للإطـار الجغـرافي والامتـداد التـاريخي لمنطقـة تـوات، وأخـيراً المبحـث الثالـث فتطرقـت فيـه إلى: تـوات في كتـابات بعـض الرحـالين المسـلمين والأجانـب الذين زاروا المنطقة.

أمَّـا **الفصـل الأول**؛ فعنونتـه بـ:" لمحـة عـن الحركـة العلميـة بتـوات قبـل القـرن الثـاني عشـر للهجـرة "، حيـث خصّصـت المبحـث الأول للحـديث عـن بـوادر الحركـة العلميـة والثقافيـة في تـوات، وعالجـت في المبحث الثاني أهم خزائن المخطوطات ودورها العلمي بإقليم توات.

أمـا **الفصـل الثـاني**، فقـد جـاء بعنـوان:" الروافـد العلميـة للـدّرس اللغـوي والقـرآني مـن خـلال دراسـة المؤسّسـات التعليميـة السـائدة في الإقلـيم؛ مـن كتاتيـب ومسـاجد وزوايا

ومـدارس قرآنيـة، والـتي تولـت الإشـراف علـى الـدّرس اللغـوي والقـرآني مـن ناحيـة التـدريس، والـتي سـخّرت لـذلك كـل الإمكـانات الماديـة والمعنويـة لتلقـين الطـلاب شـتى أصـناف العلـوم ذات الصـلة بالموضـوع، والـتي عملـت مـن خـلال تكاملهـا في تـوفير مقررات دراسية وافية في مجال الدّرس اللغوي والقرآني.

وجـاء **الفصـل الثالـث** والأخـير؛ مبيّنـاً لجهـود العلمـاء تأليفـاً وتدريسـاً، مـن خـلال المحـاور الـتي تناولوهـا وبرعـوا فيهـا، والإجـازات العلميـة الـتي حصّـلوا عليهـا، وأيضـاً مـن خـلال المقـررات ومنـاهج التـدريس الـتي اعتمـدوها في سـبيل تحقيـق ذلـك، دون إغفـال المؤلفات التي كان لهم فضل تأليفها.

وقـد أنهيـت البحـث بخاتمـة؛ بيّنـت فيهـا أهـمّ النّتـائج المتوصّـل إليهـا مـع التوصـيات، كمـا ذيّلـت البحـث بعـدد مـن الملاحـق والفهـارس، وثبـت للمصـادر والمراجـع المعتمدة.

- **منهج الدراسة:**

أمـا المـنهج المتّبـع في الدراسـة؛ فهـو المـنهج الوصـفي التحليلـي، إذ المـنهج الوصـفي لا يقـف عنـد وصـف الظـواهر فقـط؛ وإنمـا يتعـداها إلى تقـديم تفسـيرات مقنعـة ومنطقيـة لهـا، ومعرفـة الأسـباب الكامنـة وراه حـدوثها، وهـو مـا انطلـق منـه البحـث في رصـد سلسـلة مـن العمليـات الوصـفية خضـعت للدّراسـة والتحليـل لعلاقتهـا الوطيـدة وارتباطهـا بمشـكلة البحـث، وهـو مـا اعتمـدناه في كامـل مفاصـل البحـث؛ سـواء عنـد التعريـف بالمنطقـة وتاريخهـا، أو أثنـاء الحـديث عـن المؤسّسـات التعليميـة ودورهـا، أو في عضـون الحـديث عن المؤلفات والمقررات.

كما تّمت الاستعانة بالمنهج التاريخي؛ لارتباط الموضوع تاريخياً بحقبة زمنية ماضية، حيث ينطلق من الحقائق والوثائق والمنقولات والمخطوطات والمسموعات والمرويات والشفهيات لوصف الأحداث الماضية وتناولها بالبحث والنقد والتحليل والتفسير لفهمها، من خلال وقوفنا على جملة من الحقائق المرتبطة بواقع إقليم توات، وجملة من المخطوطات والمؤلفات لعلماء المنطقة مع بعض البحثة والمهتمين بتاريخ المنطقة.

- **أهم المصادر والمراجع التي اعتمدتها:**

وللإحاطة بمختلف جوانب الموضوع، كان لابد من الاعتماد على مجموعة من المصادر المخطوطة والمطبوعة، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- مخطوط:" **الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية** "، للشيخ عبد القادر بن عبد الرحمن التينلاني، الذي ترجم فيه لمعظم مشايخ توات، وهو مخطوط مهم أسهم في التعريف بالأعلام الذين ورد ذكرهم في نوازل الغنية البلبالية ودورهم في إنعاش وإثراء الحياة الثقافية بهذا الإقليم.

- مخطوط:" **جوهرة المعاني في ثبت لدي من علماء الألف الثاني**"، للشيخ العلاّمة سيدي محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكراوي التمنطيطي التواتي(ق14هـ)، الذي قدّم فيه تراجم للعديد من علماء توات، وهو مخطوط مهم يُسهّل فهم طريقة الكتابة المعتمدة في نوازل الغنية البلبالية، وفك الرموز المرتبطة بشخصياتها، ويُعد من المخطوطات المحلية التي يعود لها الفضل في تفصيل منهج الكتابة في هذه النوازل وتوضيحها.

- مخطوط:" **نوازل الجنتوري**"، للشيخ عبد الرحمن بن ابراهيم الجنتوري الجراري التواتي (ت. 1160هـ).

– ابـن أبّ ضـيف الله :" **الرحلـة إلى قـبر الوالـد**" ، مخطـوط بالخزانـة البكريـة، تمنطـيط، أدرار.

– البكـري بـن عبـد الكـريم بـن البكـري:" **إعـلام الإخـوان بأخبـار بعـض السّـادة الأعيان**"، مخطوط بالخزانة البكرية، تمنطيط، أدرار.

– البلبالي محمد بن عبد الرحمن:" **غنية المقتصد السائل فيما وقع في توات من القضايا والمسائل**"، جمع: عبد العزيز البلبالي، مخطوط بخزانة سيدي عبد الله البلبالي، كوسام، أدرار.

– الفـلاني أبـو عبـد الله بـن أحمـد:" **الرحلـة في طلـب العلـم**"، مخطـوط بخزانـة مـولاي سليمان بن علي أدغاغ، أدرار.

– بكـراوي سـيدي محمـد العـالم:" **الـدُّرة البهيـة في الشـجرة البكريـة**"، مخطـوط بخزانـة المنيعة، ولاية المنيعة.

بالإضافة إلى بعض الرسائل والأطاريح، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- حـاج أحمـد الصـديق: **مقـدّم العـي المصـروم علـى نظـم إبـن أُبّ لأجـروم، للشـيخ محمـد بـن بادي الكنـتي (ت.1388هـ)**، مـذكرة ماجسـتير في تحقيـق المخطـوط، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الجزائر 2013م.
- بعثمـان عبـد الـرحمن: **فهرسـة عبـد الـرحمن بـن عمـر التـنلاني: تحقيـق ودراسـة،** مـذكرة لنيـل الماجسـتير في التـاريخ الحـديث، كليـة الآداب واللغـات والعلـوم الإنسانية، جامعة بشار،2008-2009م.

والجـدير بالـذكر أن تلـك الأبحـاث، تُشـكّل لبنـة في مسـار جمـع الـتراث ودراسـته، فقـد عالجـت كـل واحـدة منهـا جانبـاً مـن الموضـوع، سـواء مـن زاويـة اللّغـة والأدب، أو مـن الزاويـة التاريخيـة، وعليـه جـاء بحثنـا للنظـر إلى الموضـوع مـن زاويـة اللغـة والدّراسـات والقرآنيـة؛ في محاولـة لـربط وتحقيـق للوحـدة بـين الدراسـة اللّغويـة والدّراسـة القرآنيـة عنـد

علمـاء تـوات، ولـذلك طفقـت أتحسّـس الموضـوع في كـل مـا أُلّـف حـول تـوات مهمـا كـان مجال بحثه.

- **صعوبات البحث:**

لا تخلـو أي دراسـة علميـة أو أي بحـث علمـي جـاد مـن صـعوبات وعراقيـل، خاصـة إذا كـان صـاحبها يريـد الوصـول إلى نتـائج مرضـية وموضـوعية، وممّـا لاشـكّ فيـه أن البحـث في جهـود علمـاء تـوات وإسـهاماتهم في الـدّرس اللغـوي والقـرآني، يتطلّـب مـن الباحـث جُهـدًا كبـيرًا وبحثًـا مضـنيًا في بطـون أمّهـات المصـادر المختلفـة، ومـن أهـم المصاعب الّتي واجهتني:

- تشـعّب موضـوع البحـث واتسـاع مباحثـه، فقـد وجـدتني والحـق يقـال أسـبح في بحـر لاسـاحل لـه، ولـذلك فربمـا يكـون قـد فـاتني مـن لواحـق الموضـوع مـا كـان يجـب ذكـره، ومـا ذكرتـه في البحـث قـد لا أكـون اسـتكملت فيـه كـل مـا يتّصـل بـه ويحـيط بمجامعـه، نظـراً لإحاطـة علمـاء تـوات بالعديـد مـن القضـايا الدينيـة والفقهيـة، ممـا صـعَّب علـيَّ الإلمـام بكـل مجهـوداتهم. ورغـم كـل ذلـك حاولـت قـدر اسـتطاعتي أن أبـرز جهـودهم واسـهاماتهم في الدّرس اللغوي والقرآني.

- عـدم تمكّـني مـن زيارة خـزائن المخطوطـات المغربيـة الّـتي تسـلط الضـوء علـى نمـاذج مـن توثيـق السـند العلمـي لمشـايخ وعلمـاء منطقـة تـوات، وقـد تـزامن ذلـك مـع الـوباء العـالمي جائحة كورونا 19؛

- صعوبة التعامل مع الخزائن الخاصّة للمخطوطات فيما يتعلق بالبحث العلمي؛

– صعوبة التعامل مع المخطوط من حيث الخط، ومحتوى المخطوط، بسبب تآكل بعض المخطوطات التي دخلتها الأرَضَة، أو تعرضت للمؤثرات الطبيعية من أمطار وغيرها، أو تكون مبتورة في مقدّمتها ونهايتها، وأحيانا تكون غير قابلة للقراءة أصلا؛

– ولعل من أهم العقبات التي جعلتنا أحيانا نقف طويلا للتحقّق والتدقيق في أسماء الأعلام، بحيث وجدنا اختلافا كبيرا بين الدراسات في إيرادها؛ فيأتي إسم العالم أحيانا مقروناً باسم والده فقط، وأحيانا باسم والده وجدّه، وأخرى يسقط منها اسم الأب ويظهر الجد، ضِف إلى ذلك نسبة العالم إلى منطقته، فأحيانا يُنسب إلى موضع ولادته وأخرى إلى مكان تدريسه، وغيرها.

–إن شساعة مجال الدراسة (إقليم توات)؛ بقدر ما حقّق تنوعاً ثقافياً وعلمياً؛ بقدر ما يجعل الباحث عاجزا أن يجوب كل تلك البقاع للبحث بين خزائنها العلمية ليُثْري بحثة، وهذا ما صعب على الباحث الاطلاع على بعض مخطوطات الخزائن الخاصة التي كان يمكن أن تفيد البحث في بعض أجزاءه .

– لا يزال أمر المخطوطات في الخزائن الشعبيه محتاجاً إلى مراجعة لتمكين الباحثين أكثر من الوصول إليها والاطلاع على محتوياتها، فبرغم التعاون الذي حظينا به في بعض المكتبات، إلَّا أن الوقت والوسائل لم تُمكّنْ من حسن الاستغلال؛ لعدم وجود نسخ مصورة لدى أصحاب بعض الخزائن، وللتحفظ في التعامل المباشر مع بعض المخطوطات، يُضاف إلى ذلك أن تلك المخطوطات تختلف أحيانا في حالتها بين الجيّدة والمتهالكة وبين وضوح خط وعدم وضوحه.

ولا يفوتني قبل الختام، إلا أتقدّم بواجب الشّكر الجزيل لكل من قدّم لي يد المساعدة في إنجاز هذه الأطروحة العلمية من قريب أو من بعيد، وأخصّ بالذكر

الأستاذة المشرفة **الدكتورة كريمة بولخراص** التي تفضّلت بالإشراف على هذا العمل وأفادتني بتوجيهاتها ونصائحها القيّمة؛ فجزاها الله عنّي خير الجزاء.

والله العلي القدير؛ أسأل أن يجزي بالفضل والمثوبة كل من أفادنا علماً وأعاننا على تخطي الصّعاب، وأن يجزينا بالحسنى ويجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم، إنه سميع مجيب.

هذا فإن أصبت فمن الله، وإن أخطأت فمن نفسي وتقصيري، وما توفيقي إلاّ بالله.

الطالب الباحث

عباس بن شيخ

غرداية في: يوم الجمعة المبارك 16رمضان1444هـ/07أفريل2023م.

الفصـــــــل التمهيدي:

الإطار الجغرافي و الامتـــــداد التاريخي لإقليم توات.

المبحث الأول: أصل تسمية توات وموقعها الجغرافي.

المبحث الثاني: الامتداد التاريخي لإقليم توات.

المبحث الثالث: منطقة توات في كتابات بعض الرحالة المسلمين والأجانب.

– تمهيد:

تُعدُّ منطقة توات من أهم الحواضر الصحراوية في الجنوب الغربي الجزائري، حيث تتميّز بشواهد حضارية عدّة لها امتدادها في عُمق التاريخ؛ وهو ما أسهم في الحفاظ على ربط أواصر النسيج الاجتماعي في شتى المجالات بالمنطقة (مجال الدراسة) والمناطق المجاورة لها. وسنحاول في هذا الفصل، إعطاء لمحة عن أصل التسمية والموقع والامتداد التاريخي للمنطقة، وأخيراً توات في كتابات بعض الرَّحَّالين المسلمين والأجانب.

المبحث الأول: أصل تسمية توات وموقعها الجغرافي.

المطلب الأول: توات؛ المصطلح، المعنى والأصول.

اختلفت الروايات حول مفهوم مصطلح "توات" لغة ومعنى، ولذلك سنستعرض مختلف هذه الآراء، ومن ذلك نذكر ما يأتي:

– الرواية الأولى: أورد أبو عبد الله محمد بن قاسم الأنصاري (ت.894هـ)صاحب كتاب (فهرست الرَّصَّاع), بأن اسم توات أمازيغي، وهو اسم لأحد البطون المنحدرة من قبيلة الملثمين سكان الصحراء، حيث يقول: "والملثمون هم قبائل الصحراء بالجنوب عرفوا بهذا الإسم لأنهم يتلثمون بلثام أزرق، ومنه طوائف التوارق ولمتونة والتوات"[1].

[1] محمد الأنصاري الرصاع: فهرست الرصاع، تونس1967م، ص127.

الرواية الثانية: يذكر عبد الرحمن السعدي (ت.1066هـ) أن أصل كلمة توات جاء من بلاد التكرور[1]؛ وشاهده في ذلك ما وقع لسلطان مالي[2] أثناء مروره بالمنطقة قاصدا الحج؛ يقول:" ومشى بطريق ولات في العوالي وعلى موضع توات فتخلّف هناك كثير من أصحابه لوجع رجل أصابه في ذلك المشي تسمى توات في كلامهم، فانقطعوا بها وتوطنوا فيها، فسُمي الموضع باسم تلك العلة"[3].

الرواية الثالثة: يذكر المؤرخ التمنطيطي الشيخ محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكراوي(ت.1374هـ)، في عضون شرحه لرأي العالم محمد بن عومر؛ أن أصل التسمية جاء من الأتوات (الضرائب) التي كان يدفعها أهل المنطقة، حيث يقول: " في سنة 518هـ، حيث غلب المهدي الشيعي سلطان الموحدين على المغرب بعث قائديه على بن الطيب والطاهر بن عبد المؤمن لأهل الصحراء وأمرهما بقبض الأتوات فعرف أهل هذا القطر بأهل الأتوات، لأن السلطان قبله منه في المغرم"[4].

وأضاف البكري إلى هذا التخريج والتأصيل تخريجاً لغوياً؛ ذكر من خلاله ما أورده صاحب المصباح؛ من أن التوت يعني الفاكهة والجمع أتوات. أي أن أهل

---

[1] " التكرور أو التكلور شعب زنجي يسكن الجزء الأوسط من وهاد فوتا السنغالية على جانبي نهر السنغال ..... وتنتشر مواطن التكرور أيضاً في أنحاء إفريقيا الغربية وخاصة السنغال الأعلى". عصمت عبد اللطيف دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988، ص43.

[2] كان ذلك في القرن الثامن للهجرة، وبرغم عدم كونها الرحلة الأولى لملوك سنغاي ألا أنها الأشهر؛ لكثرة ما أنفق فيها وللوفد الكبير الذي رافقه أيضاً. ينظر: تاريخ السودان: عبد الرحمن السعدي، ص07. تقي الدين أحمد بن علي المقريزي: الذهب المسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، ط1، 2000، ص 141- 142.

[3] عبد الرحمان السعدي: تاريخ السودان، ص 07.

[4] محمد بن عبد الكريم البكري: دُرّة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط بخزانة المطارفة، أدرار، ص06.

المنطقة لما لم يتحصل لديهم من النقود ما يسددون به ما عليهم من أتوات استعاضوها بما يملكون من ثمار وفواكه، ولخروجهم عن ما هو مألوف سموا بأهل الأتوات.

الرواية الرابعة: يذكر الشيخ محمد بن عومر بن محمد بن المبرك البداوي الجعفري(ت.1212هـ) في مخطوط (نقل الرواة عن من أبدع قصور توات) أن سبب أصل التسمية عربي؛ جاء من مواتاتها لنفي المجرمين، حيث يقول ما نصّه:" إن عقبة بن نافع الفهري لما فتح المغرب وصلت خيله أرض توات فسألهم: هل توالي لنفي المجرمين من عصاة المغرب، ينزله بها أو يجلّيه بها، فأجابوه بأنها توالي فانطلق اللسان بذلك، أي توالي وبمرور الزمن تحرفت وأصبحت توات"[1].

وإلى جانب ما نلحظه من تفسير تاريخي في هذا التأصيل، نلحظ أيضا التفسير اللغوي، حيث يذكر أنها جاءت من المواتاة، إضافة إلى التسهيل اللغوي الذي لحقها بحذف الحرف الأخير، وهو ما يجري عليه اللسان المحلي في لهجة سكان توات إلى حد الساعة.

الرواية الخامسة: وهي رواية منقولة عن محمد ابن مبارك، حيث يقول بأن أصل كلمة توات أصلها أعجمي،" وقد أطلقتها بعض القبائل الأمازيغية من لمتونة عندما التجأت إلى الإقليم في منتصف القرن الثاني عشر للميلاد، وقد وجدوا المكان يواتيهم، أو يناسبهم للإستقرار"[2].

[1] محمد بن عمر بن محمد بن المبروك البداوي الجعفري: نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، مخطوط موجود بخزانة باعبد الله، وخزانة بودة بأدرار، ص04.

[2] محمد بن مبارك: تاريخ توات، مخطوط، ص2؛ نقلا عن فرج محمود فرج: إقليم توات خلال القرنين 18-19م، المؤسسة الوطنية للكتاب، وديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1977م، ص02.

الروايـــة السادســـة: مـــا أورده الشـــيخ مـــولاي أحمـــد الطـــاهري الإدريســـي؛ حينمـــا توقف عند المعنى اللغوي الظاهري، على أن المنطقة كانت تواتي العبادة[1].

فيما ذهب الضـــابط الفرنســـي"مارتن" (Martin) إلى أبعد من هذا، عندما حاول أن يربط اســـم توات بالأصـــل الإغريقي، وفسّـــر ذلك بأن الفرنســـيين يطلقون على الواحات اســـم (وازيس-Oasis)، وهو مصـــطلح إغريقي الأصـــل، واســـتشـــهد في ذلك بتســـمية تواتن عبو (touat´n ebbou)، ومعناه واحة الماء[2]، كما اســـتشـــهد (مارتن) أيضـــا بكلمة توات الحنة؛ ويعني حسب قوله البلد الذي ينتج الحنة[3].

كما أورد الباحث أحمد العماري رواية لأحد الغربيين "ماندوفيل" (Mandeville)؛ مفادها أن إســـم توات أطلقه العرب والطوارق على مجموعة الواحات التي تنتشـــر بالمنخفض العميق لواد الساورة وواد مسعود[4].

ويورد ابن خلدون اســـم توات على أنها القصـــور التي تقع بالمنطقة الغربية للإقليم فقط، وقد أشـــار إلينا بعمرانها بقوله: " فمنها على ثلاث مراحل قبلة سـجلماسـة وتسـمى وطن توات وفيه قصـور متعددة تناهز المئتين آخذة من الغرب إلى الشـرق وآخرها من جانب الشـرق يسـمى

---

[1] خـير الـدين سـعيدي: نسـيم النفحـات في ذكـر جوانـب مـن أخبـار تـوات ومـن دفـن فيهـا مـن الاوليـاء والصـالحين والعلماء العاملين الثقات؛ دراسة وتحقيق، مذكرة ماجستير، جامعة قالمة، 2013/2012، ص 71.

[2] Martin, Alfred-Georges-Paul, Quatre Siècles d'Histoire Marocaine, au Sahara de 1504 à 1902, au Maroc de 1894 à 1912, Paris1923, P. 01-02

[3] Martin, Alfred-Georges-Paul, Les Oasis Sahariennes: (Gourara-Touat-Tidikelt), Alger, 1908, p115.

[4] أحمـد العمـاري: تـوات في مشـروع التوسـع الفرنسـي بالمغـرب مـن حـوالي 1850إلى1902م، منشـورات كليـة الآداب والعلوم الإنسانية – ظهر المهراز، جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس، المغرب ،1988م، ص11.

(تمنطيط) وهو بلد مستبحر في العمران ... ومن هذه القصور على عشر مراحل، منها قصور (تيقورارين) وهي كثيرة تقارب المائة"[1].

ويطلق اسم توات على كل القصور، انطلاقا من منطقة تيجورارين (قورارة) في الشمال إلى منطقة تيديكلت جنوبا. ويذكر الباحث الحمدي احمد أن اسم توات إذا أطلق أريد به العموم، فيدخل في مفهومه تيديكلت وتيكورارين(قورارة)، فتصبح بذلك توات من قبيل إطلاق الجزء وإرادة الكل[2].

وليس أدل على ذلك من أن أغلب القصور بتوات تحمل أسماء أمازيغية صنهاجية زناتية، وعليه فما دام الفرع (القصور) صنهاجية زناتية[3]، فالأولى الأصل(توات)، أن يكون أمازيغيا بلهجة توارق صنهاجة أو زناتة، مع بقاء المجال مفتوحا للدراسات، ولو أن ذلك لايغير من الأمر شيئا، لأن المنطقة، عامرة اسماً وساكنةً، منذ فترة ما قبل التاريخ، وهذا وفق الدلائل التاريخية والجغرافية.

المطلب الثاني: موقع إقليم توات.

يقع إقليم توات في الجنوب الغربي الجزائري، يحدّه من جهة الشمال العرق الغربي الكبير ووادي أمقيدن، ويحدّه من جهة الجنوب؛ وادي قاريت، وهضبة مويدر، وتنزروفت، كما يحدّه من الشرق، العرق الشرقي الكبير المحاذي لواد المايه، ويحدّه من

[1] عبد الرحمن بن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر...، بيروت، لبنان 1967م، ج7، ص118.

[2] أحمد الحمدي: محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد النهضة الفكرية بتوات: عصره وآثاره، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، السنة الجامعية: 1999م-2000م، ص07.

[3] عبد الرحمن بن خلدون: كتاب العبر وديوان المبدأ والخبر ...، بيروت، 1959م، ج7، ص119. أحمد بن خالد الناصري السلاوي: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، القاهرة 1304هـ، ج3، ص173.

جهة الغرب؛ وادي مسعود[1]. ويقع الإقليم بين خطي طول 04° شرقا و03° غرباً، وبين دائرتي عرض 25°-30°شمالاً، ويمثل هذا الموقع امتداداً طبيعياً لمنخفض تنزروفت نحو الشمال[2].

ويمتد الإقليم على مساحة تزيد على ثلاثة آلاف كليومتر مربع، ويشتمل على عدد من الواحات والمدن والقصور تقارب الثلاثمائة، وهي متناثرة هنا وهناك[3]. ويشتمل الإقليم على ثلاث مناطق رئيسية، وهي منطقة قورارة (تيكورارين)، وقاعدتها مدينة تيميمون، ومنطقة توات التي أعطت اسمها لكل الإقليم، وكانت قاعدتها مدينة تمنطيط ومنطقة تيديكلت وقاعدتها مدينة عين صالح، ويطلق على هذه المناطق الثلاث مجتمعة، اسم إقليم توات[4].

وتمتد المدن والقصور التواتية في سهول رملية جنوب العرق الغربي الكبير، وعلى شكل قوس (هلال)، يحيط بهضبة تادمايت من جهاتها الثلاث: الشمالية والغربية والجنوبية.

المطلب الثالث: الخصائص الجغرافية للإقليم.

يغلب على المظاهر التضاريسية لتوات الإنبساط، ما ساعد القوافل التجارية على اتخاذها طريقاً لهم؛ يسهل فيها مشيهم ويأمنون على تجارتهم لعدم وجود جبال يأوي إليها قطاع الطرق، ضف إلى ذلك وفرة مياهها الجوفية التي وفرت الكلاء والعشب والثمار لأهل المنطقة ولقوافل التجارة والحجيج.

[1] فرج محمود فرج: إقليم توات خلال القرنين 18-19م، المؤسسة الوطنية للكتاب، وديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1977م ، ص01. محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، ج1، ص28.

[2] فرج محمود فرج: المرجع نفسه، ص01.

[3] عبد الرحمن بن خلدون: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر...، بيروت، لبنان 1967م، ج7، ص118.

[4] يشمل إقليم توات حالياً حسب التقسيم الإداري: ولاية أدرار، و ولاية تيميمون، و ولاية عين صالح.

يحتوي إقليم توات على ثلاثة مظاهر تضاريسية متباينة بالصحراء، وهي: الحمادة، والرق، والعرق. وتتنوع التضاريس بين الهضاب والسهول والكثبان الرملية والسباخ، غير أن الملاحظ في كل هذا التنوع البساطة، فالهضاب بارتفاعاتها البسيطة والعروق (جمع عرق[1]) المناسبة لسير الإبل والسباخ التي كان يتبخر ماؤها صيفاً[2]؛ شكّلت حافزاً للقوافل لاختيار توات مسلكاً لهم في رحلاتهم.

يقول الشيخ مولاي أحمد الطاهر الإدريسي(ت.1399هـ) واصفاً جغرافيتها العامة بقوله: "إنها أرض ذات سباخ، كثيرة الرمال والرياح، لا تحيط بها جبال ولا أشجار، شديدة الحرارة المفرطة، لا يكاد ينبت فيها إلاَّ النخيل وبعض الأشجار القليلة لفرط حرارتها"[3]. وهو وصف أقرب إلى القبول بالنظر إلى طبيعة تضاريسها، وقوله: "لا يكاد ينبت فيها إلاَّ النخيل" وصف للغالب من نباتها، لأن أرض توات تنبت فيه أيضاً الحبوب والخضروات وبعض الفواكه، ولكن بصورة ضئيلة.

وتمتد بنواحي إقليم توات وديان كثيرة، ونادراً ما يشاهد جريان بعضها من وقت لآخر، وذلك عقب سقوط أمطار غزيرة، ومن أهمها: وادي مقيدن، الذي ينتهي بمنطقة القورارة ،و وادي مسعود؛ وهو عبارة عن تلاقي لوادي قير مع وادي زوزفانة بمنطقة فقيق

[1] وهو يختلف عن الحمادة والرق؛ في أنّه سطح واسع الأطراف، تغطيه كثبان رملية تشبه أمواج البحر، جاءت به الرياح من الحمادة أو الرق، وبهذا تكون رواسب العرق هوائية. عبد القادر حليمي: جغرافية الجزائر- طبيعية- بشرية- إقتصادية، مطبعة الإنشاء، دمشق، 1968م، ص 51.

[2] والتي ينجم عنها تشكل كتل ملحية بسبب جفاف ماءها صيفاً، وكانت القوافل المارة إلى جنب السباخ تستغل هذا الأمر لاقتناء ما أمكنها من أحجار ملحية لبيعها في طريق سيرها، خصوصاً تلك المتوجهة إلى بلاد السودان، ولا تزال إلى اليوم في بعض المواسم؛ كعيد الأضحى مثلا عادات الذهاب إلى السباخ المجاورة للمدن والقصور لإحضار الأحجار الملحية منها.

[3] خير الدين سعيدي: نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات ومن دفن فيها من الاولياء والصالحين والعلماء العاملين الثقات؛ دراسة وتحقيق، مذكرة ماجستير، جامعة قالمة، 2013/2012، ص 71.

ويتجه جنوبا ليطلق عليه اسم وادي الساورة ويتجه غربا ثم جنوبا ليسمى وادي مسعود، ويكون سبخة بمنطقة تاسفاوت(توات الوسطى) ،ويتّجه بعد ذلك إلى رقان لتغور مياهه بعدها في صحراء تنزروفت.بالإضافة إلى وادي قاريت، الذي ينطلق من الشمال الشرقي لمنطقة تيديكلت، ويتجه نحو الجهة الجنوبية الغربية؛ ليكون رافداً لواد مسعود[1].

يسود إقليم توات مناخ صحراوي قاري جاف؛ ففي فصل الصيف، ترتفع درجة الحرارة إلى ما فوق خمسين درجة مئوية[2]. وتشتد ابتداءً من طلوع الشمس، وبعد الغروب يحل محل حرارة القيض البرد، وتنخفض درجة الحرارة إلى ما دون الصفر في ليالي فصل الشتاء. أما عن الأمطار، فإن نسبة التساقط السنوي لا تزيد عن خمسة وعشرين ملم[3] في المتوسط[3]، وقد قيل: "إنّ الصحراء ليلها شتاؤها، ونهارها صيفها".

وأما المياه، فيمكن القول بأن واحات توات " تتجمع في منطقة أقل فقراً من الماء بهذا المجال الصحراوي، فهي تتواجد بحوض هيدروغرافي من المياه السطحية أو الباطنية بالخصوص"[4]، والتي استعمل الإنسان وسائله البسيطة لاستخراجها؛ فحفر الآبار وأنشأ الفقارات[5]، لاستغلال المياه الجوفية الصالحة للشرب، مع وجود مياه السِباخ والأودية التي كانت تغلب عليها الملوحة.

---

[1] محمد الصالح حوتية: توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشرللهجرة/ الثامن عشر والتاسع عشر ميلاديين؛ دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية، دار الكتاب العربي، الجزائر،2007، ج1، ص83.

[2] فرج محمود فرج: إقليم توات خلال القرنين 18-19م، ص04.

[3] عبد القادر حليمي: جغرافية الجزائر-طبيعية- بشرية- إقتصادية، ص52.

[4] محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، ج1، ص81.

[5] وهي مجموعة متسلسلة من الآبار يتناقص عمقها على امتداد السلسلة بسبب الانحدار الارضي، يصب بعضها إلى بعض، تمتد من خارج المدينة إلى أن تصل التجمع السكاني، ليخرج الماء على وجه الأرض فيستعمل في السقي والشرب والغسيل، يشرف عليها ملاك يتولون أمورها، من صيانة وتقسيم للمياه بين المشتركين؛ وفق طرق خاصّة تُعرف عند سكان المنطقة بـ "الكيل"، يتولاها مختص يُعرف محليا بـ:"كيّال الماء"، بواسطة آلة تُسمى محليا " الخلافة" أو " الشقفة". للاستزادة ينظر: محمد باي بلعالم: الرحلة العلية إلى منطقة

وامتازت واحات توات بوفرة بعض المنتجات الزراعية، ويأتي في مقدّمتها التمر؛ وفي هذا السيّاق يقول الحسن الوزان واصفاً المنطقة بقوله: " لهذه البلاد أراضي كثيرة صالحة للزراعة، لكن يلزم سقيها بماء البئر وتسميدها بالسّماد، لأنها جافة وهزيلة جداً"[1].

كانت الإبل مؤشراً للمكانة الاقتصادية والاجتماعية للأشخاص والقبائل في المجتمع التواتي قديماً؛ كغيره من المجتمعات الصحراوية، "وهي من أكثر الحيوانات مقدرة على المشي مسافات طويلة؛ دون أن ينالها تعب، أو تحس بالعياء، ومتى كان الجمل في طريق السفر؛ فهو لا يحتاج إلى رعي، وإنما هو يخطف الأعشاب الخفيفة هنا وهناك ليتلذذ باجترارها عندما يحط أثقاله في وقت الراحة والإستجمام"[2].

وتنحدر عناصر سكان إقليم توات من أصول ثلاثة، مثل غالبية سكان بلاد المغرب الكبير، وهم: البربر، والعرب، والزنوج[3]، وقد حصل بين هؤلاء السكان عبر التاريخ تمازج واختلاط؛ فانصهرت هذه العناصر في بوتقة واحدة، شكّلت بذلك سكان إقليم توات.

توات، ط1، دار هومة، الجزائر 2005، ج1، ص70، ينظر أيضا: محمد ميزوري: الفقارة ماضيا وحاضراً، مجلة الأحياء، جمعية الأبحاث والدراسات التاريخية لولاية أدرار، ع 1، ديوان المطبوعات الجامعية – المطبعة الجهوية بوهران (د.ت)، ص ص 31-32.

[1] الحسن الوزان: وصف افريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الاخضر، دار الغرب، بيروت، ط2، 1983، ج2، ص133.

[2] إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، مرجع سابق، ص43.

[3] فرج محمود فرج: إقليم توات خلال القرنين 18-19م، ص32.

المبحث الثاني: الامتداد التاريخي لإقليم توات.

يبدو أن توات كانت آهلة في فترات ما قبل التاريخ، وعرفت حضارة قديمة تعاقبت عليها مختلف الأطوار الحضارية القديمة بصناعتها المختلفة، مثل العصر الحجري القديم الأدنى، وكذلك العصر الحجري الأوسط[1] ، مما يجعلنا نعتقد أن هذه المنطقة في العصور القديمة المختلفة، قد شكّلت همزة وصل ومنطقة عبور لقوافل التجارة العابرة للصحراء؛ بين شمال بلاد المغرب الإسلامي وإفريقيا جنوب الصحراء.

يقول الشيخ محمد باي بلعالم: " إن تاريخ عمارة توات يرجع إلى ما قبل الإسلام، وكانت تسمى بالصحراء القبلية"[2]. وقد عاش البربر بأرض توات بما يعرفون به من مسالمة جلبت إليهم عبر التجارة أعراقاً أخرى من غير البربر، كالعرب والزنوج الذين وفدوا من إفريقيا جنوب الصحراء؛ بحثاً عن الأمن والاستقرار، أو من خلال رحلات قوافل التجارة الصحراوية[3]، وبهذا التجاور عاشت المنطقة في أمن وسلام، فازداد الإقليم انفتاحاً على الثقافة العربية الإسلامية من خلال حركة التجار والعلماء المسلمين الذين كان لهم دوراً بارزاً في إرساء دعائم الإسلام بتوات من جهة، ومن جهة أخرى؛ تنوع التركيبة السكانية؛ وتعايشها وفق تعاليم الدين الإسلامي.

---

[1] صالح بوسَليم: إقليم توات ودوره إقليم توات ودوره في تجارة القوافل الصحراوية خلال القرنين 12-13هـ/18-19م، ط01، منشورات مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية بالجنوب الجزائري، جامعة غرداية، 2019، ص33.

[2] محمد باي بلعالم: الرحلة العلية، ج1، ص 09.

[3] فرج محمود فرج: إقليم توات خلال القرنين 18-19م، ص132.

المطلب الأول: قصور إقليم توات

يتكون إقليم من ثلاث مناطق رئيسة؛ وهي كالآتي[1]:

أ)– منطقة تيديكلت: كلمة أمازيغية، تعني كف أو راحة اليد أو اليد المفتوحة[2]، تقع شرق رقان من جهة الشمال سلسلة هضبة تادمايت ، أما من الجنوب فيحدّها واد قاريت وهضبة المويدر، ومن الناحية الشرقية منطقة إيغرغارين، ومن الناحية الغربية تحدها منطقة توات الوسطى وصحراء تنزروفت.

وتشمل قصور **منطقة تيديكلت الشرقية** كلا من قصور عين صالح؛ وتضم: قصر الزاوية، القصر الجديد، القصبة، قصر العرب، قصر أولاد باجودا، قصر أولاد بلقاسم، قصر أولاد الحاج، والدغامشة، واقسطن تاكوظا–أسول، والقصبة، وحاسي لحجار. بالإضافة إلى قصور فقارة الزوى التي تضم: الفقارة لكبيرة، ومولاي هيبة، وسيلافن، وحينون، وفقارة العرب، وقصور اينغر التي تضم قصر لكحل الفوقاني، وقصر لكحل التحتاني، تورفين، مليانة، قصبة أولاد أحمد بن جلول، الشويطر، أقبور، السبخة[3].

أما قصور **منطقة تيديكلت الغربية؛** فهي تشمل قصر تيط وقصبة الشرفاء، وقصور أقبلي التي تضم قصر زاوية سيدي بونعامة، وقصر المنصور، وقصر أركشاش، وقصر ساهل، وقصور أولف لكبير التي تضم، أخنوس، زاوية مولاي هيبة، قصبة

[1] محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، ج1، ص34.صالح بوسَليم: إقليم توات ودوره إقليم توات ودوره في تجارة القوافل الصحراوية، ص41-47، محمد باي بلعالم: الرحلة العلية، ج1، ص09.

[2] محمد باي بلعالم: الرحلة العلية، ج01، ص23. عبد المجيد قدي: صفحات مشرقة من تاريخ مدينة أولف العريقة، الجزائر، (د.ت)، ص20. ولعل ذلك مرتبط بطبيعتها الجغرافية، حيث إنها تمتد على هضبة قليلة التضاريس البارزة.

[3] محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، ج1، ص35.محمد باي بلعالم: الرحلة العلية ، ج01، ص17.

السيّد، إينر، أولاد الحاج، قصر تمقطن، قصبة الجنة، المنصور، أولاد مولاي الرشيد، قصر بلاد المهدي، المرقب، عين بلبال، مطريون وقصور أولف الخط هي: تقراف، الجديد، الركينة، قصبة بلال، قصبة حبادات(عمانات)، زاوية حينون[1].

ب)- منطقة توات الوسطى أو تسوات:

وتمتد على رقعة أرضية من رقان إلى تسابيت، وتبدأ في حدود أعالي واحة بودة، حيث أن واد مسعود يُشكّل لها ذراعاً من الجهة الغربية، ثم يعيد اتّجاهه الأوّلي نحو الشمال الجنوبي؛ ليصل إلى مقاطعة رقان، حيث السهل المغمورة بالرمال تشكّل تواصلاً باتجاه مقاطعة رقان، وتتّجه قليلاً نحو الجنوب الغربي[2].

وتتصل قصور توات بشكل هلالي على امتداد الإقليم، وتضم قصور بودة، وقصور تيمي، وقصور تمنطيط، وقصور بوفادي، وقصور تسفاوت، وقصور تامست، وقصور أنجزمير، وقصور سالي، وقصور رقان[3]. وهي في جملتها تربوا عن المائة قصر.

ج)- منطقة تيجورارين(قورارة):

تقع منطقة قورارة (تيجورارين) شمال منطقة توات بالجنوب الغربي للجزائر، وهي عبارة عن امتداد شاسع يمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، يحدها من ناحية الشمال العرق الغربي الكبير، ومن جهة الشرق تحدها جبال صخرية، وهي حدود للسفح السفلي لتادمايت، ومن جهة الغرب الحوض الشرقي لواد الساورة، ومن

[1] محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، ج1، ص35.صالح بوسَليم: إقليم توات ودوره إقليم توات ودوره في تجارة القوافل الصحراوية، ص41-47.

[2] محمد الصالح حوتية: المرجع نفسه، ج1، ص32.

[3] محمد الصالح حوتية: المرجع نفسه، ج1، ص ص 32-34، محمد باي بلعالم: الرحلة العلية، ج1، ص 11-15.

الجنوب هضبة تادمايت، وتشرف المنطقة على هضاب تبلغ (100) مائة كلم من العرض، وهذه الهضاب عبارة عن سباخ[1] على شكل كثبان، وهي في بعض الأحيان مغطاة بعروق، ويضم مجموعة من القصور، من أهمها: قصور أوقروت، تينركوك، جريفات، تيميمون، أولاد سعيد، تقانت، الحيحة، شروين، زوا دلدول، الدغامشة، تسابيت، السبع[2].

ويُصدِّق ذلك الواقع التاريخي الذي نلمسه من خلال الصلات الثقافية والروحية والاجتماعية بين سكان هذه المناطق الثلاث؛ فضلاً عن الإختلافات اليسيرة في اللهجات وبعض العادات، ويظهر أيضا من خلال تشابه مظاهر السطح الجغرافي.

المطلب الثاني: منطقة توات: بعد دخول الإسلام.

تُعدُّ منطقة توات في الجنوب الغربي للجزائر من بين أهم الحواضر الصحراوية، بسبب موقعها الذي يتوسط الصحراء الجزائرية؛ وكونها محطة رئيسية على طريق قوافل التجارة العابرة للصحراء. وتعود عمارتها إلى عصور ما قبل التاريخ حسب الشواهد الأثرية، وبعد دخول الإسلام إلى بلاد المغرب أدّت دورا أساسيا في انتشار الإسلام في حواضر إفريقيا جنوب الصحراء، وفي العلاقة بين بلدان المغرب الإسلامي ودول ومماليك السودان الغربي، وقد زادت أهميتها التجارية بعد تراجع الطريق الصحراوي

[1] السبخة: هي عبارة عن بحيرة تتبخر مياهها في الصيف؛ لتتحول إلى ضاية من الملح، تسمى الشط أو السبخة، وعندما تختفي في فصل الصيف تخلّف ورائها سبخة بيضاء حادة الرؤوس لا يستطيع الإنسان أن يمر فوقها حافي القدمين، والسبخات في الأصل عبارة عن منخفضات نتجت عن هزات أرضية. ينظر: عبد العزيز بنعبد الله: الموسوعة المغربية للإعلام البشرية والحضارة،"معلمة الصحراء"، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، الرباط، المغرب 1976م، ص109.

[2] محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، ج1، ص32.

الغربي الرابط بين مراكش وغانا؛ نتيجة لسقوط مملكة غانا وقيام مملكة مالي، وهو ما ساهم في تطور عمارتها وعمرانها، وأهّلها لتصبح إحدى أهم المحطّات التجارية[1].

وذهب أحد المؤرخين المحليين، إلى القول بأن قصر تمنطيط كان عامراً منذ عهد الفراعنة، وقد سكنه القبط، وهم المهندسون لبنائه، كما حفروا به الفقاقير[2]. وذكر صاحب كتاب (معلمة الصحراء)، أن أقدم مسجد بمنطقة توات يوجد بقصر تمنطيط، يحمل محرابه تاريخ 106هـ/725م[3]، ممّا يعكس أن تمنطيط مدينة ضاربة في القدم.

إن قبائل الملثمين التي بسطت سيطرتها على مداخل الصحراء " قامت بدور الوسيط التجاري بين شمال الصحراء وجنوبها، بحكم سيطرتها على الطرق التجارية، التي تمر عبر أراضيها، والتي تربط بين شعوب شمال إفريقيا وشعوب غرب إفريقيا"[4]، ونتيجة لذلك كان لزاما أن تنشأ على امتداد الطرق التجارية محطات ومدن؛ وكان ذلك أن" تكونت المحطات التجارية وأصبحت مدنٌ عامرةٌ، تمتد بين الشمال والجنوب، وازدهرت هذه المدن فصارت مراكز هامة للتجارة، والعلم"[5].

---

[1] عبد الله عباس: التأثيرات الحضارية لإقليم توات في بلاد السودان الغربي خلال العصر الوسيط، مجلة الحقيقة، مج 14، ع03، جامعة أدرار، سبتمبر 2015، ص ص 96-120.

[2] محمد بن عبد الكريم البكراوي التمنطيطي: درة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مصدر سابق، ص01، ونريد أن نسجل في هذا المقام تحفظا على هذه الرواية التاريخية، لما فيها من المبالغة، ولا توجد لدينا قرائن تاريخية أو أثرية تدل على ذلك، ينظر: ابن بابا حيدة: القول البسيط في أخبار تمنطيط، تح: فرج محمود فرج، ديوان المطبوعات الجامعية والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1977، ص13.

[3] عبد العزيز بنعبد الله: معلمة الصحراء، مرجع سابق، ص195.

[4] عصمت عبد اللطيف دندش: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1988، ص48.

[5] المرجع نفسه، ص 48.

غير أن اللافت للنظر في كل ما تقدّم أن انتشار الإسلام ظل يسير بوتيرة بطيئة، إذ ظل مقتصراً على التجار القادمين من الشمال ومَنْ يتعامل معهم[1]، وهذا أمر طبيعي لكون المنخرطين الجدد لا يملكون بَعدُ العُدَّة العلمية المؤهلة لتبليغ هذا الدين، واتخذت جهود نشر الإسلام بين السكان الطابع الفردي من خلال مساهمة التجار المسلمين في حلهم وترحالهم، وعن طريق ممارستهم للعقيدة الإسلامية حصلت المعارف الإسلامية الأساسية[2].

لقد أسهم موقع توات في وسط الصحراء أن جعل منها خيط الربط بين مختلف الطرق التجارية؛ سواء طريق سجلماسة الرابط لها بالمغرب الأقصى، أو طريق السودان الغربي الرابط لها بمالي وموريتانيا، أو طريق اغدامس من الشرق الذي يربطها بليبيا ومصر، أو طريق قبائل الطوارق الضارب جنوب توات[3].

وكانت القوافل الصحراوية المتّجهة صوب بلاد السودان الغربي" تنطلق من تلمسان وحواضر الشمال الأخرى، وذلك مروراً بتوات التي تحولت إلى مركز عبور رئيسي تتجمع فيه القوافل القادمة من وارقلان (ورقلة) وغرداية، والأبيض سيدي الشيخ، وسجلماسة؛ لتنطلق منه اعتماداً على أدلاء توات والطوارق"[4].

لقد مثّلت توات بموقعها المتميّز ملتقى قوافل التجارة العابرة للصحراء، وكان لحركتهم التجارية الفضل الكبير في توافد عدد كبير من الفقهاء والدعاة المسلمين إلى تلك الأرض، ما جعل أهلها يتقبَّلون الإسلام ويُقبلون عليه إقبالاً نشط الحركة العلمية

[1] محمد شقرون: الإسلام الأسود، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2007، ص 33.

[2] عثمان برايما باري: جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الأفريقي، ط1، دار الأمين، مصر، 2000، ص4.

[3] أحمد أبا الصافي جعفري: المخطوطات الجزائرية وأعلامها في المكتبات الإفريقية، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، دار نور رشاد، الجزائر، 2015، ص 15.

[4] محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، ج1، ص ص141-167.

إلى درجة أن " جلبت إليها خلال القرن الخامس عشر الميلادي(التاسع للهجرة) أنظار العالم، وذلك باعتبارها قطباً إقتصادياً ومركزاً حضارياً وعلمياً، وبلغت أوج ازدهارها الحضاري خلال القرن السادس عشر الميلادي(العاشر للهجرة)، فقصدها الطلاب والعلماء من كل فج، والتفتت إليها ممالك الإسلام الإفريقية تسترشد بعلمائها وتتقوّى بنفوذها، وتأخذ من معارفها وحضارتها"[1].

كما قام علماء توات بدور الوسيط الذي أوصل الرسالة إلى الحواضر المجاورة، والتي يشهد لها بذلك الإرث الثقافي المخطوط الذي يُعدُّ أصدق تعبير عن تلك الصلات، فالمؤلفات التي انتشرت بين علماء الحواضر والمراسلات العلمية والفقيهة، وتفرع الأسر العلمية وانتشارها في العديد من الحواضر الصحراوية بالجنوب الجزائري، كالفلانيين[2]، والبكريين[3]، والكنتيين[4]؛ وغيرهم من الأسر العلمية، يبقى أحد الشواهد

[1] عبد الله مقلاتي و رموم محفوظ: دور منطقة توات الجزائرية في نشر الاسلام والثقافة العربية بإفريقيا الغربية، دار الشروق،2009، ص22.

[2] وعن أصل تسميتهم يذكر عبد الله فودي أن مصطلح (الفلاّتة)، الذي يطلق على الفلاّن والفلاّنيون، هو مصطلح عربي مشتق من الجذر العربي (فلت) فهم قوم يفلتون فينجون بأنفسهم عندما يرون ما يسوؤهم. للاستزادة ينظر: عبد الحكيم الوائلي: موسوعة قبائل العرب، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن،2002م، ج1، ط3، ص1709. ينظر: محمد باي بلعالم: إرشاد الحائر إلى معرفة قبيلة فلان في جنوب الجزائر، ط1، 1433هـ، ص17-19. عثمان بري: جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، ط1، دار الأمين القاهرة، 2000م، ص 322.

[3] ويشار بها إلى البكريين المنتسبين إلى العلامة الشيخ سيدي محمد البكري بن الشيخ سيدي عبد الكريم بن محمد (فتحا) التمنطيطي، وهي من العائلات العلمية التي كان لها دوراً بارزاً في بعث الحركة العلمية بالإقليم. ينظر: محمد عبد الحق بكراوي: دور الزوايا البكرية التواتية في المحافظة على الهوية الوطنية الجزائرية، مجلة الحقيقة، جامعة أدرار، الجزائر، ع:25، ص396. عبد السلام الأسمر بلعالم: الحياة الفقهية في توات، خلال القرنين 10 و13هـ، رسالة دكتوراه في العلوم الإسلامية، تخصص: الفقه وأصوله، قسم الفقه وأصوله، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر- باتنة، الجزائر، السنة الجامعية:2015-2016، ص317-318.

[4] قبيلة كنتة: تُعد من إحدى القبائل العربية الأكثر انتشارا في منطقة الصحراء والساحل الإفريقي، قدموا من الشمال ومن بلاد السودان الغربي باتجاه توات، على فترات متقطعة، وينتهي نسبها إلى الصحابي الجليل عقبة

على هذا التواصل الثقافي والروحي مع الحواضر العلمية القصيّة والمجاورة، إلى جانب ذلك أسّس التواتيون المساجد والزوايا والمدارس وخزائن الكتب، وأوفدوا العلماء لترسيخ جذور الإسلام وتثبيت دعائمه وتصحيح مسيرته.

وهكذا بدأ تأثير عوامل النهضة الفكرية التي شهدها الإقليم في غضون القرن الحادي عشر للهجرة، وتبلورت واتضحت معالمها في القرن الثاني عشر للهجرة، فأصبح الإقليم مركز إشعاع حضاري وثقافي يقصده العلماء والشيوخ بحثاً عن العلم والعلماء، خاصة في مواسم الحج والتجارة.

كما تميزت توات عن بقية الحواضر الأخرى من مثيلاتها في الحواضر الصحراوية بتدوين إنتاجها الفكري؛ وهو ما حفظ لها الاستمرار والبقاء عبر الأجيال المتعاقبة وجعلها محل أنظار المؤرخين.

بن نافع الفهري(ت.63هـ)، مؤسّس القيروان. ينظر: الزركلي خير الدين: الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، 2002م، ج 04، ص241. محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، ج01، ص66-67.

المبحث الثالث: منطقة توات في بعض كتابات الرحالة المسلمين والأجانب:

وردت كلمة توات في كتابات العديد من الرحالين العرب والأجانب؛ فأحيانا ترد بالوصف لطبيعتها الجغرافية ونمط العيش فيها، وأخرى بالذكر المباشر أو ذكر بعض مقاطعاتها.

وقدّمت لنا هذه المصادر والمراجع التاريخية صورة واضحة المعالم عن التطور التاريخي للمنطقة، وعن الحقب الزمنية التي برزت فيها توات كقطب تجاري مهم يربط الحواضر الصحراوية بالجنوب الجزائري، مع حواضر الشمال الإفريقي ومع حواضر بلاد السودان الغربي.

كما شكّلت الرحلة منذ عهد بعيد وسيلة لاكتشاف العالم، ولعل من أقدم الإشارات في كتب أدب الرحلات؛ ما ذكره اليعقوبي (ت.289هـ) في كتابه تاريخ البلدان، حيث يقول: " ومن سجلماسة إلى من سلك متوجهاً إلى القبلة يريد أرض السودان من سائر بطون السودان يسير في مفازة مقدار خمسين رحلة ثم يلقاه قوم يقال لهم أنبية من صنهاجة في صحراء ليس لهم قرار، شأنهم كلهم أن يتلثموا بعمائمهم، سنة فيهم"[1].

ويُستشف من هذا النص نمط العيش الذي كان سائداً عند قبائل البربر التي كانت تجوب الصحراء غير مستقرة في موضع محدّد.

أما ابن حوقل (ت. 367هـ) فيحدّد الحيّز الجغرافي الذي لا ينطبق وصفا إلَّا على المنطقة الواقع فيها إقليم توات ؛ حيث يقول: " وتوغل في براري سجلماسة واودغست ونواحي لمطة مشرقاً إلى فزان فيه مياه عليها قبائل من البربر الذين لا

[1] اليعقوبي: البلدان، تح: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، دت، ص 199.

يعرفون الطعام ولا الشعير ولا شيئاً من الحبوب والغالب عليهم الشقاء والاتِّشَاح بالكساء وقوام حياتهم اللحم"[1]، ويقول أيضاً في كتابه (صورة الأرض) ما يأتي: " وفيما بين اودغست وسجلماسة غير قبيلة من قبائل البربر متعزبون لم يروا قط حضارة ولا عرفوا غير البادية العازبة فمن ذلك ...قبيل عظيم من المقيمين بقلب البَّر على مياه غير طائلة لا يعرفون البُر ولا الشعير ولا الدقيق وفيهم من لم يسمع بهما إلَّا بالمثل وأقواتهم الألبان وفي بعض الوقت اللحم"[2].

وما يفسّر هذا لكلام ترحالهم المستمر وعدم استقرارهم لممارسة الزراعة. وهذا يعطينا صورة واضحة على أن المنطقة في ذلك الوقت أو تلك الحقبة الزمنية لم تعرف استقراراً لساكنيها أو حتى للمارين بها. وذكر بعدها قوتهم وشدّتهم ومعرفتهم بمسالك الصحراء؛ وهو ما أهلهم ليكونوا أدلاء عابري تلك الطرق، ونستنتج من هذا أن المنطقة كانت منطقة عبور لا غير.

أما الشريف الإدريسي (ت.559هـ)؛ فيبين لنا من خلال حديثه عن الطريق من مصر إلى سجلماسة؛ أن الطريق الذي اتخذه المرابطون لوصولهم إلى إفريقية؛ هو الطريق الممتد عبر البهنسا المصرية، ومنها عبر مدن وصحاري ومفاوز وجبال، حيث يقول:" الآن نذكر الطريق من مصر إلى البهنسا ثم إلى مدينة سجلماسة مرحلة مرحلة، وهو الطريق الذي أخذه المرابطون في سنة ثلاثين وخمس مئة تخرج من مصر"[3] إلى أن يقول: " ثم إلى ايدمر ثلاث مراحل صحراء بلا ماء إلى سلكاية مرحلتان ثم

[1] ابن حوقل: كتاب المسالك والممالك، مطبعة بريل، 1873، ص58.

[2] أبي القاسم ابن حوقل: صورة الأرض، دار صادر، بيروت، ط2، 1938، ص101.

[3] الشريف الأدريسي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422هـ/2002م، ص 344.

إلى تسامت مرحلة إلى سجلماسة مرحلة وهذا الطريق قليلا ما يسلكه أحد وإنما يسلكه الملثمون بدليل"[1].

وإذا ربطنا الشواهد الثلاث السابقة، يمكن القول بأن منطقة توات بدأت في هذا القرن تعرف نوعاً من الشهرة والانفتاح على البلدان المجاورة مع بروزها كطريق تجاري مختصر إلى سجلماسة.

كما تحدث الرحالة المغربي أبو سالم العياشي (ت.1090هـ) عن توات أثناء وصف طريق رحلته الحجازية بعد خروجه من سجلماسة مروراً بوادي الساورة وقرى بني عباس وقرى بني يخلف وما تبعها، حيث يقول:" أول عمالة توات وهي قرى تسابيت"[2]، ثم يذكر بعدها قصدهم قصور توات الأقرب لصرف العملة بها وما كان في تلك الديار[3].

أما الرحالة والمؤرخ المغربي أبو القاسم الزياني (ت.1249هـ) فأورد من خلال رحلته (الترجمانة الكبرى) منطقة توات وهو يعدد المراحل التي مر بها في رحلته، حيث يقول: " وبعده على مراحل إقليم تيقورارين، وبعده بمراحل إقليم توات مدن وقصور وقرى لا تحصى وكلها بلاد النخيل والفواكه والمياه العذبة في الآبار المتّصلة[4] إلى أن تخرج على وجه الأرض"[5].

---

[1] الشريف الأدريسي: المرجع نفسه، ص 345، ينظر أيضا: بغداد غربي: العلاقات التجارية للدولة الموحدية، رسالة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران01، السنة الجامعية 2014-2015، ص102.

[2] أبو سالم العياشي: الرحلة العياشية، ص 79.

[3] ينظر أبو سالم العياشي: المرجع نفسه، ص37، ص74 وما بعدها، ص 120، ص172.

[4] في قوله إشارة إلى الفقارات، وهي آبار متصلة على امتدادات طويلة ينتقل الماء من خلالها إلى أن يخرج مع مستوى الأرض، يقسم بطريقة معروفة محلياً لتسهيل الاستغلال الزراعي.

[5] أبو القاسم الزياني: الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور براً وبحراً، تح: عبد الكريم الفيلالي، دار نشر المعرفة، الرباط، 1991، ص 68.

كما ذكرها الرحالة ابن بطوطة (ت.779هـ)، إذ يذكر استعداده وقصده السفر إلى توات قافلاً إليها من جهة مصر وليبيا، وما تبع ذلك من عدة حضرها لبلوغ غايته، بعد وصول خطاب إليه وكان في تكدا، حيث يقول:" وقصدت السفر إلى توات، ورفعت زاد سبعين ليلة.... وخرجت من تكدا يوم الخميس الحادي عشر لشعبان سنة أربع وخمسين (وسبعمئة)"[1]. ويصف مسيرته إلى دخوله توات عبر بودا، ومكوثه بها لأيام ثم قصده سجلماسة[2].

أما العلامة ابن خلدون(ت.808هـ)، ففي ذكره لمواطن البربر بإفريقية والمغرب، يذكر بودة وتمنطيت(تمنطيط) وتسابيت وتيكورارين[3]، وكلها من امتدادات إقليم توات الشاسع الأطراف.

أما الحسن الوزان الملقّب بليون الإفريقي (ت. 957 هـ)، فيذكر تسابيت وتيقورارين من أقاليم توات[4]، وقد يستغرب عدم ذكره لتوات كذكره مِنْ قِبَلِ سابقيه في الزمن، وعدم ذكره هذا يمكن تفسيره؛ إما بعدم مكوثه مدة طويلة في الأماكن التي مر بها، أو لعدم المرور بها أصلاً؛ كتسابيت التي لا يظهر من خلال كلامه أنه وصلها، ففي حديثه عن تيجورارين وفيقيق[5]، يذكر لفظة "هنا" التي تدل على مشاركة المكان، إضافة إلى اختصاره الحديث بالنسبة لتسابيت، وهي الأقرب إلى أراضي توات.

---

[1] ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار)، تح: محمد عبد المنعم العريان، دار احياء العلوم بيروت، ط1، 1987، ص712.

[2] ابن بطوطة: المرجع نفسه، ص713.

[3] عبد الرحمن بن خلدون: تاريخ ابن خلدون، مطبعة دار الفكر، ص 131 وص 134.

[4] الحسن الوزان: وصف إفريقيا، ص 505.

[5] نلاحظ في مثل هذه الإشارات شيئاً من اختصار المسافات، والتي توحي أحياناً بتجاور البلدان، غير أننا بالنظر إلى الواقع تبدو تلك المسافات بين البلدان كبيرة.

أما محمود كعت (ت.1075هـ)، فيذكر توات في سياق حديثه عن عزم الباشا علي بن عبد القادر الرحلة إلى الحج وخروجه إلى أرض توات، وكانت وقتها أحد الطرق التي يختارها الحجيج لما توفره للقوافل من أمان ومؤنة، وهي الوجهة التي اختارها سلطان كنكن موسى في رحلة حجه الشهيرة.[1]

أما ابن الدين الأغواطي، فقد ذكرها في رحلته التي وافقت فترة توسع الأطماع الاستعمارية، إذ كتب رحلته سنة 1242هـ، وذكر فيها معلومات عدت قيمة وغير مسبوقة من وجهة النظر الاستعمارية لقربها من فترة الامتدادات الاستعمارية على إفريقيا، زار من خلالها عدّة مناطق داخل الجزائر وخارجها، ولأهميتها ترجمت إلى لغات عدّة كالفرنسية والانجليزية[2].

كما وصف أهلها الرحالة الألماني جيرهاردر رولفس في رحلته قائلاً: " إنهم قوم مسالمون يحبون الغرباء ويحترمون رجال الدين"[3]. ولعل هذه الميزة هي التي جعلت الكثير من العلماء والتجار يستوطنون بها[4].

[1] محمود كعت التنبكتي: تاريخ الفتاش، تح: آدم بمبا، دار الرسالة ناشرون، ص121-122.

[2] أبو القاسم سعد الله: مجموع رحلات، المعرفة الدولية، الجزائر، 2011، ص80 وما بعدها. ولم يذكر له أبو القاسم سعد الله ترجمة ولم نعثر فيما بحثنا أكثر مما جمعه المؤلف.

[3] نقلاً عن: فرج محمود فرج: إقليم توات خلال القرنين 18 و19م، ديوان المطبوعات الجامعية، والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1977، ص14.

[4] سيرد في عنصر العلماء الذين زاروا المنطقة نماذج من العلماء الذين قدموا من العواصم العلمية البارزة واستوطنوا في توات لمدَدٍ زمنية تختلف على حسب كل عالم وظروفه.

ومن الرحالة والجغرافيين الأجانب المتأخرين[1] ممن استفادوا كثيراً من الحسن الوزان استفادة كبيرة أوقدت فضولهم لمزيد الاكتشاف؛ ذكروا توات في رحلاتهم، منهم الرحالة الألماني جيرهارد رولفس[2] ، بالإضافة إلى المؤرخان الفرنسيان مارتن وبرنارد[3].

إلى جانب كتابات الرحالة المسلمين والأجانب في التعريف بمنطقة توات، هناك بعض الكتابات لأبناء المنطقة وعلمائها، نذكر منهم: الشيخ مولاي أحمد بن هاشم التواتي (ت.1253هـ)، والشيخ سيدي عبد القادر بن عمر (ت.1121هـ)، بالإضافة إلى الشيخ سيدي عبد الرحمن بن عمر التنلاني (ت.1189هـ)، والشيخ محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكري (ت. 1374هـ)، والشيخ مولاي أحمد الإدريسي الطاهري (ت.1399ه)، والشيخ سيدي أحمد النحوي.

وفذلكة القول، فإن منطقة توات موغلة في القدم، ولم تُحدد المصادر التاريخية المتوفرة تاريخاً واضحاً لبداياتها، والمعروف أن هذه المنطقة تميزت بمعطيات طبيعية

---

[1] تجدر الإشارة إلى أن تلك الرحلات المنظمة من قبل الأجانب لم تكن بريئة، بل حملت في طياتها بذور تمهيد الطريق للأطماع الاستعمارية، فأمدت تلك التقارير الدول الاستعمارية بمعلومات جغرافية واجتماعية وطبيعية وحتى عسكرية عن المناطق التي توغل فيها أولئك الرحالة، وكانت فعلاً تلك البلدان بعدها مستعمرات تتقاسمها الأطماع الفرنسية والإيطالية والبريطانية. ينظر: إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983م، ص53.

[2] هو رحالة الماني، ولد سنة 1731 بمدينة فيغزاك بألمانيا، كان والد طبيباً وكان يعده لدراسة الطب، لكنه تطوع في الجيش وارتقى إلى رتبة ملازم ...، تعلم العربية ومنها بدأ الرحلات، له رحلات عدّة جاب خلالها كل أقطار الصحراء. توفي عام 1896 بمسقط رأسه. ينظر: اسماعيل العربي: الصحراء الكبرى ...، المرجع السابق، ص89. غانم عماد الدين: الرحالة الألماني رولفس وليبيا، مجلة البحوث التاريخية، ليبيا، مج1، ع1، 1979، ص139.

[3] ينظر: محمد الصالح حوتية: توات والأزواد...، مرجع سابق، ج02، ص429 وما يليها. طاهري عبد المالك و بوسعيد أحمد: الرحالة والمستكشفون الفرنسيون في توات خلال القرن التاسع عشر ودورهم في احتلال المنطقة، مجلة عصور الجديدة، مج10، ع04، جامعة وهران، ديسمبر 2020، ص ص 308-326.

أهلت وجود الاستقرار البشري لتوفر وجود المياه (الفقاقير)، والآبار الارتوازية، كما استمدت المنطقة أهمية اقتصادية كبيرة من موقعها كنقطة التقاء العديد من طرق التجارة الصحراوية الداخلية والخارجية، التي أهلتها لأن تكون بها أسواق ومستودعات للبضائع الواردة من الشمال والجنوب، وتداولها نقداً ومقايضة للسلع المحلية والأوروبية والسودانية.

ونظرا لما تمتعت به منطقة توات من نشاط اقتصادي واجتماعي متنوع انعكس على الوضع الثقافي فيه، وساهمت المؤسّسات التعليمية في إثراء الحياة العلمية، وأفرزت المنطقة بعض الشخصيات المثقفة التي نهلت من معين الثقافة الإسلامية، وما وجود مكتبات الجوامع والزوايا وخزائن الكتب العامة والخاصة سوى دليل على الجو الثقافي السائد في أغلب قصور المنطقة.

الفصـــل الأول

لمحـــة عن الحركة العلمية بتوات قبل القرن الثاني عشر للهجرة.

المبحث الأول: بوادر الحركة العلمية والثقافية في توات.

المبحث الثاني: خزائن المخطوطات ودورها العلمي بإقليم توات.

- **تمهيد:**

يُعـدُّ القـرن الثـاني عشـر للهجـرة؛ بمثابـة العصـر الـذهبي في تاريـخ تـوات، ذلـك بالنظـر للعـدد الهائـل مـن العلمـاء الـذين نبغـوا فيـه[1]، فكـان محـل أنظـار الدراسـات والأبحـاث علـى غـرار الفـترات التاريخيـة الأخـرى، فبـزغ نجـم التـواتيين في البلـدان المجـاورة وتوسّـعت علاقـاتهم الثقافيـة مـع الـبلاد العربيـة والإفريقيـة[2]، خاصـة عنـد بدايـة اسـتقرارهم في هـذه المنـاطق أو عنـد ظهـور ظـاهرة الفقهـاء التجـار الـذين آثـروا العمـل بالتجـارة علـى التـدريس؛ هـروباً مـن تـولي خطـة القضـاء بالـديار التواتيـة، لكـن دون انقطـاع عـن نشـاطهم العلمي والدعوي[3].

وسـنحاول في هـذا الفصـل إعطـاء لمحـة عـن الحركـة العلميـة والثقافيـة في تـوات قبـل القرن الثاني عشر للهجرة.

المبحث الأول: بوادر الحركة العلمية والثقافية في توات.

قبـل الحـديث عـن الحركـة العلميـة والثقافيـة في تـوات، يجـدر بنـا أن نسـلط بعـض الضـوء علـى جـذور هـذه الحركـة، لأن الحاصـل لم يكـن ليخـرج مـن عـدم، بـل هـو تـراكم لأعمـال جليلـة وعوامـل عديـدة، سـاهمت في تشـكيل بنـاء تبلـور كحركـة علميـة ونشـاط فكري ميز إقليم توات.

[1] أحمـد أبا الصـافي جعفـري: رجـال في الـذاكرة محمـد ابـن أُبّ المزّمـري 1160هـ/1747م، حياتـه وأثاره، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2004م، ص32.

[2] عبد الحميد البكري: المرجع السابق، ص ص26- 66.

[3] مبـارك جعفـري: تنقـل علمـاء تـوات وتأثـيرهم في السـودان الغـربي خـلال القـرن 12هـ/18م، المرجـع السـابق، ص ص144- 145.

إن موقع إقليم توات، من حيث هو معبر حتمي لقوافل التجارة العابرة للصحراء بين حواضر بلاد المغرب الإسلامي وإفريقيا جنوب الصحراء، أضفى على المنطقة حركية اقتصادية نشطة، ساهمت إلى حد كبير في اجتذاب العديد من الجماعات البشرية، التي آثرت الاستقرار في الإقليم لما يُوفّره من أمن ورغد عيش[1]، وقد أشار إلى ذلك ابن خلدون الذي وصف توات بقوله:" أنها بلد مستبحر في العمران، وأنها الممر الحتمي الذي تسلكه القوافل إلى بلاد السودان (مالي)" [2].

وتُشرف توات أيضا، على طريق آخر لا يقل أهمية عن الطريق الأول، وهو طريق تسلكه للبيع ركاب الحجاج القادمين من سجلماسة وشنقيط، والمتوجّهه نحو الحجاز عبر صحراء ليبيا ومصر، والذي مرّ به الرحالة المغربي أبوسالم العياشي[3].

ولا شك أن لركاب الحجاج أهمية بالغة في تنشيط الحركة العلمية في المحطات والمراكز التعليمية بتوات تتوقف عندها، إذ عادة ما يحمل الركب علماء أجلاء يديرون خلال فترات الراحة بعض الدروس، يتهافت طلبة العلم في توات إلى حضورها للاستزادة من علومهم وطلب الإجازة منهم.

كما ساهمت العديد من العوامل في النهوض الفكري والثقافي للمجتمع التواتي، نذكر البعض منها على سبيل المثال لا على سبيل الحصر:

1- الصلات والروابط الثقافية:

امتازت توات بموقعها الاستراتيجي المتمركز على الطريق الصحراوي الرابط بين حواضر بلاد المغرب الإسلامي وإفريقيا جنوب الصحراء، ونظراً لأهميتها الاقتصادية

[1] ابن بابا حيدة: القول البسيط، مصدر سابق ص 11.

[2] ابن خلدون: كتاب العبر، مصدر سابق، ج07، ص 76.

[3] أبو سالم العياشي: الرحلة العياشية (ماء الموائد)، مصدر سابق، ج01، ص 20-21.

والسياسية، فقد شهدت نمواً عمرانياً واستقراراً لشعوب وقبائل من مختلف الحواضر الشمالية والجنوبية، كما استقر بها علماء وفقهاء كان لهم الدور الأبرز في ربط توات علمياً بمختلف الحواضر القصيّة والمجاورة، منها في بلاد السودان الغربي، والمغرب الأقصى، والجزائر[1].

ولعل هذه العلاقات كانت علاقات تأثير وتأثر بين شعوب المنطقة خاصة مع فاس وتلمسان وإفريقيا الغربية وحتى مصر والحجاز وغيرها من الأقطار العربية والإسلامية، ونظراً لتوفر المادة الكافية عنها في المراجع نكتفي بذكر الكتب التي أشارت إليها[2]. ونورد منها على سبيل المثال الشيخ عبد الله محمد التواتي(ت.1031هـ)، الذي كان من أشهر معلمي مدرسة الباي أبي الحسن علي باشا في تونس، وكان كثير التأليف والكتابة، وله كتاب باسم شرح" شواهد العربية التي في كتاب سيبويه، وآخر باسم "شرح لامية الأفعال" [3].

2- الرحلات العلمية:

شكّلت الرحلات العلمية التي قام بها مجموعة من العلماء وطلبة العلم من أهل توات إلى الخارج بُغية الاستزادة في طلب العلم؛ أحد أهم عوامل النهضة الفكرية والثقافية داخل المجتمع التواتي ، فقد أشفوا غليلهم، ثم عادوا إلى ديارهم محمّلين بالعلم والكتب النادرة والمهمة، نذكر منهم على سبيل المثال: الشيخ عبد الرحمن بن عمر

[1] عبد الله بابا: التواصل العلمي بين حاضرة توات والحواضر الجزائرية من القرن 10-12هـ/ 16-19م، مجلة رفوف، مج11، ع01، جامعة أدرار، جانفي2023، ص ص 475-488.

[2] الصديق حاج أحمد: العلاقات الثقافية بين توات والحواضر المجاورة، مجلة الحقوق والعلوم السياسية، مج 02، ع02، جامعة الجلفة، جانفي 2009، ص ص 313-317.

[3] يوسف خنفر: منهجية التأليف الصرفي عند الشيخ أبي عبد الله محمد التواتي (ت.1031هـ)، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج12، ع02، جامعة غرداية، ديسمبر 2019، ص ص 01-22.

التنيلاني (ت.1189هـ) الذي ارتحل إلى سجلماسة وإلى فاس ودرس وتعلّم، وعاد بعدها إلى توات ، والشيخ عمر بن عبد القادر التنيلاني(ت.1152هـ)، والشيخ سيدي أحمد الرقادي(ت.1063هـ) وغيرهم كثيرون، ولكن المجال لا يتّسع لذكرهم بالتفصيل.

كما شكّلت توات، على مرّ التاريخ، موطن الهجرة القسرية والاختيارية، على حد سواء، لكثير من الأشخاص والقبائل الفارة من فساد الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، أو تلك التي كانت تعاني من خلافات مع السلطة السياسية في الممالك الأمازيغية التي حكمت بلاد المغرب الإسلامي، بدءً من الرستميين والزيريين والحماديين إلى المرابطين والموحدين، وصولا إلى تلك التي عاصرها المغيلي؛ كالزيانيين والحفصيين، والمرينيين[1].

المطلب الأول: توافد العلماء إلى إقليم توات:

يشهد التاريخ بأن العديد من العلماء والرحالة زاروا منطقة توات وخلَّدوا ذلك في كتاباتهم وسيرهم، منهم من اتخذها ملاذاً، ومنهم من سلكها معبراً، ومنهم من قصدها عالماً أو متعلماً، وفي كلٍ كانت لهم بصمات يعود لها الفضل في إثراء الرصيد الثقافي والفكري بالمنطقة.

فقد توافد على توات خلال القرنين العاشر والحادي عشر للهجرة العديد من العلماء، وهذا راجع إلى الاستقرار الأمني بها، ومنهم عبد الله أبي بكر العصموني

[1] محفوظ رموم: الفكر المناهض للوبي اليهودي في الجزائر: مقاربة نموذجية في ارتدادات الثورة المغيلية، مجلة الحقيقة، مج16، ع01، جامعة أدرار، مارس 2017، ص ص 140-141.

(ت.910هـ)، والشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي[1] (ت.909هـ)، والشيخ أحمد بن الشيخ محمد الكنتي (ت.1063هـ)، وغيرهم كثيرون.

كما تشير بعض المصادر التاريخية، إلى أن الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي هو أول من دوّن وسجّل رحلته في بداية عصر النهضة الثقافية والعلمية في إقليم توات[2]، وذلك مع تلميذه سيدي عمر الشيخ الكنتي(ت.960هـ)، وهي رحلة حجازية قام بها الشيخ قصد تأدية فريضة الحج، مما يوحي لنا بأن فن الرحلات الحجازية خلال القرن العاشر للهجرة كانت متواصلة، ثم انقطعت وأعاد الشيخ سيدي محمد أبي نعامة إحياءها في القرن الثاني عشر للهجرة[3].

وتميزت هذه الرحلة بطابعها العام وقالبها الأدبي، بحيث وردت فيها مجموعة من الأساطير والحكايات الخرافية التي يعجز العقل عن تصديقها، بالإضافة إلى الطرائف

---

[1] هو عبد الله محمد بن عبد الكريم بن محمد المغيلي التلمساني، ولد بالقرب من تلمسان وعلى الأرجح بمواطن قبيلة مغيلة البربرية بالغرب الجزائري، نشأ بتلمسان، حيث تلقى تعليمة على يد شيوخها، ثم تحوّل إلى مدن أخرى بالمغرب الأوسط والأقصى لمتابعة دراسته، فأخذ عن الشيخ يحي بن يدير وعن الشيخ عبد الرحمان الثعالبي عالم الجزائر ووليها (ت. 875هـ)، كما درس على الشيخ أبي العباس الوغليسي ببجاية، فاكتسب ثقافة دينية وأدبية أهلته لأن يعد من علماء عصره، فنال التقدير وحظي بالاحترام من طرف العديد من العلماء. وكان المغيلي من أكابر علماء القرن التاسع للهجرة، لما اشتهر به من ثورة على تخلف وانحراف المنطقة التي هاجر إليها عقب ظروف خاصة بالمغرب الأوسط (الجزائر)، وقد اتخذ المغيلي منطقة توات وتمنطيط مستقراً ومجالاً للدعوة وتجديد روح الإسلام ثم اتصل بحكام الهوسة الوثنيين بالسودان الغربي، وكانت له محاورات مع الحاج محمد الأسقيا حاكم سنغاي، كما كان للمغيلي مواقفه الحادة من سيطرة اليهود على تجارة السودان الغربي، فحارب نفوذهم ودعاهم إلى الالتزام بالعهود والنصوص الإسلامية والقوانين الضابطة لعلاقات المسلمين بأهل الذمة في الدولة الإسلامية. **ينظر**: ناصر الدين سعيدوني: من التراث التاريخي والجغرافي للمغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1999م، ص266. أحمد بن يحي الونشريسي: كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية، نشر وتعليق: محمد الأمين بلغيث، مؤسسة لافوميك للنشر والتوزيع، الجزائر 1985م، (مقدمة المحقق) صفحات، ص 05-13.

[2] الصديق الحاج أحمد: العلاقات الثقافية بين توات والحواضر المجاورة، ص 238.

[3] عبد الرحمن بن عمر التنيلاني: الرحلة، المخطوط السابق، ص 02.

واللطائف الدالة على صبغتها الأدبية، فهي أقرب إلى الرحلات المغربية منها إلى الرحلات التواتية؛ كرحلة العياشي، ورحلة بني مليح، وغيرها من الرحلات المغربية، ويزيد في طابعها الأدبي مجموعة من القصائد؛ كاليمية على وزن البردة ورويّها في مدح النبي صلى الله عليه وسلّم، نسجها وألقاها عند دخوله الروضة الشريفة، التي قال في مطلعها:

بُشْرَاكَ يَا قَلْبِي هَذَا سَيِّدُ الأُمَمِ *** وَهَذِهِ حَضْرَة المخْتَارِ فِي الحَرَمِ

وَهَذه الروضَـــةُ الغَـراء ظَاهِرة *** وَهَذه القُبة الخضراء كَالعَلَمِ[1]

ولعل ثاني رحلة مدوّنة عرفها الإقليم التواتي، هي رحلة الشيخ عبد الكريم بن أمحمد التمنطيطي[2] المعنونة بـ: " تحفة المجتاز إلى معالم أرض الحجاز"، وهي من الرحلات النثرية التي ألفها صاحبها وفق منهجية خاصة على غير نمط الرحلات الأخرى، حيث أنه افتتحها بمقدمة؛ ورد فيها بعض فضائل الحج، ثم الباب الأول الذي عالج فيه أدب المسافر لهذا المقام، أما الباب الثاني في أفعال الحج والعمرة وأحكامهم وضوابطهم، وتطرق في الباب الثالث إلى ذكر ما أمكن من المزارات التي شاهدها في الطريق[3].

[1] مقدم مبروك مقدم: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية، ط01، مؤسسة الجزائر كتاب للطباعة والنشر والتوزيع، تلمسان- الجزائر 1422هـ/2002م، ص 90.

[2] عبد الكريم بن أمحمد التمنطيطي: ولد رحمة الله عليه عام 994هـ بتمنطيط وبها نشأ وتعلم على يد والده، ثم سافر يطلب العلم عند الشيخ سعيد بن قدورة، والشيخ عبد الحاكم بن عبد الكريم، والشيخ عبد الرحمن بن علي السجلماسي، والشيخ عبد الصمد بن عبد الرحمان وغيرهم. ومن أهم تآليفه: غاية الأمل في إعراب الجمل وهو شرح على لامية ابن الجراد، وتحفة المجتاز إلى معالم أرض الحجاز، وشقائق النعمان فيمن جاوز المائة بزمان، ينظر: عبد الكريم بن محمد البكري: المخطوط السابق، ص40. وأيضا: عبد الحميد البكري: المرجع السابق، ص120-125،

[3] عبد الكريم بن محمد البكري: المخطوط السابق، ج1، ص48.

كما كان للشيخ رحلة علمية فهرسية، عدّد فيها شيوخه الذين درس عندهم ومجموعة كبيرة من الأعلام المغاربة، وتحتوي على قصائد شعرية، يقول في مطلع الرحلة: «... الحمد لله الذي بين الأرواح والأشباح وأقام شهادة الكائنات على توحيده بالألسن والأحوال الفصاح ...وبعد فقد سألني من أعدُّ امتثال أمره فرضاً وأرى إجابة طلبه ربحاً محضاً أن أُبيّض له رحلتي القصيرة، أذكر له ما استهل من الفوائد الأثيرة..."[1].

المطلب الثاني: العوامل التي أسهمت في جذب توات للعلماء:

هناك عدّة عوامل أهّلت حواضر توات لأن تكون منطقة جذب، وجعلتها قبلة وممراً لكثير من قوافل التجارة الصحراوية والعلماء؛ نذكر منها ما يأتي:

أ) – وقوعها في طريق الحج:

بعد أن عمّ الإسلام أراضي الصحراء وتَشرَّبَ أهلها تعاليم الاسلام، واستكمالا لأركانه؛ كان المسلمون في مواسم الحج ينظمون أنفسهم في ركاب ليكون بعضهم ظهيراً لبعض، ولأن السفر يتم على الجمال والخيل وغيرها من الدواب؛ كان لزاماً اختيار الطريق التي يكثر أمنها أولا، والتي توفر الكلاء والعشب والماء لهم ولماشيتهم[2]، وكذا المرور على المدن الكبيرة التي توجد بها أسواق وتنشط بها التجارة لاستدراك ما فاتهم من حاجيات.

ولما كانت أرض توات تحقِّق لهم كل ذلك؛ كانت ملتقى الحجيج، فكان ركب الحجيج الوافدين من بلاد السودان الغربي بقيادة الشيخ الحاج أحمد بن الحاج الأمين

[1] نفسه، ج1، ص 71. وقد تمّ تحقيقها من قبل عبد الحميد البكري.

[2] جلول بن قومار: هاجس الأمن عند ركب الحجاج المغاربة من خلال الرحلات الحجية(ق17م-ق18م)، مجلة الحوار المتوسطي، مج 08، ع02، جامعة سيدي بلعباس، ديسمبر 2017، ص ص 11-23.

(ت. 1137هـ)؛ الملقب بالتواتي الغلاوي أو الولاتي؛ نسبة إلى "ولاته" تجتمع بزاويته الشيخ أبي نعامة الكنتي (شيخ الركب النبوي) الواقعة في أقبلي لينضم إليها ركب حجيج توات وتافيلالت.

لم يكن الحج مجرد رحلة تعبدية لأداء منسك من مناسك الاسلام، بل كان أيضا رحلة علمية تتوق فيها همم العلماء للقاء فكري وروحي، لذلك لم تخل رِكاب الحجيج من علماء يوجهون الناس ويُرشدونهم في أمور الحج، ويفتون للناس فيما يطرأ عليهم من نوازل في رحلتهم تلك، فكانت الأفكار تتلاقح والمعارف تتسع، وكان فرصة العلماء في تحصيل الإجازات وعقد الدروس وإقامة المجالس العلمية التي استفاد منها سكان المنطقة عامة وطلبة العلم بالزوايا؛ خاصة وأنها كانت تأوي الحجيج وتستضيفهم.

ب) – طبيعتها وبساطتها المواتية للسكن:

تقع توات في أقصى الجنوب الغربي من الصحراء الجزائرية، ولعل هذا الموقع أهَّلها لأن تكون وسطاً بين الحواضر العلمية الصحراوية بالمنطقة[1]، ورغم مكانتها تلك ظل أهلها على بساطتهم في الملبس والمأكل وظلت أرضها ملاذاً آمنا للتجار على تجارتهم وللعلماء على علمهم ومكانتهم، وقد وصف أهلها الرحالة الألماني (جيرهاردر

[1] عبد الله بابا: التواصل العلمي بين حاضرة توات والحواضر الجزائرية من القرن 10-12هـ/ 16-19م، مجلة رفوف، مج11، ع01، جامعة أدرار، جانفي 2023، ص ص 475-488.

رولفس): " إنهم قوم مسالمون يحبون الغرباء ويحترمون رجال الدين"[1]. وتذكر بعض المصادر أن تمنطيط من أرض توات كان بها حوالي ثلاثمئة تاجر ذهب يهودي[2].

وإن كان هذا تعاملهم مع الغريب المختلف عنهم في العقيدة، فما بال من يُشاركهم العقيدة والدين، ومن له فضل التمكّن في العلم فوق ذلك، لقد عرف أهل توات بالمسالمة منذ عهد بعيد، كما عرفت أرضهم بالأمان، وهو ما جعل العديد من العلماء يأوون إليها خصوصاً أولئك الذين لم تستقر بهم الأوضاع في بلدانهم، بسبب تذبذب العلاقات السياسية بها وإقحام العلماء فيها.

لقد استقطبت أرض توات العلماء من أصقاع الأرض، منهم من مر بها زائراً، ومنهم من حطَّ بها الرحال، ومنهم من حلَّ بها معلِّماً أو متعلِّماً، ولعل أبرز الوافدين إليها الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت.909هـ) الذائع الصيت والبالغ الشهرة، والغني عن ذكر ما كان له من إسهام في بعث الحركة العلمية والثقافية بالمنطقة[3]، وغيره كثير ممن تركوا بصماتهم واضحة جلية.

[1] ينظر: رمضان حينوني: معاملة الأجنبي بمنطقة الساورة في القرن 19م؛ قراءة في مذكرات الرحالة الألماني جيرهارد رولفي، مجلة جيل البحث، جامعة تمنراست، ع42، 2018، ص: 159-160. إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ت، د.ط)، ص 90 وما بعدها.

[2] ابن بابا حيدة: القول البسيط في أخبار تمنطيط، ص 30.

[3] أحمد الحمدي: محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد النهضة الفكرية بتوات: عصره وآثاره، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والإسلامية، جامعة وهران، السنة الجامعية: 1999-2000.

ج) – احتفاء أهل توات بالعلماء:

لقد كانت توات على امتداد العصور ملتقى عدَّة ثقافات وعدّة أجناس بشرية[1]، وهذا ما فرض نوعا من التعايش الاجتماعي المبني على احترام الآخر، ولما جاء الاسلام لم يجد هنالك عنتا في قبول أهلها له، بل على العكس حسن اسلامهم وزاد في تهذيب نفوسهم، فكانوا يحتفون بالغريب فضلا عن العالم، وهو ما جعل الرحالة الألماني (جيرهارد رولفس) يعلنها صريحة أن أهل توات" قوم مسالمون يحبون الغرباء ويحترمون رجال الدين"[2].

لذلك؛ فلم يدّخر أهل توات جهداً في خدمة العلم وإجلال حامليه، إذ أنشأوا المساجد والزوايا بأموالهم الخاصة وأوقفوا لها الأوقاف لتظل قائمة السند المادي لينعم قاصدوها بكل ما يُحقّق لهم الغاية في طلب العلم، وما المساجد المنتشرة فيها والزوايا التي تملأ كل زاوية منها إلَّا دليل تمسّكهم تعاليم دينهم الحنيف.

وكما أنشأ أهل توات المؤسّسات العلمية وعملوا على عمارتها وجلب العلماء الذين كانوا يحظون بمكانة علمية بارزة لإعمارها، ومن العلماء الوافدين على توات؛ نجد مثلاً العالم أبو يحي المنياري (ت. 840هـ) من قبيلة منيار بالمغرب، نزل بتوات وعُيّن قاضياً، وكانت مؤونته على أهلها[3]، وكذا العالم الفقيه سالم بن محمد أبي بكر العصنوني التلمساني (ت. 968هـ) قد نزل بأرض توات مع عمّه عبد الله العصنوني فولي خطة القضاء بحاضرة تمنطيط[4].

---

[1] محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكراوي التمنطيطي: تقيد حول تاريخ تمنطيط، مخطوط بالخزانة البكرية بتمنطيط، أدرار، ورقة 01، وجه 01.

[2] فرج محمود فرج: مرجع سابق، ص 30.

[3] ابن بابا حيدة: القول البسيط في أخبار تمنطيط، ص 30.

[4] البكراوي محمد بن عبد الكريم: درة الأقلام، ص 19.

د) – السعي إلى الالتقاء بعلماء توات ومدارستهم:

لقد أحدثت نازلة يهود توات جدلاً كبيراً بين علماء توات، استدعى مراسلتهم لعلماء الحواضر العلمية المجاورة استفتاء وطلبا للمشورة، وكان لذلك الجدل أن لفتت أنظار علماء الحواضر المجاورة وطلبة العلم إلى توات، خصوصاً وأن الشيخ المغيلي بعلمه وشهرته كان المحرك للنازلة، ورغم الآراء المختلفة في القضية، إلَّا أنها أبانت عن معدن علماء توات وتمكُّنهم واستيعابهم لعلوم الشريعة ووقوفهم عند مقاصدها[1].

ويظهر علو كعبهم وجدية طروحاتهم جلياً من خلال ما خلفوا من مؤلفات في فقه النوازل تَـنِمُّ عن فهم وإدراك مكَّنهم من التعامل مع ما استجد عندهم من حوادث؛ كفتاوى الشيخ عبد الكريم البلبالي، ونوازل الجنتوري، ونوازل الزجلاوي وغيرها.

المطلب الثالث: العلماء الذين زاروا منطقة توات.

لقد كانت توات مهوى أفئدة كثير من العلماء الذين وجدوا فيها مستقراً ومتاعاً، أما المستقر فالأمن وطيب المنزل وأما المتاع؛ ما وجدوه من رحابة صدر، وما تهيأ لهم من سُبل العلم ونشره، وقد ذكرنا حين الحديث عن العوامل التي استمالت العلماء إلى توات وجعلتها قبلتهم ووجهتهم بعضا من العلماء الذين خلَّدوا بصماتهم في تاريخها.

ونذكر فيما يلي جملة أُخرى من أولئك العلماء؛ كان لها الفضل في دفع حركة العلم والثقافة بها، ولم نشأ التفصيل في ترجمتهم اختصارا على ما يشير بعلو كعبهم وتمكّنهم من العلوم المؤهلة لهم بأن يرتادوا المجالس والمحافل معلمين ومدرّسين:

[1] محفوظ رموم: الفكر المناهض للوبي اليهودي في الجزائر...، مرجع سابق، ص139 وما يليها.

أ) – سيدي سليمان بن علي بن عمر الحسني (ت. 670هـ):

كان من الأعيان الصالحين الزهاد بتوات، قَدِم إليها من فاس سنة 581هـ بطلب من شيخه سيدي علي بن حرزهم؛ قائلا له: "انطلق إلى مكان عباده وأهله كلهم أناس صالحون وهو توات"[1]، وإليه ينسب تأسيس أول زاوية وقفية في الاقليم سنة نزوله به[2].

ب)– أبو يحي المنياري (ت. 840هـ):

نزل أرض توات سنة 815هـ حسب ما ورد عن حفيده ابن بابا حيدة؛ حيث يقول:» وجدُّنا نزل تمنطيط عام خمسة وعشر وثمانمائة في القرن التاسع بعد الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام، وتولى خطة القضاء بالديار التواتية، وكانت مؤونته عليهم فيما يحكى؛ خمسمائة مثقال لكل سنة، ويُحكى عنه العدل والصلاح"[3]. وكان توليه للقضاء في نفس السنة التي نزل بها[4]، وما ذلك الاَّ للعلم الواسع الذي شهد له به أهل توات، فقضوا بتوليته خطة القضاء.

[1] محمد الصالح حوتية: توات والازواد، ج1، ص 274.

[2] أحمد أبا الصافي جعفري: أبحاث في التراث، منشورات الحضارة، الجزائر، 2011، ص326. عبد الحميد بكري: النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن التاسع الهجري إلى القرن الرابع عشر، دار الغرب، الجزائر، ط2، 2007، ص75.

[3] ابن بابا حيدا: القول البسيط في أخبار تمنطيط، ص 30.

[4] عبد الحميد البكري: المرجع نفسه، ص 80

ج)- يحي بن يدير التدلسي[1](ت.877هـ):

من كبار فقهاء المالكية، نزل بتوات سنة 845هـ[2] في حياة أبو يحي المنياري، عرف كسابقه بعلمه وفقهه فوُلِّيَ القضاء بتمنطيط. أخذ عنه محمّد بن عبد الكريم المغيلي، وقيل توفي في قسنطينة[3].

د)- الشيخ ميمون بن عمرو بن الباز (ت.901هـ):

نزل توات وافداً من فاس بالمغرب، وكان نزوله بتمنطيط نهاية القرن التاسع للهجرة، عُرف بعلمه وفقهه فتولى القضاء، وهو الجد الأول الذي تَنسُل منه العائلة البكرية التي حملت لواء العلم بعده.

هـ)- الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني (ت.909هـ):

خرج من تلمسان متوجها صوب توات؛ بسبب قلقه على الأمة الإسلامية، وإنكاره على الحكام خروجهم على التقاليد الإسلامية في سياسة رعاياهم[4]. تتلمذ على يد شيخه يحي بن يدّر، وعرف بالفقه لأخذه أمهات الكتب الفقهية على

---

[1] يذكره أحمد بابا التنبكتي في استدراكه على الديباج بـ " يحي بن يدر بن عتيق التدلسي أبو زكرياء". التنبكتي أحمد بابا: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ط1، بيروت، دار ابن حزم، 2002، ص509.

[2] محمد بن عبد الكريم البكراوي: درة الأقلام، ص19.

[3] عادل نويهض: معجم علماء الجزائر، مؤسسة نويهض الثقافية، لبنان، ط2، 1980، ص62.ينظر: أبي القاسم محمد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانة، الجزائر،1906، ص192.

[4] " ففي عهده سقطت غرناطة آخر معقل للمسلمين بالأندلس على يد ملك قشتالة وآراجون سنة 1492م". مبروك مقدم: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، د.ط، 2006، ص27.

شيخه الجلاب[1]، كما عرف بالذكاء والفهم. ذاع صيته وبلغت شهرته؛ خصوصاً بعد محاربته اليهود في منطقة توات.

خلف لنا الشيخ المغيلي العديد من المؤلفات، شملت علوما عديدة، منها التفسير والحديث، والفقه واللغة زادت عن عشرن مؤلفا، محققا وغير محقّق، نوجز منها الآتي[2]:

- البدر المنير في علوم التفسير.
- الأربعون المغيلية، أو أربعون حديثا.
- تفسير سورة الفاتحة.
- عمل اليوم والليلة.
- كتاب لُبّ اللُّباب في ردِّ الفكر إلى الصواب.
- مفتاح النظر في الحديث.
- إفهام الأنجال أحكام الآجال.
- إكليل المغني.
- إيضاح السبيل في بيوع آجال خليل.
- تأليف في المنهيات.
- حاشية على المختصر.
- شرح بيوع الآجال من ابن الحاجب
- مصباح الأرواح في أصول الفلاح
- مفتاح الكنوز.

[1] هو السيد أحمد بن عيسى المغيلي، وعنه حفظ القرآن.

[2] مقدم مبروك مقدم: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية، ص ص 122-125.

- أجوبة اسئلة الأمير أسكيا للإمام المغيلي
- هدية المسترشدين ونصيحة المهتدين
- الرد على المعتزلة
- مناظرة المغيلي للسنوسي.

و)- عبد الله ابن أبي بكر العصنوني(ت.914هـ):

دخل توات قادماً من تلمسان سنة 862هـ، ونزل بتمنطيط، وتولى بها قضاء الجماعة بعد وفاة شيخه القاضي يحي بن يدر التدلسي السالف الذكر.

ز)- سالم بن محمد أبي بكر العصنوني(ت. 968هـ):

قدم إلى توات مع عمه عبد الله العصنوني[1] المذكور آنفاً، وكان عالماً وفقيهاً، تولى خطة القضاء بتمنطيط، ثم قصد بلاد السودان داعياً.

ح)- عمرو بن محمد بن عمرو الباز الأمريني التمنطيطي (ت.872هـ):

كان من أولياء مدينة فاس، ومن علمائها ووجهائها، مجتهداً في تدريس العلوم، ذائع الصيت، قدم توات بعد خشيته مكر ملك المغرب وقتها، ونزل بتيمي وبعدها إلى تمنطيط، وما لبث أن قصد بلاد التكرور واستقر بها، وله بتوات عقب كما له بولاتن[2].

[1] يذكر شيخ المؤرخين الجزائريين أبو القاسم سعد الله بأن:" ...الاضطرابات السياسية التي كانت تعرفها تلمسان إبّان العهد الزياني، وما ترتّب عن ذلك من فساد الحكام، وصمت العلماء، دفع بالعديد من علماء تلمسان إلى مغادرتها والتوّجه إلى توات" ومنهم علماء عائلة العصنوني. أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998، ج1، ص357.

[2] محفوظ بن ساعد بوكراع: الفرقد النائر في تراجم علماء أدرار المالكية الأكابر، دار الكتب العلمية، ص 55.

ولعلَّ الملاحظ فيما ذكر أن أغلب العلماء كان نزولهم بتمنطيط، وهذا ملحظ يسترعي الانتباه ويستدعي التساؤل عن البلدان الأخرى بأرض توات. والتحقيق أن تمنطيط كان لها خلال القرنين الثامن والتاسع للهجرة دوراً علمياً ريادياً جعلها مركز إشعاع ثقافي، وهذا لا يعني بحال أن المراكز العلمية الأخرى بمنطقة قوارة وتوات الوسطى وتيديكلت لم تكن فعالة في هذا المجال، غير أن هذه المدينة اتسعت شهرتها لنزول عدد كبير من العلماء بها، والذين تركوا بصمتهم في توات والمناطق المجاورة لها[1].

إنَّ مما استفادته توات من توافد العلماء إليها أن: " أنشأوا بها المدارس التي كان من مبادئها نشر الإسلام واللغة العربية، مما ساهم في بث روح الثقافة الإسلامية في المنطقة، كما عمل هؤلاء العلماء الوافدون على تدريس المنظومات الفقهية والنحوية، وتفسير كتاب الله تعالى بلغة تفهمها العامة والخاصة من الناس"[2]، وهذا لعمري ديدن العالم المسلم؛ كالغيث أينما وقع نفع.

لقد أثرى توافد العلماء على منطقة توات الحركة العلمية والثقافية بها، وكان لهم الدور الإيجابي في إقبال أهل المنطقة على القرآن وعلومه حفظا ودراسة وتفسيرا، وكان لهم أيضا الفضل في تنشيط الحركة اللغوية من خلال ما أوفدوه من علوم لم تكن متداولة؛ كعلم البيان، ومما ساهموا به من كتب إستقدموها معهم، ومن شروح لمنظومات نحوية ولغوية وفقهية أفادوا بها العلماء وطلبة العلم.

[1] سالمي زينب: الحركة العلمية في إقليم توات خلال القرون 08-10هـ، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، السنة الجامعية: 2011-2021، ص27.

[2] عبد الله عماري: إسهام منطقة توات في الدرس النحوي، مجلة الذاكرة، ع 01، ص 273.

المطلب الرابع: أهم الرحلات في الفترة مجال الدراسة:

1- رحلة عبد القادر بن عمر التنيلاني:

وهي رحلة نثرية علمية تُعرفُ عند أهل الاختصاص "بالفهرسة"، ويعرّف حسين نصار هذا النوع من الرحلات بقوله"...الفهرسية: وهي التي يقتصر مؤلفها على ذكر الشيوخ الذين قرأ عليهم، والكتب التي درسها معهم..."[1]، ترجم فيها الشيخ لأهم الذين أخذ عنهم العلم وتفقه على يديهم وهم مغربيون وزيتينيون نذكر منهم أبا عبد الله بن محمد بن أحمد المنساوي وغيرهم، كما يشير كذلك إلى أهم العلوم التي درسها، وهي كثيرة ومتنوعة، منها علم التجويد واللغة العربية وأصول الفقه وعلوم التفسير والتصوف وعلم المواقيت والحساب وغيرها من العلوم، وتميزت بمنهجية راقية حيث بدأها بالعلوم التي حصل عليها، ثم الشيوخ الذين تتلمذ على يديهم ويتطرق فيها من حين لآخر إلى بعض المسائل الفقيه ويبن حكمه فيها[2] .

2- رحلات عبد الرحمان بن عمر التنيلاني:

يُعدُّ عبد الرحمان بن عمر التنيلاني الرائد الأول في تدوين الرحلة، ويتضّح ذلك من خلال ما تركه من رحلات مختلفة الأغراض والأهداف، منها الرحلة الفهرسية التي جمع فيها رحلاته العلمية الثلاثة وهي الأولى، والتي كانت إلى بلاد التكرور وتعرض فيها طريقة التدريس التي كانت مستعملة عند شيخه، والثانية إلى أروان، والثالثة إلى سجلماسة وفاس، ويحتوي هذه الكتاب على مجموعة من الأعلام الذين تخرج على إيديهم عبد الرحمان بن عمر التنيلاني، منذ بداية تعلمه الأول وإلى غاية نهاية مسار الدراسي. يقول الشيخ في مطلعها راجي عفو ربه الكريم، وفضل جوده العميم، عبد

[1] حسين نصار: أدب الرحلة، دار نوبار للطباعة، مصر, 1991م، ص 18.

[2] عمر بن عبد القادر التنيلاني: المخطوط السابق، ص 72 وما بعدها.

الرحمن بن عمر التواتي منشأ ومولدًا الأموي أصلاً ومحتداً، الحمد لله الذي فضّل أمة محمّد صلى الله عليه وسلم على سائر الأمم، وثبّت طائفة منها على الحق، حتى يأتي أمر الله لا تزلُّ بهم قدم، واختار لحصْل دينه من كُل خلف منها عُدُوله ليبَلغُوه لمِنْ بعدهم من أرباب العناية والهمم..."[1]. بالإضافة إلى رحلته الحجازية.

3- رحلة ضيف الله بن محمد بن أب[2]:

هي رحلة داخلية نثرية، تعرف عند المختصين بالرحلة الزيارية، تقع هذه الرحلة في مائة وأحد عشر (111) ورقة وبخط رقيق[3]، وشملت معظم القصور والمدن التواتية المهمة مثل: قصر بوعلي، وسالي، وتيمادنين، وأقبلي، وتقراف، ومطرون، وغيرها من المناطق، وكان المقصد الأول لها وهو زيارة قبر الوالد وشيخه. وتحتوي الرحلة على مجموعة من الفوائد المهمة والنصائح المفيدة التي تدل على أن المؤلف كان على قدر كبير من الزهد والورع، كما أن له باع واهتمام بالغ بالجانب التربوي ويتعرض الشيخ إلى سرد خلاف له مع والده بن أب المزمري[4].

---

[1] عبد الرحمان بن عمر التنيلاني: الفهرسة، ص 77.

[2] هو ضيف الله بن محمد بن أب بن حميد بن عثمان بن بكر المزّمري، ولد سنة عند الظهر ليوم السبت عشر من شوال 1122هـ ينتمي إلى قبيلة أولاد أحمد من حينون، تلقى العلم على يد والده ونبغ فيه، من تأليفه الرحلة ومجموعة من القصائد في فنون كثيرة توفي أواخر القرن الثاني عشر للهجرة ينظر: عبد القادر بن عمر التنيلاني: المصدر السابق، ص39.

[3] عبد الله كروم: الرحلات بإقليم توات؛ دراسة تاريخية وأدبية للرحلات المخطوط بخزائن توات، دار دحلب، الجزائر، 2007م، ص 84.

[4] ضيف الله بن أب: المخطوط السابق، ص 01-03.

4- رحلة مولاي أحمد بن هاشم العموري[1]:

تكتسي هذه الرحلة بعداً تاريخياً مهماً في تدوين تاريخ المنطقة خاصة من ناحية الأنساب والقبائل وتاريخ قدومها ومكان تواجدها، كما أنه عدَّد القصور التواتية، مثل المستور الذي كان مقصده من الرحلة، وذلك من أجل زيارة أجداده، وكان ذلك سنة 1113هـ. ومن بين القصور كذلك قصر أولاد عمور وفنوغيل والجديد، كما أنه يضبط تاريخ دخوله لأي قصر من القصور، ويقول الرحالة في مطلعها بعد الحمد لله والثناء على الرسول صلى الله عليه وسلم: "...طلبت من والدي الإذن بزيارة المستور من بلدة رقان البلد الذي يرقد فيه أجدادي ...وفي صباح الليلة التي بيتنا عند عمي قطعنا السبخة وقضينا اليوم عند سيدي عبد الواحد ب أمقيدن تركنا قصر بالحاج ..."[2].

ونظراً لأهميتها التاريخية، فقد اهتم بها الضباط الفرنسيون، ومن بينهم المؤرخ "مارثن" الذي ترجم الكثير منها إلى الفرنسية في كتابه، أما نسختها الأصلية؛ فهي في خزانة مولاي علي سليماني.

5- رحلة عبد الله بن أحمد الفلاني:

تميزت هذه الرحلة عن غيرها من الرحلات التواتية من حيث التصنيف، فهي تجمع بين نوعين من أنواع الرحلة وهي؛ الرحلة العلمية وذلك أن صاحبها كما يذكر

---

[1] أحمد بن هاشم العموري، لم تشير المصادر حسب علمي إلى السنة التي ولد فيها ولا بترجمة وافية عنه قام بزيارة أجداده في قصر المستور بسالي، سنة 1113هـ، توفي 13 رمضان 1199هـ، كما أثبت على الوجه الأول للرحلة الموجودة بخزانة أدغا" ينظر: عمر بن عبد القادر التنيلاني: المصدر السابق، ص37، وأيضا: عبد الله كروم: الرحلات بإقليم توات؛ دراسة تاريخية وأدبية للرحلات المخطوط بخزائن توات، دار دحلب، الجزائر، 2007م، ص22.

[2] أحمد بن هاشم العموري: رحلة مولاي أحمد بن هاشم، مخطوط بخزانة أدغاغ، أدرار، ص 01.

في مطلعها أن الغرض منها وهو طلب العلم في توات، ولما أشتد أزره وتبوأ منصباً من العلم سافر إلى الحج- الرحلة الحجازية- مع شيخه عبد الرحمان بن عمر التنيلاني، كما أن في مطلع هذه الرحلة يحكي عن مساره الدراسي وكيفية حصوله على الإجازة من طرف شيوخه، وتشبه إلى حد كبير فن كتابة المذكرات واليوميات، وعلى الرغم من اختصارها إلا أنها بليغة من حيث الأسلوب مقارنة مع الرحلات الأخرى وذات قيمة تاريخية عالية منها بعض القضايا السياسية التي كان الإقليم يعاني منها يقول الشيخ في مطلعها "...الحمد لله الباقي وكل من عليها فان والصلاة والسلام على سيدنا محمد ولد عدنان وبعد فيقول أفقر الفقير مولاه عبد الله بن أحمد الفلاني ..."[1].

6- رحلة عبد الرحمان بن إدريس التنيلاني[2]:

تُعدُّ هذه الرحلة من الرحلات الداخلية التي اهتمت بتدوين الأحداث التاريخية المهمة في تاريخ الجزائر، وبدأت الرحلة من تنيلان في عام 1231هـ قاصد خلالها ثغر الجزائر المحروسة، حيث مرّ صاحب الرحلة على مجموعة من المناطق، وصف خلالها العديد من العوائد الاجتماعية والثقافية والحالات الاقتصادية، مثل مدينة غرداية وتميمون ومتليلي[3] الذين مدحهم كثيراً، ثم سافر إلى مدينة المدية عاصمة بايلك

[1] عبد الله بن أحمد الفلاني: المخطوط السابق، 01.

[2] عبد الرحمان بن إدريس بن عمر بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف التنيلاني ولد عام 1181هـ بتنيلان أخذ العلم عن الشيخ سيدس محمد بن عبد الرحمان بن عمر وعن سيدي محمد بن أحميدة الجزلاوي، سافر الى مدينة فاس وأخذ العلم عن سيدي عبد القادر بن سقرون عرف عنه أنه كان عالما ماهرا في أصول الفقه والتفسير وكان حافظا للمسائل توفي في شهر جمادى الثانية عام 1233هـ بمدينة سوى الليبية وهو قادم من فريضة الحج، ينظر : عبد الجليل ملاخ: الحملة الانجليزية على مدينة الجزائر من خلال رحلة الشيخ عبد الرحمان بن إدريس التنيلاني، ضمن فعاليات أعمال الملتقى الوطني الرابع، إسهامات علماء توات في الحركة الفكرية والثقافية أبان العصر الحديث 15000م- 2000م جامعة أدرار 19 / 20 ابريل 2010م، ص154- 155 .

[3] عبد الرحمان بن إدريس: الرحلة إلى الجزائر العاصمة، مخطوط بخزانة أبا عبد الله، أدرار، ص03.

التيطري، ومنها دخل إلى الجزائر، وكانت مدة إقامته في الجزائر متزامنا مع الحملة الانجليزية الهولندية على مدينة الجزائر[1] .

7- رحلة لمؤلف مجهول:

وهي رحلة حجازية؛ مؤلفها لم يفصح عن اسمه، أما ناسخها فهو "عبد القادر بن عمر المهداوي"، تورد في مطلعها العديد من الشخصيات التواتية التي تؤكّد على أن الرحلة تواتية التأليف، منهم السيّد الحاج محمد عبد الحفيظ بن الشيخ سيدي الصالح بن سيدي محمد، والسيد عمر بن الحاج عبد الرحمان التنيلاني، وهؤلاء الثلة هم كبار قصر المهدية في عصرهم، مما يوحي بأن مؤلف الرحلة من المهدية أو له علاقة مع سكانها، وانطلاقتها كانت من المهدية وكان المبيت في تمنطيط على عادة القوافل الحجازية.

وتتحدث عن المسالك وبعض القرى التي يمر عليها ركب الحجاز، وتصف في بدايتها الأولى منطقة عين صالح وطريقتهم وعادتهم في الزواج؛ باعتبار أن المؤلف شاهد مظهر منها، ثم تستمر في الوصف ويتركز أكثر في الطريق الواصلة بين مصر والحجاز، يقول المؤلف في مطلعها: "... الحمد لله الذي تفضل علينا بالرحلة إلى حج بيته الحرام وقدر ذلك في سابق علمه وقضى به، وجعله من أفضل المرام ومنّ علينا بالتوفيق له لننخرط في سلك ذلك النظام لنقتصى أثر أرباب القلوب من السادات الكرام والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيدنا العرب والعجم المبعوث إلى كافة الأنام وعلى آله وصحبه لُيُوث الكفاح ومصابيح الظلام...خرجنا من بلد المهدية أمّنها الله من كل بلية ورزية، عشية الجمعة بعد صلاة العصر في الأوائل من رجب

[1] ملاخ عبد الجليل: الحملة الانجليزية على مدينة الجزائر من خلال رحلة الشيخ عبد الرحمان بن إدريس التنيلاني، ص155-157.

وافق الثاني عشر من أبريل فارتحلنا وكان مبيتنا ببلدة تمنطيط عند ساقية "ورملن" ورحبوا بنا أربابها ..."[1] . ويستشف من خلال هذا النص، بأنها لا تختلف كثيرا عن الرحلة المدروسة في كل المناهج التي ألفت بها.

8- الرحلة الشوقية[2]:

وتُعدُّ من أهم الرحلات الشعرية التاريخية (الشعر الملحون)، التي سجلها التواتيون، وهي رحلة حجازية دوّنها ولد سيد الحاج، بناءً على ما وصف له من أخبار عن الطريق والبقاع والمنازل الموجودة في طريق الحج، ويقول الشاعر في مطلعها:(شعر شعبي)

صَلّ يا رب عَلى النّبي وأهل أصحابه دُوك اللّـــــــي جيـــران في الَقبر

بوبكر والسيّد عُمـــــر[3]

[1] مؤلف مجهول: الرحلة الحجازية، مخطوط بخزانة أدغاغ، أدرار، ص 01.

[2] ولد سيد الحاج: هو أمحمد بن محمد الحاج بن سيدي ممد أبي نعامة بن عبد الرحمان الهاملي الكنتي المعروف ب "ولد سيد الحاج " لولدته في البقاع المقدسة في موسم الحج ولد بحي الزاوية من أقبلي سنة 1170هـ وأمه هي السيدة العلفية المكناة بأم العفو من عائلة بلكو تعلم القرءان و العلوم الشرعية على يد مشايخ قريته وتشبع بمعرفة سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم، كان ميالاً إلى قول الشعر الملحون وتوجه إلى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم حتى سمي بذلك " مداح الرسول" له العديد من القصائد في المدح ومن جملة ما قاله: (شعر شعبي)

باغي زَوْرَه لْسيدنا رْسول الله دَبَّر يا خالقـــــــي عليَّ

فوق فْحَل صْحيح ساحي من لَضْرار بي ويظل جاري

رب شَقْ لَقْفار واقْلب الصحاري

ينظر: عبد المجيد قدي: صفحات مشرقة من تاريخ مدينة أولف العريقة، الجزائر، (د.ت)، ص 133-135، وأيضا: عبد الله كروم: الرحلات بإقليم توات؛ دراسة تاريخية وأدبية للرحلات المخطوط بخزائن توات، دار دحلب، الجزائر، 2007م، ص65-67.

[3] ولد سيد الحاج بن أمحمد: الرحلة الحجازية، مخطوط بخزانة أبي نعامة، أقبلي، أدرار، ص 01.

كما أطلعنا صاحب الرحلة على بعض العادات الاجتماعية التي كانت ترفق بمواسم الحج، ومنها الطبول تعبيراً عن الفرح، وإعلاماً عن خروج ركب الحجاج، لمن كان يرغبون في ذلك وترفع الأعلام الخضراء عند دخول الركب إلى أي قرية من قرى توات، ومن بين القرى والأماكن التي وصفها قرية عين صالح وطريق أزكر، حيث يقول عنها: (شعر شعبي)

عين صالح بَيْنْ لَقْصور من زَيْنْ لواركابه وامْدبر طريق لازَكْرْ

ومن المناطق كذلك كرادسة الواقعة في الحدود الليبية المصرية، ووصف قرية سوى التي يقول عنها: (شعر شعبي)

سُوى لها الْقلب فَارحْ أرض الرُهبان شَقْ مني

ووصف الطريق التي تمر على البحر الأحمر، والدخول مباشرة إلى أرض الحجاز، وتحدث عن كيفية أخذ لباس الكعبة من مصر إلى الحجاز في مواسم الحج، وإن ذلك يتم بحراسة مشدّدة. أما عن المياه، فإنه أشار إلى العديد منها، نذكر منها ماء اليهودية الذي قال عنه أنه قريب من الدار الحمراء وأرضه لا تعب فيها[1] .

[1] ولد سيد الحاج (بن أمحمد)، المخطوط السابق، ص01. خير الدين شترة: أضواء على الحياة الاجتماعية والاقتصادية لمصر وأقطار المغرب الاسلامي من خلال مخطوط رحلة الشيخ عبد الرحمن بن عمر الاموي التنلاني الى الحج سنة 1188هـ/1774م، مجلة المؤرخ المصري، عدد (85)، يناير 2021، ص ص: 121-130.

المطلب الخامس: رحلات علماء توات إلى الحواضر العلمية المجاورة:

يقول العلامة ابن خلدون عن أهمية الرحلة وضرورتها: " لا بُد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال"[1] . ولما كانت الرحلة العلمية رافداً من روافد الحركة العلمية ودليلا من دلائل الهمة في طلب العلم؛ لم يتخلف علماء توات عن ركبها، ولعلَّ من أقدم الرحلات التي أفادتنا بها خزائن الكتب والمخطوطات رحلة الشيخ سيدي عمرو بن سيدي محمد بن عمرو البازي الأمريني التمنطيطي(ت.872هـ)[2]، الذي ينتسل من العائلة البكرية، والتي أسهمت بشكل كبير وفعال في نشر الثقافة العربية الإسلامية في توات وخارجها[3].

ولم يكن علماء توات حبيسي أرضهم، ولم يمنعهم بعدها عن الحواضر العلمية المجاورة من التطلع إلى ما عند غيرهم من علوم ومعارف؛ بل كانت لهم صلات ثقافية وعلمية بعلماء الحواضر العلمية المجاور كـ: تلمسان، بجاية، الجزائر العاصمة، القيروان ومصر وليبيا والسودان الغربي، يقول أبو القاسم سعد الله: كانت صلة أهل توات بجامع القرويين وعلماء المغرب وعلماء إفريقيا وتلمسان قد جعلتهم في مكانة يغبطون عليها[4]، بما اجتمع لهم من ثقافات متعددة ميزتهم في طروحاتهم ونظرتهم للعلوم خصوصاً فيما عالجوه من نوازل، وكما استقطبت توات العلماء إليها؛ استقطبت الحواضر العلمية المجاورة علماء توات أيضاً، تارة للتزود من العلم ولقاء العلماء والاستزادة من العلوم والمعارف وتارة أخرى للدعوة إلى الإسلام ونشر العلم.

---

[1] ابن خلدون: المقدمة، ص614.

[2] عبد الحميد بكري: النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن التاسع الهجري إلى القرن الرابع عشر، دار الغرب، الجزائر، ط2، 2007، ص 102-105.

[3] المرجع نفسه، ص 102.

[4] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص 371.

فالناظر في تراجم أغلب علماء توات يلتمس ذلك التنقل والترحال المتكرر لهم في سبيل أخذ العلم أو ملاقاة العلماء أو لتأسيس زوايا علم ينشرون من خلالها علومهم وينشرون طرقهم الصوفية؛ لتعزيز أتباع تلك الطرق، إذ واكب انتشار العلم ببقاع توات انتشار الطرق الصوفية، والتي كان لها أثرها البالغ في إثراء المشهد الثقافي والعلمي في الحواضر العلمية عامة وحاضرة توات خاصة.

ويبدو أن" الحركة الثقافية التي صاحبت نشاط التجارة وانتقال الحجيج عبر منافذ عديدة زادت في عزيمة سكان تلك المناطق على التحصيل المعرفي، فتنقل هؤلاء عبر الحواضر العلمية المختلفة، بالأقطار المغاربية، ومصر، والحجاز بالمشرق العربي. وامتد نشاطها إلى بلاد السودان الغربي"[1].

وقد عرفت الهجرة إلى بلاد السودان الغربي من بين البلدان حركة نشطة خلال القرن الثاني عشر للهجرة، حتى أن من علماء توات من استقر هناك، وكان له فيها نشاط علمي ودعوي كبير، ومن هؤلاء نذكر الشيخ أبو القاسم التواتي[2].

وقد عرف علماء توات الرحلة في وقت مبكر، قبل القرن الثاني عشر للهجرة، وفيما يلي جملة من علماء المنطقة عرفوا برحلاتهم العلمية إلى حواضر متعدّدة طلباً للعلم، وقد أوردنا علماء من قرون متقدمة عن الزمن المحدد للدراسة للاستدلال على الهمة المبكرة في طلب العلم، وجدير بالذكر أن ننوه أن توات في القرن الثاني عشر

[1] صالح بوسَليم: أضواء على مراكز المخطوطات في الجنوب الجزائري؛ الواقع والآفاق، مجلة حوليات التراث، ع15، جامعة مستغانم، 2015، ص20.

[2] عبد الله مقلاتي ومحفوظ رموم: دور منطقة توات الجزائرية في نشر الإسلام والثقافة العربية بإفريقيا الغربية، ص62-63.

للهجرة عرفت نهضة علمية؛ كانت من ثمار تلك الرحلات بروز عدَّة علماء أجلاء، نذكر منهم:

أ- الشيخ أبي المكارم عبد الكريم بن أحمد التزدايني الجراري (ت.941هـ):

ولد بأولاد سعيد بمنطقة قورارة وبها تلقى تعلمه الأولي على يد والده، فأخذ القرآن ومبادئ علوم اللغة، ولشدة حبه للعلم وشغفه به انتقل إلى فاس للاستزادة من العلم وتنمية رصيده المعرفي[1].

ب- الشيخ عبد الكريم بن امحمد بن أبي محمد التواتي (ت. 1042هـ)[2]:

ينحدر من عائلة علمية، عرف والده بالعلم، وكانت له رحلة إلى فاس للاستزادة في طلب العلم، سافر الشيخ إلى عدّة حواضر علمية أحرز فيها علما أهّله لأن يتولى منصب قاضي الجماعة بتوات[3].

ج- سيدي محمد البكري بن عبد الكريم (ت. 1133هـ):

تربى الشيخ سيدي محمد البكري في عائلة علمية وتلقى تعلّمه الأولي على يد أخيه وشيوخ منطقته، وبعد حصوله على الاجازة قصد المغرب الأقصى في رحلته العلمية التي نهل من خلالها علوماً عدَّة وتبحر فيها ليعود قافلاً إلى أرض توات بزاد علمي أهَّله ليكون عالماً ومعلماً ومقتياً في أرض توات، وقام الشيح بعدَّة رحلات

[1] عبد الرحمان الجوزي: ذاكرة الماضي في حياة أولاد القاضي، بحث غير منشور، ص09.

[2] أحمد أبا الصافي جعفري: أبحاث في التراث، منشورات الحضارة، الجزائر، ط1، 2011، ص141.

[3] محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي: المصدر السابق، ص 20.

علمية أُخرى للحواضر العلمية في بلاد المغارب والمشارق كتونس ومصر ومكة المكرمة وفلسطين، والتقى بالعديد من العلماء وتواصل مع إخوانه المسلمين.[1]

د- عمر ابن أحمد البكاي (ت. 960هـ):

وهو من الأعلام المشهورين تتلمذ على يد شيخه محمد بن عبد الكريم المغيلي، ولعل حبه وشغفه بالعلم جعله يعرف بـ" الرحلات المشهورة إلى المغرب والأندلس ومصر والشام وأرض الحجاز، كل هذا برسم الاستفادة والزيادة من العلم"[2].

هـ- الشيخ محمد بن اسماعيل القراري (كان حيا بين 1064 و1090هـ):

هو من تلامذة الشيخ امحمد بن علي النحوي التمنطيطي ثم الأوجروتي المتوفي سنة 1064هـ، والتقاه العياشي المتوفى سنة 1090هـ أثناء رحلته، درس على يد الشيخ اللقاني بمصر، وكان أعجوبة في زمانه، زار مختلف الأقطار الاسلامية، حصل على مكتبة عامرة بالكتب في شتى الفنون؛ قل نظيرها في المنطقة، أوصى قبل موته بها إلى خادم الروضة الشريفة، ضاع منها ما ضاع ونفذت الوصية فيما بقي[3].

[1] بكراوي محمد عبد الحق وبكراوي محمد المهدي: الزاوية البكرية أعلام ومخطوطات الشيخ سيدي البكري بن عبد الرحمن أنموذجاً، مجلة رفوف، جامعة أدرار، ع02، 2013، ص346.

[2] عبد الحميد بكري: النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص75.

[3] مبارك جعفري: الحياة العلمية في إقليم توات وانعكاساتها على جنوب الصحراء خلال القرن الثامن عشر الميلادي: مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2009، ص73.

و- الشيخ الحاج بلقاسم بن الحسين بن عمر الأوسيفي (ت.1015هـ):

ولد بالمكان المسمى باسمه حاليا زاوية سيدي الحاج أبي القاسم بتميمون بقرية أوسيف، ذكر في ترجمته أن له تأليفاً وأشعاراً، ومما ورد في ترجمته أنه رحل إلى المغرب فدرس بـ"تادلا" وأخذ عن علماءها[1].

ورجع بعدها إلى توات عام 950هـ يفيض مما استفاد من علم على طلبته[2]، وأسَّس مسجداً وزاويةً بمسقط رأسه بعد رجوعه، ثم انتقل إلى قصر بني مهلال إماماً ومدرساً، وفي أزفافين أسس زاوية سميت باسمه، بقي فيها مدرساً ومربياً موجهاً إلى أن قضى وعد ربه، فأعلى الله ذكره في الخالدين.

ز- الشيخ سيدي عمر بن الحاج عبد القادر التنلاني التواتي (ت.1152هـ):

هو عمر الأكبر أبو حفص بن سيدي الحاج بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف التواتي التنيلاني، فقيه ونحوي وعروضي، ولد بتنلان 1098هـ/1686م، ارتحل إلى فاس سنة 1117هـ، ومكث بها لتحصيل الشهادات العليا في العلوم، فوصل الليل بالنهار ولزم الدّرس والتكرار إلى أن بلغ شاواً كبيراً فتصدّى للتدريس؛ فكان من أشهر أساتذة جامع القرويين[3].

---

[1]ـ محمد باي بلعالم: الرحلة العلية إلى منطقة توات ...، مرجع سابق، ج1، ص81. أبا الصافي جعفري: أبحاث في التراث، مرجع سابق، ص140.

[2] الصديق حاج أحمد: التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن الحادي عشر الهجري إلى القرن الرابع عشر الهجري، منشورات الحبر، الجزائر، ط2، 2011، ص73.

[3] أحمد أبا الصافي جعفري: الحركة الأدبية في أقاليم توات ...، مرجع سابق، ص 55. عبد الكريم طموز: فهرسة شيوخ الشيخ سيدي عمر بن الحاج عبد القادر التنلاني التواتي(ت.1152هـ/1739م)، مذكرة مقدّمة

ويذكر عنه أنه: "أقام بفاس ثلاثة عشر سنة طالباً فيها للعلم ومدرساً له، فمنذ وصوله اشتغل بالقراءة كما ذكر عن نفسه، فبدأ أولاً بالقرآن الكريم، وبعده اتجه إلى كافة العلوم التي عرفت في عصره، واتصل بمعظم، وأشهر شيوخ فاس في ذلك الوقت، وكانت له تحركات خارج فاس، فقد اتجه نحو مدينة مكناسة الزيتون وأخذ عمن ألفاه بها من العلماء، وذكر من لقيه منهم ولم يأخذ عنه"[1].

ح- الشيخ محمد بن أُبَّ المزّمري (ت. 1160هـ):

ولد بقصر أولاد الحاج بآولف في العقد الأخير من القرن الحادي عشر للهجرة، قضى حياته في العلم والتعلّم والارشاد والتوجيه، كان شخصية عالمة، حيث إنه كان يعرف بصاحب الجولان، فقد جال في المغرب الأقصى وفي مالي وتنبكتو إلى غيرها من البلدان التي كان يجوبها للاستفادة والإفادة[2].

وكان من ثمرات رحلاته تلك أن كان موسوعة في العلم، جمع إلى جانب القرآن الكريم؛ النحو، والعربية، والبلاغة، وغيرها من العلوم، فأثرى بمؤلفاته خزائن توات، وتعداها إلى خزائن الحواضر العلمية المجاورة.

ط- الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن ابراهيم بن عبد الرحمن الجنتوري (ت.1160هـ):

رحل إلى مصر والحجاز واخذ عن عشرات العلماء فيهما؛ بل وناظرهم، كان راسخ القدم في العلم، يقول: "اختبرت علماء القاهرة والحرمين فلم ألق فيهم من يصل

لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري- قسنطينة، السنة الجامعية: 2009-2010، ص ص01-09.

[1] أحمد جعفري: المرجع نفسه، ص 55. عبد الكريم طموز: المرجع نفسه، ص50.

[2] محمد باي بلعالم: الرحلة العلية إلى منطقة توات، ص 569. محمد عبد العزيز سيدي عمر: قطف الزهرات من أخبار ...، مصدر سابق، ص112-113.

أصبع رجل شيخنا أبي حفص[1](ت.1152هـ)، إلاَّ واحداً في علوم الحديث لقيته بمكة"، رفع راية العلم وحمل لواءها إلى عدة بلدان اسلامية وعربية، وكان بحق همزة وصل ربطت أواصر القرابة الدينية والثقافية والعلمية بين علماء المشرق والمغرب.[2]

ي- الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنلاني التواتي(ت.1189هـ):

ولد بتنيلان عام 1121هـ، وتلقى بها تعليمه الأول، كان نهماً محباً لطلب العلم معلقاً همته به، رحل إلى سجلماسة سنة 1168هـ، والتقى بشيوخها وأخذ عنهم القراءات والتجويد[3].

بعدها رجع إلى الديار التواتية وتصدّر بها الإفتاء، يقول عنه الشيخ المهداوي: "عالم العصر من أهل قيام الليل، كان من غرائب الدهر، تقدّم في جميع فنونه وكان شيوخ عصره يبالغون في الثناء عليه، صالحا، مجتهدا، نوازليا عجيبا، فاضلا في فنون كثيرة"[4].

ك- الشيخ سيدي محمد الإداوعلي (توفي قبل سنة 1198هـ):

ولد بشنقيط ثم انتقل منها إلى توات، كان عالما مشهوراً وشاعراً فحلاً، أسَّس بعد دخوله قصر أعباني[5] مسجده ومدرسته لتدريس القرآن، سافر إلى تافيلالت من أرض المغرب وتحديداً إلى بيت العالم الشيخ سيدي الغازي، وبعد إقامة يسيرة عاد إلى

---

[1] يقصد شيخه الشيخ عمر الأكبر التنلاني. وهو عمر بن عبد القادر بن أحمد بن يوسف، لقب بالأكبر تمييزاً بينه وبين الشيخ عمر التنلاني المهداوي الملقب بالأصغر. ينظر: عبد العزيز سيد اعمر، قطف الزهرات من أخبار علماء توات، دار هومة، الجزائر، ص 80.

[2] محمد باي بلعالم: المرجع السابق ص 571.

[3] عبد الرحمن باعثمان: عبد الرحمن بن عمر التنلاني الفهرسة " تحقيق ودراسة"، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة بشار، السنة الجامعية 2007-2008، ص28و81. عبد الكريم طموز: المرجع السابق، ص64.

[4] المهداوي: الدرة الفاخرة، ورقة 6ظ.

[5] أحد قصور منطقة توات الوسطى.

تـوات ليلتقـي مجـدداً بالشـيخ سـيدي البكـري بـن عبـد الكـريم لتـزداد شـهرته ويـزداد عطاؤه[1].

ل- الشيخ محمد الحسن بن محمد بن الحاج أحمد الفلاني (ولد 1283هـ):

ولـد بأقبلـي وتـربى في عائلـة ممتـدة النسـب العلمـي، نبـغ في الفقـه والنحـو والحـديث، وإلى جانـب مهمـة التـدريس الـتي مارسـها كانـت لـه رحـلات إلى منـاطق الصـحراء الـتي زار خلالها مالي وقضى بها زمناً يدرس ويلتقي بعلمائها[2].

م- الشيخ محمد بن عبد الرحمان الملقب بأبي نعامة (ت.1163هـ):

ولـد سـنة 1060هـ/1650م بسجلماسـة جنـوب المغـرب الأقصـى مـن قبيلـة كنتـة الـتي تـوطّن بربـوع الصـحراء وبـلاد السـودان الغـربي، تلقـى العلـوم الأولى والفقـه والأصـول علـى يـد والـده، وامتـدت بـه رحلـة العلـم مـن سجلماسـة وأحوازهـا إلى ربـوع الصـحراء، حيـث أكمـل تعليمـه واتسـعت مداركـه وتنوعـت مـوارد تعليمـه علـى يـد مـن التقـاهم مـن العلمـاء؛ مـن أمثـال الشـيخ أحمـد الحبيـب اللمطـي السجلماسـي(ت.1165هـ) بتافيلالـت، والعـالم سـيد أحمـد الخليفـة بـن عمـر بـن الشـيخ سـيد أحمـد الفيـوم بتنبكتـو، اسـتقر بـه مطـاف رحلاتـه العلميـة بأقبلـي مـن أرض تـوات وأسَّـس زاويـة اسـتقطبت العلمـاء والطلبـة ، وكانـت محطـة يلتقـي فيهـا الحجـاج القـادمون من بلاد التكرور وركب الحج التواتي، لينطلقوا باتجاه البقاع المقدسة[3].

---

[1] أحمـد أبا الصـافي جعفـري: الشـيخ سـيدي محمـد إداوعلـي (ق12هـ) حياتـه وشـعره)، مكتبـة النهضـة المصـرية، 2009، د.ط، ص 06-09.نفـس المؤلـف: الحركـة الأدبيـة في إقلـيم تـوات مـن القـرن السـابع الهجـري حـتى نهايـة القرن الثالث عشر الهجري، ج 01، منشورات الحضارة، ط1، 2009، ص57.

[2] محمد باي بلعالم: إرشاد الحائر إلى معرفة قبيلة فلان في جنوب الجزائر، ط1، 1433هـ، ص 33.

[3] محمـد الصـالح حوتيـة: تـوات والأزواد، ج1، ص281. صـالح بوسَـليم: المؤسّسـات الثقافيـة بإقلـيم تـوات؛ دراسـة تاريخيـة مـن خـلال الوثائـق المحليـة أثنـاء القـرنين 12و13هـ/ 18و19، أطروحـة دكتـوراه علـوم في التـاريخ الحـديث والمعاصـر، قسـم التـاريخ، كليـة العلـوم الإنسـانية والاجتماعيـة، جامعـة الجـيلالي ليـابس- سـيدي بلعبـاس، السـنة الجامعية: 2007-2008، ص278.

ن- أحمد بن عبد الله بن محمد البريشي الحسني القبلاوي الأزوادي (ت.1370هـ):

ولد بقصر اركشاش بأقبلي بمنطقة تيديكلت، كان محباً للعلم مجتهداً فيه، " درس أولا بساهل أقبلي على يد الشيخ حمزة، ثم رحل إلى صحراء بلاد مالي، وهناك واصل دراسته على أساتذة كنتة آل الشيخ المختار الكبير"[1].

س- الشيخ محمد باي بلعالم القبلوي الفلاني (ت.1430هـ):

ولد الشيخ محمد باي بلعالم سنة 1348هـ بقصر ساهل بأقبلي بمنطقة تيديكلت، والده الشيخ محمد بن عبد القادر، وأمه خديجة بنت محمد الحسن، كان والده عالماً قاضياً في منطقة تيديكلت، تلقى تعليمه الأول بمسقط رأسه في مدرسة ساهل بأقبلي، ثم انتقل إلى زاوية الشيخ مولاي أحمد بن عبد المعطي السباعي بسالي، مكث فيها سبع سنوات، قرأ فيها الفقه المالكي وأصوله، والنحو، والفرائض، والحديث والتفسير، وخلال مرحلة دراسته حصل على العديد من الإجازات، وبعد تخرجه من زاوية شيخه انتقل إلى مدينة أولف، حيث قام بتأسيس مدرسة للعلوم الشرعية تُعنى بتدريس الطلاب والطالبات، فأسّس مدرسة مصعب بن عمير الدينية، والتي لا زالت ليومنا هذا تؤدّي دورها التعليمي[2].

والمُلاحِظ لما ذكر من تراجم العلماء، مما دَلَّلنا به على رحلاتهم العلمية التي قصدوها لاستنهاض هممهم وبعث روح التنافس بينهم، يلحظ أننا تجاوزنا الحيز الزمني للدراسة قصداً لنؤكّد توارث ثقافة الرحلة العلمية لدى علماء توات خلفا عن سلف، وإن كانت قبل القرن الثاني عشر الهجري قليلة الالتفات إليها، إلَّا أن ثمارها بدأت في الظهور مع مطالعه.

[1] محفوظ بن ساعد بوكراع: الفرقد النائر، مرجع سابق، ص267.

[2] عبد المجيد قدي: صفحات مشرقة من تاريخ مدينة أولف العريقة، الجزائر، (د.ت)، ص ص104-109.

لقد كان لتلك الرحلات أثرٌ بالغٌ في بعث الحركة العلمية من عدَّة جوانب:

أولاً: أن رجوع أولئك العلماء إلى أرض توات بعد استفادتهم من العلوم وتبحرهم فيها جعل المستوى العلمي بها حافزاً ودافعاً لقدوم الطلبة من كل الجهات لطلب العلم بها.

ثانيا: أن مكتبات الإقليم تزوّدت بحجم هائل من الكتب والمخطوطات التي استقدمها أولئك العلماء معهم في رحلاتهم؛ نسخا أو شراء أو إهداء. وهو ما يفسر غنى الخزائن العلمية في توات بمؤلفات علماء الحواضر العلمية التي قصدها علماء توات للتبحر والاستزادة من العلوم.

ثالثا: أن علماء توات من خلال شغفهم وحبهم للعلم وتمكُّنهم فيه تركوا بصماتهم في كل الحواضر العلمية التي وقفوا بها، فإلى الآن توجد أُسر علمية بالحواضر المجاورة لتوات تنحدر نسلاً ونسباً إلى عائلات تواتية.

المبحث الثاني: خزائن المخطوطات ودورها العلمي بإقليم توات.

تُعـدُّ منطقـة تـوات مـن أغـنى المنـاطق بخـزائن المخطوطـات النـادرة، سـواء لعلمـاء محليـين أو نسـخ لكتـب مخطوطـة تمَّ نسـخها مـن قبـل أصـحاب الخـزائن بالمنطقـة، أو ذات قيمـة علميـة نادرة. وقـد واكـب الحركـة التجاريـة نهضـة علميـة جعلـت تجـارة الكتـب تـروج، فلـم تعـد القوافـل التجاريـة تحمـل في أمتعتهـا الملابـس والأواني والتمـور ومـا تقـايض بـه فقـط، بـل كـان للكتـاب حـظ مـن رحالهـا، وقـد زاد شـغف التـواتيين بالكتـب والمخطوطـات، فلـم يألـوا جهـدا ولم يبخلـوا مـالا لاقتنائهـا، فتكوّنـت بـذلك ثـروة هائلـة مـن الكتب والمخطوطات إن على مستوى الأفراد أو على مستوى المساجد والزوايا.

المطلب الأول: اهتمام علماء توات بالكتب وإنشاء المكتبات(الخزائن):

تعتـبر المخطوطـات مـن أهـم مـا توارثـه أهـل منطقـة تـوات مـن إرث ثقـافي وعلمـي، فهـي مرجـع هـام وأساسـي في تحديـد الظـروف الحياتيـة لأهـل المنطقـة ومـدى اهتمـامهم بالعلـم والعلمـاء. ولعـل مـن أولى الخـزائن العلميـة بتـوات، هـي خزانـة الشـيخ سـيدي مـولاي سـليمان بـن علـي الـذي أسَّـس أول زاويـة بتـوات بقريـة أولاد أوشـن[1]، والـتي تمّ إنشـاؤها عـام 593هـ[2]، وكـذا خزانـة شـيخ الركـب النبـوي بأقبلـي في القـرن الثـاني عشـر الهجري[3]، وغيرهما من الخزائن.

لقـد كـان اهتمـام علمـاء تـوات وشـيوخها بالمكتبـات نابـع مـن وعـيهم بأنهـا تشـكّل الخـزان الفكـري الـذي يكفـل للمـتعلم حسـن التحصـيل، كمـا يكفـل نقـل تـراثهم الفكـري

[1] إدريـس بـن خـويا: خزانـة الشـيخ سـيدي مـولاي سـليمان بـن علـي بأدرار ودورهـا في الحفـاظ علـى المخطوطـات، مجلة الذاكرة، ع04، ص50.

[2] محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، ج1، ص274.

[3] صـالح بوسَـليم: أضـواء علـى مراكـز المخطوطـات في الجنـوب الجزائـري؛ الواقـع والآفـاق، حوليـات الـتراث، مج15، ع15، جامعة مستغانم، سبتمبر2015، ص27.

والثقافي إلى الأجيال اللاحقة، من أجل ذلك اشتدت العناية بالمخطوطات وإنشاء المكتبات، فانتشرت خزائنها على ربوع المنطقة رغم شساعتها، ما بوَّأها لأن تكون الخزان الأكبر للمخطوطات بشهادة العلماء والمهتمين. وفي هذا الصدد يقول أبو القاسم سعد الله: " وهذه المنطقة غنية بتراثها العلمي والديني، وغنية بعلمائها ومؤلفيها، وبزواياها ونظمها، وكذلك غنية بآثارها ومكتباتها"[1].

ولم يكن ذلك ليكون؛ لولا تجنُّد العلماء وطلبة العلم للقيام بمهمة اقتناء الكتب ونسخها وحتى تأليفها، فقد اتخذت العناية بالكتب والمخطوطات أشكالا، نذكر منها:

أ)- تلقي القوافل التجارية لاقتناء ما عندها من كتب ومخطوطات، أو نسخها، حيث كان بعض العلماء إلى جانب نشاطهم العلمي كانوا يمارسون نوعا من التجارة يسدون به حاجاتهم وحاجات عائلاتهم، فلم يكن شغف التواتي بسلعة نادرة أكثر من شغفه بكتاب أو مخطوط تطاله يده أو يحظى به دون غيره.

ب)- جلب الكتب واستنساخها من البلدان التي كان يزورها علماء توات، وقد ذكرنا رحلات علماء توات إلى الاقطار الاسلامية المجاورة، لطلب العلم أحياناً وأحياناً أُخرى لملاقات العلماء، فكانت فرصة للتزوُّد من المخطوطات والمؤلفات التي لم تكن موجودة بالمنطقة وكذا نشر بعض المخطوطات والمؤلفات المحلية[2].

ج)- اغتنام فرصة الحج للوقوف بالحواضر العلمية الواقعة على طرق الحج ولقاء علماءها ونسخ كتبها، وتذكر المصادر أن قوافل الحج كانت تمر بمصر على

[1] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، ص214.

[2] يراجع: أحمد أبا الصافي جعفري: المخطوطات الجزائرية وأعلامها في المكتبات الإفريقية، دار نور الرشاد، الجزائر،2016. يضاف إلى ذلك دور التجار في ترويج الكتب والمخطوطات.

سبيل المثال، وكان لعلماء توات بها وقفات مع علماءها وفقهائها، وكذا عند مكتباتها العامة والخاصة[1].

د)- وقف الكتب والمخطوطات بالمراكز التعليمية لفائدة طلبة العلم بغية تحصيل الأجر، وما يلاحظه المتصفح لمقتنيات تلك الخزائن من كثرة الكتابات فيها الدالة على الإهداء أو الوقف على طلبة العلم أو الوقف على مسجد أو زاوية بعينها، إلَّا شاهد ودليل على حبهم للعلم وتيسيرهم لسبله.

هـ)- حركة النسخ التي نشطت بالمنطقة في القرن الثاني عشر للهجرة، ومع بداية عهد التأليف عند علماء توات، نشطت حركة النسخ لتلبية متطلبات علماء وطلبة المنطقة في توفير الكتب والمعلومات، وما نجده بخزائن المخطوطات من نسخ مخطوطة لمؤلَّفات علماء حواضر بلاد المغرب والمشرق بأيادي نساخي المنطقة، إلَّا خير دليل على توجُّههم إلى النسخ وعدم الاكتفاء بشراء المخطوط الذي كان يُجلب آنذاك بفعل نشاط قوافل ركب الحج أو قوافل التجارة العابرة للصحراء ، وكان عاملاً فاعلاً في حركة التأليف لدى علماء المنطقة، ما أنتج زخماً هائلاً من المؤلّفات والمخطوطات في شتى فنون العلم.

المطلب الثاني: خزائن المخطوطات بتوات.

تزخر واحات توات بثروة ثقافية عالية، منذ أقدم العصور، ومن جوانب مختلفة. ومن أهمها ما وجد مسطورا من مخطوطات ووثائق تاريخية متنوعة في مكتبات المساجد

[1] يراجع: أحمد بوسعيد: ركب الحج الجزائري في العهد العثماني دراسةٌ تاريخيةٌ من خلالِ الرِّحلات الحجازية، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية والعلوم الإسلامية، جامعة أدرار، السنة الجامعية: 2017-2018.

ولـدى الأسـر والأفـراد، وهـي تتعلـق بمختلـف المواضـيع؛ كـالبيوع والمـيراث والحـبس والمراسلات، وتعود إلى مختلف الفترات.

وتُعـدُّ هـذه المخطوطـات رصـيدا علميـا هامـا يظهـر مراحـل التطـور في المجتمـع الصـحراوي خـلال مراحـل نشـأته مـن خـلال التفكـير في تجميـع مفكـرة تـربط المجتمـع بماضـيه وبأسسـه الحضـارية، وإذا علمنـا أن داخـل الخـزائن العديـدة مجموعـات مـن المخطوطـات في مختلـف الفنـون الـتي كتبهـا أسـلافنا، وخاصـة بعـد قـدوم بعـض العلمـاء الـذين اشـتغلوا بالعلـم. كمـا أن هجـرة بعضـهم إلى جهـات مختلفـة لطلـب العلـم وأداء فريضـة الحـج فتحـت المجتمـع علـى ثقافـات متعـدّدة أدّت بـه إلى تكـوين رصـيد ثقـافي وحضاري تجسّد أساسا في مكنونات الخزائن؛ اللغوية والأدبية والاجتماعية والعلمية[1].

ويشـكّل إقلـيم تـوات أكـبر حاضـنة للمخطوطـات في الجنـوب الجزائـري، وقـد جمـع مـا بـين مكتبـات عامـة وخاصـة، ضـمّت الآلاف مـن الكتـب والمخطوطـات النفيسـة في سـائر العلـوم والمعـارف الدينيـة والدنيويـة، نجـد الرياضـيات والفلـك والطـب والفقـه والفـرائض واللغـة والشـعر والتفسـير وغيرهـا مـن العلـوم؛ بـين اقـلال واكثـار، وتـدلنا هـذه المحتـويات علـى الانفتـاح الكبـير والموسـوعية العلميـة عنـد علمـاء تـوات. وقـد صـاحب هذه الرغبة التعليمية حب استنساخ المخطوطات وقراءتها[2].

كمـا سـاهمت الـزوايا الدينيـة المنتشـرة في أرجـاء الإقلـيم مـن تيـديكلت إلى قـورارة في إثـراء الحيـاة الثقافيـة والفكريـة بالمنطقـة، وكانـت عـاملاً بارزاً في نشـر تعـاليم الإسـلام وتفقيـه النـاس، كمـا كانـت أيضـا مـن العوامـل المهمـة في انتشـار خـزائن المخطوطـات الـتي

[1] محمـد بـن منـوفي وعبـد الله رزوقـي: المخطوطـات في منطقـة تـوات؛ أهميتهـا وأبعادهـا التاريخيـة، في مجلـة الأثـر، ع25، جامعة ورقلة، جوان 2016، ص298.

[2] عبـد الكـريم عـوفي: مراكـز المخطوطـات في الجنـوب الجزائـري، إقلـيم تـوات نموذجـا، مجلـة آفـاق الثقافـة والـتراث، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث، العدد 34، الإمارات العربية المتحدة، دبي 2001م، ص128.

توفر لطلبة العلم المراجع التي يحتاجونها، بل التي يحتاجها العلماء للتصدي للنوازل من أمورهم الفقهية[1].

ومن بين خزائن توات، نجد على سبيل المثال خزانة أولاد القاضي بأولاد سعيد في منطقة قورارة التي تحتوي على أكثر من مائتي (200) مخطوطة، ومن أهم محتوياتها في كتب قواعد اللغة والأدب وما تعلق بهما؛ نذكر:

- متن ألفية ابن مالك، بخط القاضي: أبي عبد الله، أمحمد عبد الله بن عبد الكريم بن أحمد الجوراري.
- شرح على مقدمة ابن أجروم، من تأليف: الشيخ أحمد البجائي.
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك.
- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك.
- الأصول في النحو، تأليف: العلامة عبد الله بن يوسف، بن هشام.
- حاشيه السجاعي المسمّاة: فتح الجليل، على شرح ابن عقيل، على متن الألفيه لابن مالك، المؤلف: أحمد بن أحمد بن محمد السجاعي (ت. 1197هـ).
- إضاءة الأدموس، ورياضة النفوس، في اصطلاح صاحب القاموس، تأليف: أبي العباس، أحمد بن عبد العزيز، الهلالي، السجلماسي، (ت. 1175هـ).
- تقاييد على لامية ابن المجراد في الجمل النحوية، (مجهولة المؤلف)، بخط الناسخ: العلامة المحفوظ بن الجوزي.
- قلائد النحور، في جواهر البحور، تأليف: الشيخ شمس الدين الحجازي (في علم العروض).

[1] ينظر: ملحق رقم: 01 ؛ أهم خزائن المخطوطات بتوات، ص 261 .

- منظومة المغراوي في إعراب الجمل، تليها منظومة الرامزة الشـــافية، في علم العَروض والقافية (أُرجوزة في 96 بيتاً تعرف اختصـــاراً باســـم الخزرجية)، تأليف: أبي محمد، عبد الله بن محمد، الخزرجي، المالكي، الأندلسي، السكندري (ت. 626هـ).

- إعراب القرءان الكريم (مبتور البداية والنهاية، ومجهول المؤلف).

- آي القرآن المختلف في إعرابها عند العلماء (مبتور البداية والنهاية، ومجهول المؤلف) منســوخ بخط العلامة المحفوظ بن الجوزي[1].

- المحاضــرات، (في اللغة والأدب)، تأليف: الشــيخ أبي على، نور الدين، الحســن بن مســعود اليوسي، المراكشي، المالكي(ت.1102هـ)، نسخه: الشيخ المحفوظ بن الجوزي.

- شرح القصيدة الخزرجية في العروض والقوافي، تأليف: الشيخ أبي عبد الله، الشريف، الغرناطي.

- منظومة الشــيخ أحمد المجاص، في علم الصــرف بخط الشــيخ عبد الحكم بن عبد الكريم بن أحمد الجوراري.

بالإضــافة إلى الخزانــة البكريــة بتمنطــيط الــتي تُعــد مــن أقــدم وأغــنى المكتبــات الموجــودة بالمنطقــة، ومؤسّســها الأول هــو الشــيخ ســيدي ميمــون بــن عمــرو (ت. 890هـ)، وقــد بلــغ عــدد مخطوطاتهــا إلى مــا يربــو عــن الألــف مخطــوط في شــتى فنــون المعرفة، وذلك في عهد مؤسّسها الثاني الشيخ سيدي البكري (ت. 1133هـ)[2].

ومــن العوامــل الــتي أثــرت المكتبــات التواتيــة وأغنتهــا بكثــير مــن المؤلفــات والمخطوطات؛ انتشار حركة النسخ التي عرفها الإقليم، فلم يعد اعتمادها على ما تجلبه القوافل التجارية؛ على قلته، بل سنت لنفسها طريقا آخر يختصر عليها المسافة، وهو استنساخ الكتب وتبادل ما حوته المكتبات من مؤلفات على امتداد الإقليم.

[1] محمد بن منوفي وعبد الله رزوقي: المخطوطات في منطقة توات...، مرجع سابق، ص300.

[2] لمعرفة بعض محتوياتها ينظر: صالح بوسَليم: أضواء على مراكز المخطوطات ...، مرجع سابق، ص23.

ومن أبرز الذين كانوا يقومون بنسخ الكتب وتجليدها، نجد مثلا في مذكرة عمار بابا بن محمد بن أحمد الفلاني (ت. 1364هـ)، التي كتبها بيده، أنه وكلت إليه مهمة نسخ كتاب الله، إذ كان حفظاً للقرآن الكريم، ويقول إنه نسخ بقلمه خمسة وأربعين مصحفاً كاملاً[1]، غير القصائد والكتب الأخرى بلا شك، وهذا يجعلنا نوقن بالدور الفاعل الذي أداه النُسَّاخ في عمارة المكتبات التواتية.

وممن اشتغلوا أيضا بالنسخ أحمد بن عبد الله بن محمد البريشي الحسني القبلاوي الأزوادي (ت. 1370هـ)، حيث " نسخ بخط يده عدَّة كتب من مؤلفات آل الشيخ المختار الكبير، وكان لا يمل ولا يفتر من النسخ، وكان إذا ألف الشيخ محمد بن بادي كتاباً ينسخ منها عدة نسخ يبعث بها إلى أصحابه، مثل الوالد محمد عبد القادر بلعالم، وسيدي إبراهيم بن عيسى الأولفي، والطالب محمد التهامي الهقاري"[2]، وهذه الترجمة تعطينا صورة واضحة عن مدى الاهتمام والاحتفاء الذي حظي به الكِتاب وكيف كان يُتَناقل بينهم.

وامتد التنافس بين العائلات العلمية إلى " التنافس في نسخ المخطوطات وشرائها بأغلى الاثمان، بل كان فيهم من يطلب الناسخ ويمكث عنده لنسخ المخطوطات لفترة تزيد عن العام"[3]، ومن هنا ندرك إلى أي مدى وصلت العناية بالمخطوط، وسر الغنى الذي عرفته المكتبات التواتية بالمخطوطات.

[1] محمد باي بلعالم: إرشاد الحائر في معرفة فبيلة فُلّان في الجزائر، ص80-81.

[2] محمد باي بلعالم: فواكه الخريف شرح على بغية الشريف، مطابع عمار قرفي، باتنة، الجزائر، 1419هـ، ص21.

[3] الصديق حاج أحمد: من أعلام التراث الكنتي المخطوط" الشيخ محمد بن بادي الكنتي، حياته وآثاره"، دار الغرب، ص24.

إن الواقف على ما تبقى في خزائن توات من المخطوطات والمتصفح لسير أعلامها ليلمس ضخامة الإنتاج العلمي لعلمائها، غير أن هذا المنتوج تعرض أغلبه للضياع والنهب، فقد أحصت جمعية الأبحاث التاريخية بولاية أدرار ثلاثة آلاف مخطوط مفهرس من مجموع اثنتي عشر ألف مخطوط موزّعة على تسع وعشرين (29) خزانة[1].

المطلب الثالث: حركة التأليف من قبل علماء توات:

تجاوز علماء توات مرحلة الرواية والحفظ، وتجاوزوا أيضاً مرحلة النسخ والتدوين، وانتقلوا في بعض العلوم الدينية إلى مرحلة التصنيف والتأليف[2]، فبعد مرحلة الرواية والسماع والتدوين التي لم تستمر طويلًا وأنتجت الكثير، لم يلبث علماء توات أن عكفوا على التفرغ للتأليف والعطاء في علوم اللغة العربية وآدابها وفنونها[3]، فقد كانت للعلوم المحصلة خلال المراحل المتقدمة دوراً لا يمكن انكاره في شحذ همم علماء توات ودفعهم إلى التأليف في شتى العلوم، خصوصاً الدينية منها.

لقد أولى علماء توات التدريس أهمية كبيرة، فبرغم تمكُّنهم وتفوقهم في عديد العلوم إلَّا أنهم انقطعوا للتدريس والتلقين مراعاة لحاجة المجتمع، فـ" التأليف والكتابة لا يكونان بالضرورة دليلا على العلم والعبقرية، فالعالم المتبصر هو الذي يتحرك من خلال الأولوية المطلوبة في التكوين والبناء، حسب ما يظهر له، بغض النظر عن ما

[1] أحمد أبالصافي جعفري: محمد بن أبّ المزّمري 1161هـ: حياته وأثاره، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2004، ص40.

[2] محمد بن منوفي وعبد الله رزوقي: المخطوطات في منطقة توات...، مرجع سابق، ص299.

[3] المرجع نفسه، ص299.

هو سائد بين الناس"[1]، ولذلك انصرفت هممهم إلى مهمة التدريس والتعليم لحاجة الناس إليهما أكثر من المؤلفات.

والباحث في تاريخ المنطقة، يُلاحظ قلة في عدد المؤلفات التي ترجع إلى ما قبل القرن العاشر للهجرة، على الرغم من اهتمام علماء توات بحركة النسخ والتأليف، إلَّا أنه لا يمكن حمل ذلك بحال من الأحوال على أنه عدم التفات له أو عدم اهتمام بشأن الكتاب، وإنما يعود ذلك إلى قلَّة العلماء المنقطعين للتأليف، وكان أغلبهم متفرغاً للتدريس، بالإضافة إلى ما أصاب الخزائن من آفات حجبت عنا العديد من المؤلفات والنسخ المخطوطة[2]. إلى جانب ذلك يسجل الباحث غنى المكتبات التواتية بمؤلفات علماء الحواضر المجاورة كعلماء تلمسان وعلماء المغرب الأقصى[3].

كما «عرف الشيخ سيدي محمد البكري بن عبد الرحمن بكثرة الكتابة والتأليف، فكان له دوراً بارزاً في تفعيل حركة التدوين والتأليف بإقليم توات بكتاباته ومراسلاته مع أقرانه من العلماء داخل الإقليم وخارجه، مجيبا على استفساراتهم تارة وملقياً لعويصات المسائل بين الأقران للبحث والمناقشة تارة أخرى"[4].

ومن بين أهم العلماء الذين جمعتهم البلاد التواتية علماء ألفوا رجالا، مثل أولئك الذين أنشأوا مدارس وزوايا لتعليم القرآن وأمور الدين، فكان لهم الفضل في تعليم أبناء المنطقة. والأدب عند المسلمين منذ القديم كان ولا زال مرتبطاً بالتعليم

[1] محمد عبد الحق بكراوي: المنهج الفقهي عند الشيخ سيدي محمد بن الكبير، أطروحة دكتوراه في الفقه والأصول، جامعة باتنة 1، السنة الجامعية 2016-2017، ص65.

[2] بشار قويدر ومختار حساني: مخطوطات ولاية أدرار، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، 1999، ص 10-12.

[3] بشار قويدر ومختار حساني: المرجع نفسه، ص11.

[4] محمد عبد الحق بكراوي ومحمد المهدي بكراوي: الزاوية البكرية أعلام ومخطوطات الشيخ سيدي البكري بن عبد الرحمن أنموذجاً، مجلة رفوف، جامعة أدرار، ع02، 2013، ص 353.

الـديني، فكـل أدبائنـا انطلقـوا في إبـداعاتهم مـن القـيم الدينيـة والـتراث العـربي القـديم، ليحتكـوا بـواقعهم ليبـدعوا أعمـالا أدبيـة مختلفـة، فمنطقـة تـوات لا تختلـف عـن غيرهـا مـن المنـاطق الإسـلامية إنطلـق المبـدعون فيهـا مـن أدباء وشـعراء مـن ثقـافتهم الدينيـة والتراثيـة، ليسـقطوها علـى واقعهـم فينتجـوا لنـا أعمـالا أدبيـة متنوعـة، بـرز بعضـهم في النثـر، وآخـرون خاضـوا بحـور الشـعر، وفئـة ثالثـة خـالطوا الشـعر بالنثـر، فمـن بـين أهـم العلمـاء المـؤلفين الذين ألفوا أعمالا أدبية، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

- **الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي (ت. 909هـ)**

يُعـدُّ الشـيخ سـيدي محمـد بـن عبـد الكـريم المغيلـي أحـد أقطـاب الفكـر الـديني والسياسـي في الجزائـر، ومـا يـدل علـى ذلـك هـو إتيـان معظـم المصـادر والمراجـع الـتي تهـتم بتـاريخ الجزائـر، وبالخصـوص منطقـة تـوات علـى ذكـر الرجـل واسـهاماته الإصـلاحية، ومـن أهـم مؤلفاتـه الأدبيـة الـتي وصـلتنا منظومـة في علـم المنطـق سمّاهـا:" مـنح الوهـاب"، ووضـع عليهـا ثلاثـة شـروح، كمـا ألـف منظومـات في مـدح الرسـول أشـهرها:" بشـراك يا قلـبي هـذا سيد الأمم"، وغيرها من القصائد المنظومة[1].

ولـه كتـاب "شـرح التبيـان في علـم البيـان" وسـبب تأليفـه: أن المغيلـي يكـون قـد بادر بهـذا التـأليف لتقريـب قواعـد اللغـة العربيـة للطلبـة المبتـدئين، ولأجـل هـذا سماهـا مقدمـة، وقـد يكـون عملـه هـذا شـبيها بعمـل ابـن آجـروم صـاحب المقدمـة في علـم اللغـة العربيـة المشـهورة باسـم "الآجروميـة في قواعـد علـم اللغـة العربيـة. لكـن يعكـر صـفو هـذا التحليـل أن علـم العربيـة لا يعـني علـم النحـو وحـده، فقـد يعـني بـه علـوم البلاغـة المشـتمل علـى

[1] البكـري بـن عبـد الكـريم: الـدرة البهيـة في الشـجرة البكريـة، مخطوط، ورقـة 147. الـدرة الفـاخرة، مخطـوط، ورقـة 13، درة الأقـلام، مخطـوط، ورقـة 19. محمـد بـن عبـد الكـريم المغيلـي: أسـئلة الأسـقيا وأجوبـة المغيلـي؛ تقـديم وتحقيـق: عبـد القـادر زباديـة، الشـركة الوطنيـة للنشـر والتوزيـع، الجزائـر 1974. يحـي بـوعزيز: أعـلام الفكـر والثقافـة في الجزائر المحروسة، ط01، دار الغرب الإسلامي، لبنان –بيروت،1995، ج01، ص143.

ثلاثة فنون: المعاني، البيان، والبديع؛ ويكون الشيخ المغيلي قد وضع مقدمة في هذا النوع من علوم اللغة. وعند صدور كتاب باسم "شرح التبيان في علم البيان" لم يضف المترجمون للشيخ هذا العنوان، بل أضافوا له كتاب:" مقدمة في العربية".

وكان هناك احتمال آخر كون مقدمة في العربية هو مقدمة في علم النحو، وأن هذا الاحتمال قد زال، وبقي القول الراجح أن كتاب "مقدمة في العربية" ما هو إلا مقدمة في علم البيان حسب الباحث عبد القادر باجي[1].

- **الشيخ سيدي عبد الكريم بن أمحمد (ت.1042هـ)**

هو الشيخ سيدي عبد الكريم بن أمحمد التواتي، ولد سنة 994هـ، وأخذ عن عدّة علماء، منهم والده الشيخ سيدي أمحمد، والشيخ سيدي عبد الحاكم بن عبد الكريم بن أحمد الجراري، والشيخ سيدي أحمد بن عبد الله بن أبي مَحَلّى السجلماسي، والشيخ سيدي سعيد بن لحاج إبراهيم المشهور بقدورة الجزائري، والشيخ سيدي علي الأجهوري المصري، والشيخ أحمد المقّري التلمساني وغيرهم. وقد ألف مخطوطا سماه: "الرحلة"، وأحصى فيه شيوخه وإجازتهم له. كان إماما عالما تولى قضاء الجماعة بتوات.

من آثاره مخطوط "الرحلة في طلب العلم"، ومخطوط آخر شرح فيه مختصر الدماميني. وله أيضا مخطوط "تحفة المجتاز إلى معالم أرض الحجاز"، ومخطوط "شقائق النعمان فيمن جاوز المائة بزمان". وله أيضا شرح على جمل ابن المجراد سماه:" غاية

[1] بشار قويدر ومختار حساني: المرجع السابق، ص11. ينظر: أحمد بابا التنبكتي: نيل الابتهاج، ص 577 – 578، الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ج 01، ص199. مقدم مبروك مقدم: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية، ص 123-125، عبد القادر باجي: الإمام المغيلي عصره وحياته، دراسة تاريخية، تحليلية وتوثيقية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011م، ج02، ص190.

الأمل في إعراب الجمل"، وله في الميراث أبيات شعرية وشرح عليها، وله قصائد شعرية عدّة أشهرها قصيدته المسماة "سفينة النجاة لآهل المناجات"[1].

- **الشيخ سيدي علي بن حنيني (ت. 1115هـ)**

ولد الشيخ سيدي علي بن حنيني في القرن الحادي عشر للهجرة بزاجلو، والتي نشأ وترعرع فيها، حيث بدأ دراسته وحفظ القرآن الكريم على يد شيخه العلامة الشيخ سيدي محمد بن محمد العالم الزجلاوي الأنصاري المتخرج من مدارس فاس، والبالغ عددها حوالي 199مدرسة حسب المصادر التاريخية، وكان الشيخ المذكور صاحب زاوية مشهورة، يأتي إليها الطلاب من كافة دول إفريقيا المسلمة التي تقع جنوب الصحراء، ويتلقون فيها مختلف العلوم والفنون، ولم تكن هذه المدارع مخصّصة لإيواء الطلاب فحسب، بل كانت مراكزا ثقافية حيث كانت تضم مكتبات تحتوي على العشرات من المخطوطات[2].

أما بالنسبة لمؤلفاته، فلم نعثر إلاَّ على قصيدته المشهورة في مدح العائلة البكرية وزاويتهم، وهذا راجع إلى احْتراق وتلف خزانة الشيخ.

- **الشيخ سيدي ضيف الله بن محمد بن أبّ المُزّمّري (ق12هـ).**

هو سيدي ضيف الله بن محمد بن أُبّ المزّمّري، ولد الشيخ كما أخبر والده يوم السبت السادس عشر (16) من شهر شوال سنة ثمانية وعشرين ومائة وألف

[1] البكري بن عبد الكريم: الدرة البهية في الشجرة البكرية، مخطوط، ورقة 34. الدرة الفاخرة، مخطوط، ورقة 05، درة الأقلام، مخطوط، ورقة 07. عبد الحميد بكري: النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص114 وما يليها.

[2] الدرة البهية في الشجرة البكرية، مخطوط، ورقة 61. الدرة الفاخرة، مخطوط، ورقة 14، درة الأقلام، مخطوط، ورقة 44.

(1128هـ)، ولقد عرف بنفسه في رحلته قائلا:" ...وكان والدي يباهي بي أولاده كثيرا في عيشتي، وشاوربي في كثير من أموره مع صغر سني ...وأشركني في كثير كتب حبّسها ..."، من أبنائه الشيخ سيدي محمد الذي سماه باسم جده تبركا بالرسول محمد – صلى الله عليه وسلم – كما قال وولد له ثلث ليل يوم الجمعة الرابع من رمضان سنة ثمانية وخمسين ومائة وألف (1158هـ).

وكان الشيخ سيدي ضيف الله كما وصفه أحد قضاة عصره أشعر من أبيه محمد بن أُبّ، وله عديد القصائد الشعرية، منها مرثيته في أبيه التي أشار إليها في رحلته[1].

- **الشيخ الحاج أبو محمد بن أحمد التملصوحي(ت.1036هـ):**

هو الشيخ الفاضل الحاج أبو محمد بن أحمد بن أبي الجزولي، يتصل نسبه بالسيد محمد بن عبد الرحمن بن سليمان الجزولي صاحب دليل الخيرات، تعلم على يد والده في صغره بأولاد سعيد (الشط الظهراني)، ثم ذهب به والده إلى الشيخ سيد الحاج بلقاسم الأوسيفي، حيث درس عنده فنون العلم، وأخذ عنه علم التصوف حتى صار من أكبر تلامذته.

أسّس زاويته الأولى ببدريان سنة 1000هـ، وتولى التدريس والتعليم والإطعام فيها، ثم انتقل إلى ناحية تينركوك (زاوية الدباغ) واستقر بتبلكوزة، وكلّف ابنه الأكبر الشيخ محمد بن عبد الله الصوفي بزاوية بدريان، وذلك سنة 1004هـ، وفي سنة

[1] أحمد جعفري: الحركة الأدبية في أقاليم توات من القرن السابع حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجريين، ط1، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ج01، ص 42.

1027هـ قام بتأسيس زاوية تمصلوحت وأولاد سعيد، وجعل كل ولد من أولاده مكلّفاً بالزاوية التي عُين فيها.

ومن أشهر تلاميذه: أولاده الشيخ محمد بن عبد الله الصوفي، والشيخ أمحمد عبد العزيز بن محمد بن الشيخ الحاج بلقاسم، والسيد عبد الله بن يعقوب بتاونزا، ومولى العندوس دفين أمقيدن، والشريف الحاج يحي المنيعي، والشريف السليماني، والحاج موسى القنتوري ...وغيرهم[1].

وله شرح وجيز على رسالة التصوف التي ألفها الشيخ سيد الحاج بلقاسم والمعروفة بمنهاج السالكين، وكانت وفاته بعد صلاة المغرب من يوم الأحد 15 ربيع الثاني عام 1036هـ، فرحمه الله وأعلى مقامه في الصالحين.

- **الشيخ سيدي الحاج بلقاسم بن الحسين القوراري (توفي في ق. 10هـ)**

هو سيدي الحاج بلقاسم بن الحسين بن عمر بن موسى بن الحسين بن يوسف، بن داوود، بن محمد، بن سلطان...، وينتهي نسبه إلى سيدنا عثمان بن عفان، ولد بقرية أوسيف في عام921هـ.

سافر عن بلدته وأخذ عن علماء أجلاء، مثل سيدي علي بن ابراهيم وغيره، أخذ عنه الشيخ سيدي الحاج أبو محمد بن أحمد بن أبوبكر الجزولي المدفون ببلدة أولاد عياش، والشيخ سيدي عباد بن أحمد المقبور قرب قرية تسفاوت بتيميمون، وأخذ عنه أيضا الشيخ سيدي أحمد بن يوسف المعروف ببلدة ماسين بتيميمون،

[1] عفيفة حوتية: تيجوارين: دراسة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية من القرن 10هـ/16م إلى القرن 13هـ/19م، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد دراية بأدرار، السنة الجامعية 2021-2022، ص203 وما يليها.

والشيخ سيدي الحاج لحسن صاحب زاوية جنتور، سافر عن بلدته مدّة، ولما رجع أسّس مسجداً ومدرسة، ثم انتقل فترة إلى قصر بني مهلال إماما ومدرسا، وبالقرب منها أسّس زاويتة المشهورة التي تحمل اسمه إلى الآن، وذلك في المكان المعروف قديما بـ: "أزفافين". وبقي في زاويته مدرساً ومفتياً حتى أدركته المنية، من آثاره العلمية: مخطوط بعنوان "منهاج السالكين"، بالإضافة إلى ديوان شعري، يضم أزيد من عشرة منظومات شعرية في التوحيد، والفقه، والسيرة النبوية، والمديح النبوي[1].

وصفوة القول، فقد شهدت توات ابتداء من القرن الثاني عشر للهجرة قفزة فكرية وعلمية، بحيث ازدهرت لديهم العلوم والفنون، فاختصوا في العلوم الشرعية واللغوية والأدبية أكثر من غيرها، وكان إنتاج علمائها غزيرا ووفيرا في هذا المجال، وكثرت التآليف، وتكوّنت مكتبات عامرة، ضمّت عددا كبيرا من المخطوطات، تشمل مختلف فنون المعرفة.

ومما سبق؛ يظهر بجلاء أن توات عاشت خلال قرون مضت نهضة ثقافية وعلمية كبيرة، ترجمها هذا العدد الهائل من الشيوخ والعلماء الذين أثروا الساحة العلمية للمنطقة، بمؤلفات وتصانيف تُعد في غاية الأهمية إذا ما تمّ الإعتناء بها، والتي – هي للأسف الشديد – لايزال بعضها حبيس خزائن توات، مما عرضها إلى التلف بفعل عوامل الزمن وقلّة الاهتمام.

[1] ينظر ترجمته في: الدرة الفاخرة في ذكر المشايخ التواتية، ورقة18، ومولاي التهامي غيتاوي: سلسلة النواة، ص170، وكتاب الفتح الميمون، ص384، و محمد عبد العزيز سيدي اعمر: قطف الزهرات، ص 145.

الفصـــل الثاني

المسار ا لتعليمي للدَّرس اللُّغوي والقُرآني في المؤسّسات التعليمية بتوات من ق12 إلى ق 14هـ.

المبحث الأول: الدّرس اللّغوي والقرآني بالكتاتيب بمنطقة توات.

المبحث الثاني: المدارس القرآنية وجهود علماء توات التعليمية اللغوية والقرآنية.

المبحث الثالث: روافد الدّرس اللغوي والقرآني التعليمي بزوايا منطقة توات.

- **تمهيد:**

عرفت توات خلال القرن الثاني عشر للهجرة نهضة علمية، كانت إمتداداً لنهضة علمية واسعة عرفتها الحواضر العلمية المنتشرة في أرجاء حواضر المشرق والمغرب الإسلامي، كالقاهرة وفاس ومكناس مراكش وغيرها، والتي أنجبت علماء كانوا رواد إصلاح وناشري علم ومعرفة، وقد كان لهذه الحواضر الوقع المؤثر على توات؛ بحكم الجغرافيا والتاريخ، بدأت بوادره في الظهور، منذ القرون (11-10-09هـ)، وتوجه تأسيس مراكز علمية كان لها الأثر البالغ في بعث الحركة الثقافية والعلمية في البلاد التواتية.

وسنحاول في هذا الفصل رصد المسار التعليمي للدّرس اللُّغوي والقُرآني في المؤسّسات التعليمية بتوات من القرن الثاني عشر إلى القرن الرابع عشر للهجرة.

المبحث الأول: الدّرس اللّغوي والقرآني بالكتاتيب بمنطقة توات:

عَرفَ المجتمع العربي الإسلامي الكتاتيب منذ وقت مبكر من صدر الإسلام، وتفيدنا الدلائل التاريخية أن العرب في الجاهلية تعاطوا فنون القول والكلام وكتبوا العهود والمواثيق، وكانوا يحتفون بالشعراء ويعلون مقامهم، ولا يتأتى لهم ذلك إلا بتأديب أبنائهم على ذلك ليشبوا عليه، فالكتابة إذن "كانت شائعة عند عرب الجاهلية شيوعًا يكفي لأن ينفي عنهم ما ألحقه بهم تاريخنا الأدبي من وصمة الجهل والأمية"[1].

[1] ناصر الدين الأسد: مصادر الشعر الجاهلي المؤلف، ط 07، دار المعارف، مصر، 1988، ص59.

لكن يبقى السؤال الذي يتبادر إلى ذهن الباحث: هل كان أمر الكتابة وتعلّمها متاحاً للجميع، أم لطبقة معيّنة من المجتمع؟ هل كان في شكل جماعي أم بشكل فردي؟

المطلب الأول: تعريف الكتاتيب وتاريخها:

ورد في لسان العرب أن " الـمَكْتَبُ والكُتَّابُ هو: موضع تَعْلِيم الكُتَّابِ، والجمع الكَتَاتِيبُ والـمَكاتِبُ. وقد أضاف الـمُبَرِّدُ أن الـمَكْتَبُ موضع التعليم، والـمُكْتِبُ الـمُعَلِّم [1]". وفي معجم العين " الـمُكْتِبُ: المعلم، الكُتَّابُ: مجمع صبيانه"[2]، وتفيدنا هذه المعاني اللغوية أن الكُتَّابُ هو موضع التقاء الصبيان بالمعلم الذي يتلقون منه مبادئ العلم الأولية.

ولا يبتعد التعريف الاصطلاحي عن تلك المعاني اللغوية، إلَّا زيادة في الوصف والتحديد حسب الأمكنة والأزمنة، فالسباعي يرى أن الكُتَّابُ انبثق من المؤسّسة التعليمية الأولى في الاسلام وهي المسجد، وكان بمثابة المدرسة الابتدائية، تُعلِّم القراءة والكتابة وشيء من القرآن وعلوم العربية[3]. ويرى عبد الرحمن بن أحمد التجاني أن الكُتَّاب قد يكون ملتصقا بالمسجد، وقد ينفصل عنه، وقد يكون حتى غرفة من منزل إحتسبها صاحبها لتحفيظ القرآن[4].

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، مادة كتب، دار صادر بيروت (د.ت)، ج1، ص192.

[2] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 04، ط1، 2003، ص08.

[3] مصطفى السباعي: من روائع حضارتنا، دار الوراق، بيروت، ط1، 1999، ص206.

[4] الطالب عبد الرحمن بن أحمد التجاني: الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900 إلى 1977، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص17.

أما الباحث محمد منير مرسي، فيرى أن الكتاتيب تُعد من أشهر مؤسّسات التعليم ومراكزه التي عرفت حتى قبل الإسلام بنطاق ضيق، ويعرفها على أنها: " مكان مستقل، أو غرفة من منزل، أو حجرة مجاورة للمسجد أو ملحقة به، أو خيمة من جملة خيام الحي في البادية "خيمة المؤدب" كما كان يعرف في تونس في شمال إفريقيا"[1].

ويُعرّف عبد السلام بوشارب الكتاتيب كما رأها عند التوارق في الهقار بأنها: " مؤسّسات تعليمية شعبية أهلية بسيطة، كانت تحمل تارة على ظهور الجمال، وتارة تحت سقف سعف النخيل، ومنها على سبيل المثال مدرسة (تيزقداوين)، ويتمركز حول هذه المدارس الموجودة بالحلات معلمون بخيامهم وتلاميذهم الابتدائيين مشكلين بصورة مصغرة للمؤسّسات التعليمية المتنقلة"[2].

وهذه التعاريف بما فيها من اختلاف واتفاق، تعطينا صورة عن تطور الكتاتيب على امتداد التاريخ الإسلامي وتعكس حرص المسلمين على تسهيل تعلم القراءة والكتابة بكل الوسائل المتاحة، فبعد أن كان الكتّاب متّحداً بالمسجد، إنفصل عنه تدريجيا، إلى درجة وجود عدَّة كتاتيب في القرية الواحدة؛ مقابل مسجد واحد، فلم يعد المكان مهما مقارنة بالهدف الأساس الذي من أجله كانت الكتاتيب.

وقد ارتبط الدّرس اللغوي منذ البداية بالقرآن الكريم، وعليه فإن أهل توات اهتموا به اهتماماً كبيراً، وأولوه صدراً صالحاً من عنايتهم وتثقيفهم، فلا يكاد يخلو

[1] محمد منير مرسي: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، عالم الكتب، 2005، ص 287.

[2] عبد السلام بوشارب: الهقار أمجاد وأنجاد، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والتوزيع بالرويبة، الجزائر، 1995، ص91.

قصر من القصور التواتية من هذا الفضاء العلمي، وقد جرى العرف التواتي، وتحكّمت العادة بتوات، من أن الكتاتيب القرآنية تبنى بمحاذاة المسجد[1].

وقد ظهرت الكتاتيب في بداية الأمرِ بالمدينة المنورة في صدر الإسلام؛ بعد معركة بدر الكبرى، عندما اشترط الرسول (صلى الله عليه وسلم) على بعض أسرى هذه المعركة أن يعلِّموا أولاد الأنصار الكتابة؛ مقابل إطلاق سراحهم. ويُورد ابن كثير حادثة وقعت بعد ذلك، وهي أن تلميذا اشتكى لأهله من معلمه الذي ضربه فأوجعه[2].

كما ارتبط ظهور التعليم الديني بالبلاد الاسلامية ارتباطاً وثيقاً بالإسلام، فكانت أول مؤسّسة لهذا التعليم؛ المسجد، فأول ما قام به الرسول صلى الله عليه وسلم بعد إعلان نشأة الدولة الاسلامية أن بنى مسجد قباء؛ أول مسجد في الاسلام، ليكون فضاءً ثقافياً وتربوياً يلتقي فيه المسلمون ليتلقوا تعاليم دينهم، بعد أن كان يجمعهم سراً في دار الأرقم.

" وقد اقتضى ارتباط التعليم القرآني بأهدافه العليا وقيمه المثلى أن تكون المساجد هي المحضن الأول لهذا التعليم، لتتحقق بذلك التربية العملية على التمرس بالشعائر الدينية علماً وعملاً، والالتزام بالآداب والأخلاق الفاضلة التي يقتضيها وجود الناشئ والمتعلم في رحاب المسجد، بحيث يتنامى في نفسه ... التزامُ السكينةِ والوقارِ، ... بالتأدبِ مع رواد المسجد، وعدمُ إزعاجهم برفع الصوت وكثرة الحركة"[3].

---

[1] الصديق حاج أحمد: الكتاتيب القرآنية بتوات (ولاية أدرار) ودورها في احتضان الدّرس اللغوي، مجلة الحقوق والعلوم الانسانية، مج03، ع01، جامعة الجلفة، جانفي 2015، ص ص 314-319.

[2] أبو الفدا الحافظ ابن كثير الدمشقي: البداية والنهاية،15 جزءا، مكتبة المعارف، بيروت 1412ه/1991م، ج3، ص328.

[3] عبد الهادي حميتو: حياة الكتاب وأدبيات المحضرة، دار أبي رقراق، الرباط، ط1، 2006، ص27.

ولما كان هذا الأمر بعيد المنال في الصبية والولدان الذين جبلوا على كثرة الحركة، إضافة إلى الإقبال الكبير على التّعلم والتفقّه في أمور الدين، مع ما تقتضيه عملية التلقين من رفع للصوت وترديد؛ دعت الحاجة إلى " تخصيص كتاتيب وملحقات تلحق بالمساجد احتياطا لنظافة المسجد من جهة، وابتعاداً بالصبية عن إزعاج من فيها، والتشويش عليهم"[1].

وهذا يدل على أن الكُتّاب، يهدف إلى تعليم الصبيان القراءة والكتابة، ثم أخذت في الانتشار في سائرِ بلادِ الإسلامِ. وسرعان ما انتشرت الكتاتيب في بلاد المغرب وتعدى ذلك مبادىء الدين والصلاة وقراءة القرآن الكريم، يجتمع فيها الأولاد لهذا الغرض[2]. وكان عدد هذه الكتاتيب يزداد بازدياد العمران وبكثرة عدد الداخلين في الإسلام من المغاربة، ولذلك كانت عناية هؤلاء كبيرة بالكتاتيب[3].

والكتّاب أو الكتاتيب كما هو الشائع، هي أمكنة للتعليم الابتدائي، تتمثل وظيفتها في تحفيظ القرآن الكريم، وتلقين القراءة والكتابة، وبعض من مبادئ الفقه الإسلامي وعلوم اللغة العربية، وبعض مبادئ الحساب[4].

وكانت منتشرة في كلِّ الحواضرِ والقرى بأعداد كبيرة جدا. وقد تكون في بعض الأحيان بيوتًا منفردةً، وقد تكون في أحيان أخرى مجمّعات من البيوت، التي تختلف

[1] المرجع نفسه، ص 28.

[2] محمد بن سحنون: كتاب آداب المعلمين، تح: حسَن حُسني عبد الوهاب، مراجعة وتعليق: محمد العروسي المطوي، منشورات دار الكتب الشرقية، تونس1392هـ/1972م، ص33.

[3] المرجع نفسه، ص34.

[4] حسن عبد الغني أبو غدة: دور الوقف في تعزيز التقدم المعرفي، المؤتمر الثالث للأوقاف بالمملكة العربية السعودية، الجامعة الإسلامية، 1430هـ/2009م، ص201.

عن بعضها في الشكل، كما قد تكون حُجرةً أو دكَّانًا أو أحد أجنحة المسجد، وفي الغالب يخصِّصُ أحد المحسنينَ غرفةً في منزله يفتحها على شَّارع ويؤسِّس منها كُتَّابًا[1].

وقد يتّسع الكُتَّاب أحيانا ليشمل أربع حجرات، تُعَدُّ أحداها لإلقاء الدروس، بينما تُخَصَّص الثانية لإقامة التلاميذ القادمين من الأماكن البعيدة. أما الصلاة فتتم في الحجرة الثالثة. وأخيرا تكون الرابعة مخزناً للمؤن وغيره من الضروريات، بالإضافة إلى وجود ميضأة ومكان لتحضير الطعام[2].

والكتاتيبُ القرآنيَّةُ في العادة ذاتُ أثاث بسيطٍ، يتمثل في حصائر من الحلفاء، وبعض الأواني البسيطة. أما الأدوات المستعملة في التدريس، فكانت أقلام القصب والألواح الخشبية والصلصال وجرار الماء، وبعض المصاحف والكتب النحوية والفقهية وغيرها[3].

ويقصدُ الأطفالُ من مختلف الأعمار الكتاتيب لحفظ القرآنِ الكريمِ، فيلتفون حول معلِّميهم، الذين تختلفُ تسمياتهم من الطُّلبة إلى الفقهاء إلى المشايخ. فيجلس الأطفالُ فوق الحصير أو السجاد، ويشكِّلون نصف دائرةٍ. وهنا يُملي عليهم المعلِّمُ أجزاء من القرآن الكريم، فيكتبونها بأقلام من قصب وبواسطة الصمغ على ألواح خشبيَّة مطلية بالطِّين[4].

وكان الأطفالُ يكتبون أجزاءً معيّنةً من القرآن الكريم في الفترة الصَّباحيَّة، ثمَّ يقرؤونها قراءة أولية، وفي المساء يقرؤونها بصوت مرتفع حتَّى يحفظوها. وفي صباح اليوم

---

[1] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ج1، ص277.

[2] عبد الرحمن بن أحمد التيجاني: الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900إلى1977، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1983م، ص-ص19-20.

[3] عبد الرحمن بن أحمد التيجاني: المرجع نفسه، ص17.

[4] المرجع نفسه، ص18.

الموالي يقومون بمحوها بعد استظهارها لدي الشيخ ثمَّ يكتبون غيرها من الأجزاء. وتتم هذه العملية بصورة يومية حتى يحفظوا القرآنَ الكريمَ كاملاً[1].

والمتأمل في الطرق والأساليب والمناهج المعتمدة في التعليم بالكتاتيب على امتداد العالم الاسلامي يجد تقاربا شديدا فيما بينها، إذ يصف الباحث خلفان بن ناصر التعليم بالكتاتيب بسلطنة عمان وكأنه يصف حالها بتوات قائلا: "انقسمت الدراسة في الكتاتيب الى عدة مراحل حيث شملت المرحلة الأولى تعليم الطالب مبادئ القراءة والكتابة من خلال تعليمه الحروف ونطقها منفردة ثم نطقها مع الحركات والسكون وحروف المد والتشديد والتنوين ...."[2].

ومما لا شك فيه أن الديار التواتية عرفت الكتاتيب منذ دخول الاسلام إليها، والمعروف عن السكان الأوائل الذين قطنوها أنهم كانوا من البربر، لا يجيدون اللغة العربية، وكانت محاولات التعليم الأولى تركّز جهودها على تطويع اللسان البربري لإجادة اللغة العربية، لاستيعاب تعاليم الدين الإسلامي.

ويطلق على الكتاتيب محلياً اسم " أقربيش"[3]، ولها عدَّة أسماء على امتداد القطر الجزائري كـ: " المسيد"، "المحضرة"[4]. وتجدر الإشارة إلى أن الاصطلاح المحلي والواقع التعليمي يفرق بين المدارس القرآنية والكتاب؛ باعتبار تمركزها ومرتاديها أيضاً، فالكتاب عادة يكون قريباً من للوسط السكاني، ويكون غالباً تابعاً للمسجد، ويؤيّد

---

[1] يحي بوعزيز: مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ص199-201.

[2] خلفان بن ناصر: مبادئ التعليم في الكتاتيب بسلطنة عمان في ضوء الفكر التربوي الإسلامي، مجلة العلوم التربوية، ع2، 2015، ص339.

[3] كلمة زناتية محلية، تعني في العربية الكُتّاب. محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج2، ص338.

[4] وتسمى أيضا: الحِضار، الحضرة، دار التلاميذ، المعمرة، المعلمة، الخلوة، الخربيش، المدرسة، المدراس، دار القرآن، المقراة، تمزقيدة، الجامع. ينظر: عبد الهادي حميتو: حياة الكتاب وآداب المحضرة، ص ص 411-442.

طرحنا هذا أن هذه المؤسّسة التربوية العلمية هي المحضن الأول الذي يتلقى فيه الصبيان تعليمهم الأولي حتى قبل التحاقهم بالمدارس الرسمية في وقتنا الراهن.

وكانت العائلات بمنطقة توات وجوارها، تدفع صبيانها منذ الصغر إلى الكتاتيب لتلقي آيات القرآن الكريم وتعلم اللغة العربية ومبادئها الأولى. ولعل هذا من إدراكهم ما للتعلم في الصغر من فائدة لخصها الأوائل في قولهم: " التعليم في الصغر كالنقش على الحجر". وقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يُعلِّم الصبيان متى أتيحت له فرصة، كما أورد ابن عباس أنه كان خلف رسول الله، فَقَالَ له:" **يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ**"[1].

وكان عمره آنذاك عشر سنوات، كذا ذكر أن أبا سليمان داوود بن نصير الطائي لما بلغ من العمر خمس سنوات أسلمه أبوه إلى المؤدّب، فابتدأ بتلقين القرآن[2].

وتُعدُّ مرحلة الصبا والطفولة أخصب مراحل التربية والتعليم، إذ أن القدرات الذهنية التي يمتلكها الطفل وفراغه من الشغل؛ من أكبر المؤهلات التي تؤدّي إلى الاستيعاب الجيد، " وتتميز الطفولة البشرية كذلك بالمرونة والصفاء والفطرية، وهي

[1] أخرجه الترمذي، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم: 2516، ج4، ص664. وقال: حديث حسن صحيح.

[2] ينظر: محمد بن أبي محمد بن ظفر المكي الصقلي: أنباء نجباء الأبناء، تح: لجنة إحياء التراث العربي، دار الآفاق الجديدة، ط1، 1980، ص 160.

تمتد زمناً طويلاً: يستطيع المربي خلال هذه الفترة الطويلة أن يغرس في نفس الطفل ما يريد، وأن يوجهه حسبما يرسم له من خطة"[1].

لذا، فقد عني الإسلام بالصبي وأعطاه حقوقاً عدّة في المال وفي الرضاع والمأكل والتعليم والرعاية. وفي سياق الحديث عن تعليم الصغار في سن مبكرة، نجد العلامة عبد الرحمن ابن خلدون يثني على هذا المنهج ويعتبره أساساً متيناً تبنى عليه المكتسبات التي تأتي بعده، خصوصاً إن كان المبتدأ به القرآن الكريم. وفي هذا الصدد يقول: " صار القرآن أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل من الملكات وسبب ذلك أن التعليم في الصغر أشد رسوخا وهو أصل لما بعده لأن السابق الأول للقلوب كالأساس للملكات"[2]. مما له من أثر في ترسيخ القيّم الإسلامية والعقدية في ذهن الصبيان.

يمكن القولُ، إنَّه بالرغم من بساطة شكل بعض الكتاتيب، وقلَّةِ إمكانيَّاتها الماديَّةِ، وفقرِ المعلِّمين بها، وقدمِ أساليبِ التَّدريسِ المتبعةِ بها. إلَّا أنَّها أدَّت دورها التعليميَّ المتمثِّلَ في تحفيظِ القرآنِ الكريمِ عن طريق الاستظهار، وضبط تقنية القراءة والكتابة، وتقديم رصيد معرفي يسمح باكتساب خبرات لمواجهة الحياة العملية، والقضاء على الجهل بتعليم القراءة والكتابة، بالإضافة إلى تقديم المعارف الأولية لممارسة الشعائر الدينية.

ومُخرجات هذه الكتاتيب مُخرجات صادقة مهارة واكتساباً وتوصيلاً، لأن طرائق التدريس بتلكم الكتاتيب لم تكن معقّدة أو غير مجدية، بل إنها كانت تتماشى مع مستوى المتعلم ومراحل عُمره، فهي أول درجات السلم التعليمي، حيث كانت تتراوح أعمار الدارسين بها بين الخامسة والسادسة عند الإلتحاق بالدراسة، ويستمرون في

[1] محمد نور بن عبد الحفيظ سويد: منهج التربية النبوية للطفل، دار طيبة، مكة المكرمة، ط3، 2000، ص203.

[2] ابن خلدون: المقدمة: مرجع سابق، ص 334.

الدراسة من أربع إلى خمس سنوات، يتعلمون خلالها القراءة، والكتابة، وحفظ القرآن الكريم على أيدي فقهاء ومعلمين تفرغوا لهذا العمل[1].

وقد إتبع الفقهاء والمعلمون في الكتاتيب أسلوب التكرار والنسخ على الألواح والحفظ في تعليم الصبيان. ويبدأ اليوم الدراسي في الكتاتيب من الصباح الباكر حتى الظهر، مع منح الطلبة وقتاً للراحة لتناول وجبة الغذاء، ثم يعودون للدراسة حتى آذان العصر، ومنه الى زوال الشمس وتستمر الدراسة كل أيام الأسبوع بهذا الشكل، عدا يومي الخميس والجمعة وفي الأعياد والمناسبات الدينية[2].

أما أجرة الفقيه، فهي غير ثابتة، وتختلف من أسرة إلى أخرى وفقاً لإمكانياتها، فبعضها يقدم شيئاً من المال، وبعضها الآخر يقدم أشياء عينية، مثل: التمر، أو الزيت أو علف الدواب من نوى التمر، أوالبيض، وهي تقدم عادة كل يوم أربعاء أو خميس. وقد ساهمت الكتاتيب القرآنية بدور مهم في الحياة الثقافية، ومن العلامات البارزة في نظام الكتاتيب أنها تحمل طابعاً إسلامياً واحداً في أغلب مناطق توات[3].

ومن العوائد والأعراف السائدة في أغلب قصور توات والمرتبطة بهذه الكتاتيب "عادة العُرفات"، وتتمثل هذه العادة في تخطيط وتنميق ألواح التلاميذ، وذلك بمناسبة عيدي الفطر المبارك والأضحى الأغر، حيث يجتمع التلاميذ أمام البيوت، ويتلون جماعة قوله تعالى﴿ **إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا**﴾ [سورة الفتح ، الآية رقم 01-02].

---

[1] محمد باي بلعالم: الرحلة العلية، ج1، ص 264.

[2] محمد باي بلعالم: المرجع نفسه، ج01، ص ص 264-266. عبد الحميد بكري: النبذة في تاريخ توات وأعلامها، ص ص 42-43.

[3] محمد باي بلعالم: المرجع السابق، ج01، ص 266. عبد المجيد قدي: صفحات مشرقة من تاريخ مدينة آولف العريقة، مرجع سابق، ص 216.

ثم يقوم أهالي القصر بإهداء البيض، والقمح، والتمر، والنقود للتلاميذ، وهكذا يطوف التلاميذ بأنحاء القصر، ليقدموا حصادهم للشيخ في نهاية ذلك اليوم[1].

المطلب الثاني: مميزات الدراسة بالكتاتيب.

يبدو أن المسجد والكتَّاب لم يعد الموضع الوحيد الذي يتم فيه تلقين العلوم، وإنما ظهرت بامتداد الأيام وتوسع المجتمعات مواطن جديدة عملت على ترشيد وتوجيه حركة التعليم، ولما كان الكُتّاب مفتوحاً لكل فئات المجتمع على اختلاف مشاربها وقدرات استيعابها، كان لزاماً على المتصدّرين للتعليم أن يوجدوا سُبلاً جديدة لفتح المجال أمام النبهاء من الطلبة للانطلاق في الدراسة والتبحر في العلوم، وتسخير الجهود لتخريج ثلة من الطلبة يكونون بعد ذلك خلفاً لأسلافهم الذين نشروا العلم.

وقد أسلفنا حين الحديث عن تعريف الكتاتيب، أنها لم تعد تلك الحجرة المنبثقة عن المسجد، وإنما اتخذت أشكالا عدَّة؛ باعتبارها موضع التقاء الصبيان لتلقي العلوم، فلبست ثوب الخيمة والغرفة من المنزل، وقد تكون اجتماعاً تحت ظل نخلة، وهذا ينبع من تصور تلك المجتمعات لضرورة التعليم وأهميته.

ورغم ما استحدث من مؤسّسات تعليمية، والتي كانت تهدف إلى تلقين العلوم ونشرها؛ إلا أن الكُتَّاب بقي حجر الأساس لكل تلك المؤسّسات في المجتمع التواتي، ذلك أن الطفل يتلقى فيه مبادئ العلم الأولية التي تأهله لولوج المؤسّسات الأخرى؛ كالزاوية والمدرسة القرآنية، فظلت بذلك تستقطب أعداداً هائلةً من الطلبة على اختلاف أعمارهم.

[1] محمد باي بلعالم: الرحلة العلية، ج01، ص 266.

فما هي مميزات الدراسة بالكتاتيب القرآنية التي اكسبتها ذلك الاقبال والقبول لدى ساكنة توات؟. ويمكن إجمال تلك المميزات؛ فيما يأتي:

أولاً: لعل من أبرز سمات التدريس بالكتاتيب أنها تميزت باليسر والبساطة؛ فهي متاحة لكل المجتمعات ولكافة أفرادها على اختلاف طبقاتهم ومستوياتهم الاجتماعية، "وإلَّا فإن تعليم القرآن وغيره كان موجوداً في كل قرية وحي ودشرة ونزلة؛ في المساجد أو كتاتيب أو مدارس أو غيرها وحتى لدى البوادي في باديتهم، فقد كانت عشة الطالب أي خيمته معلم القرآن معروفة لديهم تلازم الرحل منهم في الإقامة والظعن"[1].

وهذا يدل على أن التعليم القرآني للصغار لم يكن يتخلف عن أي مجتمع مسلم حتى في ترحاله، لذلك كانت أغراضها بسيطة؛ كحصير يُجلس عليه ووعاء ماء يستعمله الطلبة لمحو ألواحهم، فـ"لم يكن الكتاب منذ ظهوره إلى عهد قريب مؤثثا بفاخر الفرش، وإنما أثاثه عبارة عن حصير، ومجموعة من الألواح الخشبية، وأقلام من قصب، وكمية من الصلصال والصمغ، وجرار للماء، ومجموعة من المصاحف"[2].

فكانت الكتاتيب بذلك تضمن التعليم الإبتدائي لكل أفراد المجتمع، فتُعلِّم القراءة والكتابة وتُحفِّظ القرآن، وبفضلها رُفعَت الأمية عن عديد الساكنة بالقطر الجزائري[3].

---

[1] عبد القادر عثماني: الزوايا والتعليم القرآني والديني بها، مجلة الدراسات الإسلامية، المجلس الإسلامي الأعلى، الجزائر، ع2، 2002، ص84.

[2] الصديق حاج أحمد: الكتاتيب القرآنية بتوات (ولاية أدرار) ودورها في احتضان الدرس اللغوي، مجلة الحقوق والعلوم الانسانية، مج 03، ع01، جامعة الجلفة، جانفي2010، ص ص 314-319. الطالب عبد الرحمن بن أحمد التجاني: الكتاتيب القرآنية بندرومة...، مرجع سابق، ص 17.

[3] الطالب عبد الرحمن التجاني: المرجع نفسه، ص 14.

ثانيـــاً: ولا يتطلـب التوجـه إلى التعلـيم في الكتّـاب نفقـات وأمـوالاً تثقـل كاهـل الأوليـاء، بـل كـل مـا يحتاجـه المـتعلم لوحـة يـدون عليهـا ودواة، وقلَمـاً مـن قصـب يكتـب بهمـا، وقطعـة مـن طـين يمحـو بهـا لوحتـه، وهـي وسـائل متاحـة في أغلـب المجتمعـات حـتى المترحلـة منهـا، ولا يشـترط في الـدواة حـبرٌ معـينٌ؛ وإنمـا مـا يحقـق الغـرض في الرسـم علـى اللـوح، فلـم تكـن الكتاتيـب ترهـق كاهـل الأوليـاء بكثـرة النفقـات علـى الأدوات ومتطلبـات الدراسـة، بـل حـتى أجـرة معلـم القـرآن لم يكـن يتكفـل بهـا أهـالي الطلبـة إلّا مـا كان منهم تطوعاً.

ثالثـاً: يُضـاف إلى ذلـك أن محتـوى التعلـيم فيهـا مناسـب لسـن المتعلمـين، يسـلك فيـه المعلـم منهجـاً تـدريجياً يُراعـي فيـه سـن الطالـب وقـدرة اسـتيعابه، فـلا تتشـعب بـه المـواد المدرسـة، بـل يُكتفـى فيهـا بتـدريس الحـروف وتعلـم رسمهـا إلى دراسـة بعـض السـور القصار، وكذا بعض المتون والأناشيد الدينية.

رابعـاً: لعـل أهـم مـا يميـز الدراسـة أيضـا في الكتاتيـب قربهـا مـن التجمعـات السـكنية، وهـذا مـا يتـيح للطفـل القـدرة علـى الـذهاب لوحـده ومـا يتـيح أيضـا مشـاركة الأمهات في استقدام أبنائهن للكتَّاب لانشغال أغلب الأولياء بالعمل.

وقـد ذكـرنا بدايـة نشـأة المكتبـات أنهـا كانـت جـزءاً أو ملحقـاً بالمسـاجد، الـتي في العـادة كانـت تمثـل المحـور بالنسـبة للعمـارة التواتيـة، حيـث " يوجـد داخـل القصـر مجموعـة مـن الأبنيـة المتشـابهة بالإضـافة إلى الأزقـة والشـوارع، ووسـط كـل هـذا يأتي المسـجد كمركـز

محوري داخل القصر"[1]، حتى تتكافؤ فرص الطلبة في الإلتحاق بالكُتَّاب، بالإضافة إلى البعد الروحي والإجتماعي لهذا الإختيار.

خامساً: الروح التنافسية بين الطلبة، إذ لا يُعتمد أُسلوب التعليم الجماعي في تلقين الطلبة، خصوصاً أولئك الذين يجيدون الكتابة ويجيدون مخارج الحروف، فهم يعتمدون على أنفسهم في رسم الآيات من المصحف ، كما لهم الحرية في تقدير ما يستطيعون حفظه لنقله على ألواحهم، أما الذين لا يحسنون الرسم ولم تستقم ألسنتهم بعد على النطق السليم؛ فإما أن يَكتب لهم مُعلم القرآن مباشرة على ألواحهم مع التلقين المباشر؛ وهم المبتدئون، وآخرون يَكتب لهم بخط خفيف، وتسمى العملية بـ" الترشام"[2]، ليعيد التلميذ عليه بالقلم والدواة فيصبح ظاهراً، بعد أن يسمع الآيات نطقاً من المعلم.

ونظرا لاختلاف السنوات العمرية لالتحاق الطلبة بالكتاتيب، فقد اختلفت مستوياتهم في تقدّمهم في حفظ القرآن، لذلك نجد معلم القرآن يتتبّع كل طالب في المستوى الذي هو فيه، كما ينتدب النجباء من الطلبة المتقدّمين في الحفظ لرسم الآيات على ألواح الطلبة الذين لم يحسنوا الكتابة، أمّا تسميع المحفوظ فلا يكون إلّا بين يدي معلم القرآن، وهو الذي يجيز الطالب إلى الانتقال لآيات جديدة، حسب درجة حفظه وضبطه.

---

[1] أحمد جعفري: العمارة الإسلامية في أقاليم توات (تاريخها، ونمط أشكالها، هندستها ومواد بنائها، مبادئها وأبعادها القِيَمِيَّة)، مجلة التراث، ع 115، هيئة أبو ظبي للثقافة والإعلام، الإمارات العربية، 2009، ص125.

[2] ويمكن مقابلتها بالعربية بالوشم على اللوح، حيث تظهر الكتابة باهتة يعمل التلميذ على توضيحها من خلال التتبع، كما تعتمد طريقة أخرى وهي كتابة الآيات أسفل اللوح بخط صغير ويعمل التلميذ على نقلها.

وقد ساهم المجتمع في تعزيز هذا التنافس وإزكائه من خلال المراسيم الإحتفائية التي كانت تقام على شرف الطلبة النجباء، والذين أحرزوا تقدّماً في تلقي القرآن، تشجيعا لطلاب القرآن على مواصلة العمل بجد واجتهاد، ومكافأة من أهل التلميذ لابنهم، " والسور التي يقام عند وصول الطالب إليها مأدبة ...لتلاميذ المدرسة القرآنية خاصة ... إذا بلغ زميلهم إحدى السور التالية:" لم يكن الذين كفروا، سبح اسم ربك الأعلى، عمّ، قل أُوحي، ... أما إذا وصل حزب يستبشرون من سورة آل عمران فإنها تقام له وليمة كبيرة يُدعى لها أهل القرية كلهم"[1].

وهكذا دأبت الكتاتيب القرآنية تؤدي دورها التعليمي رغم مزاحمة المدارس النظامية لها، وظلّت محافظة على فعاليتها في تخريج حفاظ للقران الكريم، الذين تزخر بهم ربوع المنطقة؛ خصوصاً أولئك الذين اختاروا طريق التعليم القرآني أو الذين زاوجوا بين التفوق المدرسي والتفوق في الكتاب وكثيرون هم.

المطلب الثالث: دور الكتاتيب في التأسيس للدّرس اللغوي والقرآني.

يحفظ التاريخ للكتاتيب القرآنية صفحة مشرقة في سجله، فلم تكن فقط أداة تثقيف وتعليم بالمجتمع الجزائري، بل كانت أيضا الوعاء الذي حفظ ماء وجه الجزائر أيام ضَيَّق الاحتلال الفرنسي على المساجد وغيرها من المؤسّسات التعليمية الأخرى، لغرض طمس هوية الجزائر وتجهيل شعبها؛ طمعا في أن تكون ثغرة يسهل من خلالها خرق ثوب الأمة العربية الإسلامية.

[1] محمد باي بلعالم: الرحلة العلية، ج01، ص 264.

1- أساليب التعليم في الكتاتيب القرآنية:

إن المتأمل في الجُهد التعليمي للمشايخ والمدرسين بالكتاتيب القرآنية، يجده مقتصراً على تلقين مبادئ اللغة العربية الأولى من حفظ حروفها وإجادة رسمها والتفريق بينها إلى تعلم الكتابة الصحيحة وحفظ قصار السور والتدرج في ذلك من الأقصر إلى القصير، وفي ذلك صقل لمواهب الطالب وتوسيع لمداركه وتأسيس للقاعدة الأساسية التي من خلالها يمكن للطالب بعد ذلك حفظ السور الطوال وحفظ متون اللغة والفقه وغيرها.

ولما كانت الدراسة بالكتاتيب، تُعدُّ المرحلة الأولى التي يتلقى فيها الطالب المعارف الأساسية، حرص المربون والعلماء القائمون على سياستها أن تتوافق مع قدرات الطلبة واستعداداتهم، طمعاً في بلوغ أعلى الغايات المرجوة من العملية التعليمية.

وإذا كان التدرج في اكتساب العلوم أمراً ضرورياً مراعاة لسن المتعلم وقدراته، فإن المنهج التعليمي بالكتاتيب القرآنية لم يتخلف عن ذلك، إذ نجد التدرج واضحاً بين من يدخل الكتّاب لأول مرة ومن مضى عليه زمن فيها، ورغم الاختلاف في السن الذي نلمسه عند رواد الكتاتيب، إلّا أن المعلم أو المدرّس يعامل كل واحد ويلقنه ما يصلح له، وما يتوافق مع سنه وقدراته الاستيعابية. إذ ليس ثمة وقت محدّد لاستقدام الأطفال إلى الكتّاب؛ بل الأمر متعلق بأهل الطفل؛ متى آنسوا منه قدرة ورغبة استقدموه أو تحينوا مناسبة دينية؛ كرمضان أو قدوم الحجيج أو غيرها تبركاً بذلك الزمان.

ولا يستثنى من مقرر الكتاب التعريج على علوم العربية، خاصة النحو المبسط والشعر من خلال المنظومات التعليمية التي تردَّد جماعياً بإيعاز من الطالب[1] أو من ينتدبه من النجباء لذلك، والأمر هنا يتعلق بمن مضى لهم زمن في الكتاب وأحسنوا رسم الحروف وحفظوا أغلب السور القصار من جزء عمّ تمهيداً لدفعهم إلى أحد المؤسّسات التعليمية العليا؛ الزوايا أو المدارس القرآنية.

ويلخص ابن خلدون منهج الكتاتيب في تدريس الصغار قائلاً: "أما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه؛ لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعلميهم، لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب؛ إلى أن يحذق فيه أو ينقطع دونه، فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعًا على العلم بالجملة. وهذا مذهب أهل الأمصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر، أمم المغرب، في ولدانهم أن يجاوزوا حد البلوغ إلى الشبيبة، وكذا في الكبير إذا رجع مدارسة القرآن بعد طائفة من عمره، فهو لذلك أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم"[2].

أما عن هدف الدراسة بالكتاتيب، فقد كان واضحاً جلياً منذ نشأتها، وهو تمكين الطلبة من تعلّم العربية عبر مفاتيحها الأساسية؛ وهي تعلم الحروف وأصواتها، وتعلّم رسمها وكتابة الكلمات والجمل، ولما كانت العرب تتلقى بالسماع أكثر مما تتلقى

[1] وهناك تسميات عدة لمُدرّس القرآن في الكتاتيب تختلف باختلاف المناطق، ففي منطقة توات يسمى بـ"الطالب"، ويسمى في مناطق أخرى من الوطن بـ: الفقيه، المدرس، نعم سيدي...الخ.

[2] ابن خلدون: المقدمة، ج1، ص538.

عبر القراءة والكتابة، جعلت الكتاتيب من منهجها؛ إضافة إلى تعلم العربية حفظ اليسير من القرآن الذي يكون مُعيناً على تأدية الواجبات الدينية على أتم وجه[1].

2- المقررات الدراسية المؤسِّسة للدّرس اللغوي والقرآني:

ويمكن الإشارة إلى أن المقرر الدراسي في الكتَّاب المتعلِّق باللغة العربية هو كالآتي:

أ) مرحلة تعليم الحروف من الألف إلى الياء:

حيث يكون أول ما يتلقاه المتعلم؛ يكتب "الطالب" الحروف بتتابع على اللوح وينطقها لتتبين مخارجها ويكرر التلميذ النطق بها ليحفظها، وهكذا إلى أن يكملها، ثم ينتقل إلى مرحلة أخرى وهي الحروف بالحركات وفيها ينتخب المدرّس بعض الحروف؛ لا كلها؛ لتدريب التلميذ على الحركات من ضمٍ ورفعٍ وخفضٍ وتشديدٍ وتنوينٍ، ولا ترتبط هذه المرحلة بوقت بعين، بل يبقى التقدير للطالب وفق قدرات التلميذ وسرعة بديهته.

وتهدف هذه المرحلة إلى تمكين التلميذ الجديد على الكُتّاب من معرفة الاسم الصحيح للحرف مع إجادة نطقها، لذلك تعتمد هذه المرحلة طريقة التلقين، وكان لطريقة ربط صورة الحرف باسمه المسموع الأثر البالغ في تمكين وترسيخ الحروف الصحيحة لدى المتعلم لئلا يختل تعلمه لِما يأتي بعد هذه المرحلة.

وتُعدُّ هذه المرحلة مهمة في تطويع لسان التلميذ وتأهيله لإخراج الحروف إخراجاً صحيحا؛ يبعده بعد ذلك عن الخطأ في قراءة القرآن.

---

[1] دليلة شاري : الطرق الميسرة في تدريس اللغة العربية في الكتاتيب القرآنية في توات،مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج11، ع04، جامعة ورقلة، ديسمبر 2019، ص ص 241-250 .

ب)- مرحلة تعلّم الكلمات والرسم القرآني:

وفيها يبدأ التلميذ مرحلة جديدة، وهي الربط بين الحروف. من خلال وشم الآيات على اللوح من قبل "الطالب"، ثم يعيد التلميذ عليها بالحبر لترسخ في ذهنه ويحفظها بعد هذه العملية.

ففي هذه المرحلة والتي قبلها يعمل المدرّس على أن " يتدرج مع الطالب في تعليمه الأداء، فيحرص في البداية على إجادته لنطق الكلمات والحروف، ومساعدته على التخلص من عيوب النطق، كالفأفأة، والتأتأة، بالإضافة إلى مساعدته على التخلص من تأثير اللهجات المحلية أو اللغات الأعجمية على نطق بعض الكلمات أو الحروف، أو نحو ذلك من صور اللحن الجلي، ثم يدربه على إتقان الأداء، وتجاوز اللحن الخفي شيئاً فشيئا"[1]؛

بعد تدرج التلميذ في المراحل السابقة يستقبل مرحلة جديدة وهي مرحلة الإملاء؛ إذ يملي الطالب على التلميذ الآيات التي سيتولى حفظها وهو يكتبها بحبر الدواة بعدها يراقب الطالب ما كُتِب ويُصحّح الأخطاء الواردة.

وفي هذه المرحلة يتعوّد الطالب بعد الدُّربة على الرسم القرآني الصحيح، إذ الرسم القرآني يختلف تماماً عن الرسم الإملائي المعروف، وتُردَّد بعض الأبيات الشعرية من المعلم يتلقَّفها الطلبة يسهل من خلالها ضبط الرسم القرآني بالخط المغربي؛ نذكر منها:

حروف (ينفق) إذا تطرفت فَعَرِّها من نقطها حيث أتت[2]

---

[1] المنتدى الإسلامي: المدارس القرآنية والكتاتيب وقفات تربوية، مؤسسة المنتدى الإسلامي، 1986، ص42.

[2] محمد باي بلعالم: الرحلة العلية، ج 01، ص 263.

أي أن الحروف المذكورة بين قوسين، إذا وقعت في آخر الكلمة فإنها تكتب بدون نقط (دون تنقيط)، مثلا (الياء: شركاءي)، (النون: الدين)، (الفاء: حرف)، (القاف: الفلق) ويبقى السؤال هو كيف يمكن التمييز بين حرفي القاء والقاف بما أن كلاهما يكتب دون تنقيط إذا وقع في آخر الكلمة. وللإشارة فإن حرف الفاء عندما يقع في آخر الكلمة، فإنه يكتب مبسوطا" :

فعن طريق اللوح يحفظون القرآن الكريم، وبه يستظهرون مسائل العلم، وبه يُقيّمون مستوى العالم، وقد إرتبطت الكتابة في اللوح في ثقافتهم بالحفظ وسرعة الاستحضار، حتى قال بعضهم "إن العلم الذي أخذ عن طريق اللوح يورث العلم والفهم"، واستأنسوا لذلك بقوله تعالى ﴿ **وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ**﴾ [الأعراف، الآية رقم:145].

وكانوا يذيّلون خاتمة ألواحهم بأنصاص وأرجاز، تعين الطالب على حفظ المتشابه وضبط المرسوم[1].

وإذا أردنا تصنيف هذه النصوص والأرجاز عامة، فإنا نجدها[2]:

أ– إما أن تكون من باب ضبط المتشابه وتبصير الطالب بمحل كل موضع، كقولهم مثلا:

بعد الذي من بعد في الأعوان... وبعدما في الرعد ياخليلي.

وقولهم:

ثلاثة فاعلم فنجينَّه.... واتل أنومن كذا رشداه

ب– الاعتناء بمحور المفصول والموصول؛ فيحصرون كل واحد منها في رجز أو نص يسهل حفظه وتذكره حال الكتابة، كقولهم: ليكة ص والشعرا بلام أوكان الايكة ق وربما بلام الف وكقولهم: أن ما يدعون باء عددهم في الحج ولقمان قد كملا.

فظ كتب طث" وهذه السبعة **** مبسوطة في السطر خذها قاعدة.

أي أن حرف الفاء المتطرف له ميزتان: فهو "مبسوط" و "غير منقوط" على عكس حرف القاف الذي يكون (معرقا) من التعريق؛ أي أنه غير مبسوط، وبالتالي فالفرق بينهما في الشكل لا في النقط.

[1] العيد حاج قويدر، مصطفى حاج قويدر: الأنصاص القرآنية المتداولة في الكتاتيب والزوايا التواتية، ودورها في الحفاظ على الرسم العثماني، مجلة الاستيعاب، مج05، ع01، جامعة أبو بكر بلقايد – تلمسان، جانفي 2023، ص ص 109-132.

[2] يراجع: عبد العزيز العيادي العروسي: الأنصاص القرآنية رواية ورش بالسند المتصل، ط05، ج01، (د.ط)، الرباط 2006م 1427هـ، 489 صفحة.

ج– تقريب قواعد العربية من الطالب المبتدئ، فقد تشتبه عليه حركات بعض الحروف القرآنية تبعا لمحلها الإعرابي، فيحصرون له مواضع الحرف القرآني المتجانس الحركة في نص يستحضره حال تلاوته، كاستقرائهم مثلا أن أربع كلمات قرآنية تأتي بعدها «جهنم» مرفوعة الميم وذلك قولهم: .....فهذه جزا حسب ورا.... جهنم بالضم قال الكبرا.

وكتِبيان كيفية كتابة بعض الحروف التي تشكل كتابتها أهي بالصاد أو السين مثلا، أو هي بالألف الممدودة أو المقصورة، وذلك في عبارات بسيطة قد تكون أحيانا بالعامية، كقولهم:

- صَرعى صَادها قَد الكَرعَى.
- تَتْرا ألفها قَد المْدْرا.
- وامْتازوا رَافد عَكَازُوا.
- عَاليها مَعلي، سَافِلها مْدَلِي.

أمّا المقرر الخاص بالقرآن الكريم؛ فيُراعى فيه قدرة الصغير على الحفظ؛ ولصفاء ذهنه مع بداية تعلم الرسم القرآني يبدأ التلميذ في حفظ القرآن، ولم يُحدد مستوى معين للقرآن في الكتاب، بل حسب رغبة التلميذ في الالتحاق بمؤسّسات أعلى كالزاوية أو المدرسة القرآنية، التي يشترط فيها حفظ القرآن أو ختمه، للتفرغ إلى العلوم الدينية الأخرى كالفقه والقراءات والأصول واللغة العربية.

يُضاف الى ذلك حلقات القراءة الجماعية، والتي من خلالها يستوعب التلميذ مخارج الحروف الصحيحة وكذا يضبط حفظه ويرسخ أحكام الترتيل والتجويد بها، يردد فيها الطلبة أحزاب "الجمعة" و"تبارك" و"الجن" و"عم" و"سبح" نزولاً، وتكون هذا ليلاً في المسجد؛ إذ يجتمع الصبيان لقراءة الحزب الراتب مع الكبار وبعد خلوصهم منه يبدأ الصغار في القراءة الجماعية بمرافقه معلم القرآن، لترسيخ تلك الأحزاب في ذهن الطالب؛ باعتبارها القاعدة الأولى التي تنمي ملكاته وتكسبه الثقة

في النفس، وقد لا يكون ذلك في كل الكتاتيب لبُعدها عن المساجد، أما الملحقة بها فقد جرت على تلك السنة[1]، إذ " بعد صلاة المغرب وبعد الانتهاء من قراءة الحزب اليومي في المسجد، يجتمع التلاميذ في كتابهم، ويقرأون الخمسة الأخيرة "يسبح". بعضهم يقرأ خمسة كاملة وبعضهم كل ليلة حزبا ... وعقب ذلك يرددون ما أخذوا من أبيات المتون، لحفظها وتثبيتها، ويقوم الشيخ بشيء من الشرح"[2].

وتأتي أهمية الكتاتيب دون غيرها من المؤسّسات التعليمية الأخرى؛ كونها قائمة على تحفيظ القرآن الكريم بشكل جماعي يساعد على سرعة الحفظ والاستيعاب.

ويؤكّد علماء التربية أن حفظ القرآن في المرحلة العمرية الصغيرة يظل ثابتاً في الذاكرة ويقوّم منذ البداية اللسان العربي ويقوي مخارج الحروف.

وتبقى للكتاتيب القرآنية خصوصيتها في تأسيس القاعدة العلمية للولدان؛ سواء من قدر لهم مواصلة تعلمهم والترقي إلى درجات متقدمة عند المشايخ لتلقي الفقه والنحو وغيره من العلوم، أو الذين انقطعت بهم سبل التعلم؛ بسبب أوضاعهم الاجتماعية أو الاقتصادية أو لمحدودية مَلَكَاتهم وقصور استعداداتهم.

[1] محمد باي بلعالم: الرحلة العلية، ج 01، ص 266.

[2] محمد السعيد بن سعد: الكتاتيب والزوايا والحلل بالجنوب الجزائري، مجلة الناصرية، جامعة معسكر، مج2، ع1، 2012، ص 239.

المبحث الثاني: المدارس القرآنية وجهود علماء توات التعليمية اللغوية والقرآنية.

عرفت الجزائر في العهد الزياني عدّة مدارس، حظيت بشهرة كبيرة، فكانت خمس منها بتلمسان حسنة التصميم، مزدانة بزخارف الفسيفساء، ووُجد في بجاية عدد هام من المدارس، وفي قسنطينة مدرستين[1]. وكانت أول مدرسة بنيت في تلمسان على يد الزيانيين، هي المدرسة التي بناها السلطان أبي حمو موسى الأول(707-718ه)[2].

ويذهب المقريزي من حيث تعريف المدرسة؛ نقلاً عن ابن سيدة وابن جني، أنها مشتقة من الفعل "درس الكتاب" يدرسه درساً ودراسة، إذا كرّره للتمكّن منه، ودراست ودرّست، والمدرس: وهو الموضع الذي يدرس فيه[3]. والمدرسة (جمعها مدارس)، وهي أماكن مخصّصة لإلقاء الدروس، ويمكن تحديد مفهوم المدرسة بأنها هي كل ما يُبنى بهدف تحصيل العلم لتعليمه وتعلُّمه[4].

المطلب الأول: دور المساجد والمدارس في التعليم القرآني:

لقد تعلّق المسلمون الأوائل بالإسلام وأدركوا أنه الحق من عند الله، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه تعاليم الدين بكل الطرق التي أتيحت له، تارة بالقصة وتارة بالحوار، وأخرى بالسؤال والجواب، تعليماً عملياً، وهكذا أدّى أمانة

---

[1] مسعود العيد: حركة التعليم في الجزائر في العهد العثماني، في مجلة سرتا، ع3، السنة الثانية، قسنطينة، ماي1980، ص85.

[2] عبد الحميد حاجيات: الحياة الثقافية بالجزائر في عهد بني زيان، ضمن كتاب الجزائر في التاريخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ج03، ص 436-437.

[3] المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بكتاب الخطط، دار التحرير للطبع والنشر،1968، ج03، ص313-314.

[4] مسعود العيد: المرجع السابق، ص85.

الله الـتي كلـف بتبليغهـا، ولأجـل أن يُسـهُل عليـه اللقـاء بالمـؤمنين ويـبلغهم الـوحي الـذي أنـزل إليـه؛ أنشـأ المسـجد[1] أول مـا دخـل المدينـة، فكـان أول مكـان أُتخـذ في الاسـلام ليكـون جامعـة يَتَلقّـى فيـه المسـلمون دروسـهم الدينيـة علـى يـد المعلـم الأول؛ محمـد رسـول الله صلى الله عليه وسلم.

1- الدور التعليمي للمسجد عبر التاريخ:

كـان المسـجد في صـدر الاسـلام يمثـل كافـة مؤسّسـات المجتمـع التعليميـة والقضـائية والعسـكرية، كمـا كـان الرسـول معلمـاً وقاضـياً وقائـداً للجـيش الإسـلامي، غـير أننـا سنقتصـر حـديثنا علـى الجانـب التعليمـي في رسـالة المسـجد وقتهـا، حيـت لم تكـن هنالـك فضـاءات أخـرى يمكـن مـن خلالهـا بـث التعـاليم الدينيـة، تلـك الفضـاءات الـتي ظهـرت مـع تطـور المجتمعـات الإسـلامية فيمـا بعـد، إذ ظهـرت فيهـا مؤسّسـات تعليميـة مسـتقلة عـن المسـجد؛ كالكتاتيـب والمـدارس والمعاهـد والجوامـع الكبـيرة الـتي تأسَّسـت كجامعـات، مثـل جامع الأزهر بمصر، وجامع الزيتونة، وجامع القيروان بتونس، وجامع القرويين بفاس.

كـان المسـجد ولا يـزال يمثـل المؤسّسـة التعليميـة الأمثـل في الـدين الإسـلامي، وأعظمهـا مكانـة وتقـديراً، ولـمّا هيـأه الله لتكـون لـه تلـك المكانـه؛ خصـه بنفسـه في قولـه تعـالى: ﴿ **وَأَنَّ الْمَسَـاجِدَ لِلَّهِ فَـلَا تَـدْعُوا مَـعَ اللَّهِ أَحَـداً** ﴾[سـورة الجـن، الآيـة 18]، لـذا

[1] أُخـذت هـذه الكلمـة مـن فعـل سَـجَد يَسْـجُد؛ أي وضـع جبهتـه علـى الأرض. ويقـال المسـجِد والمسـجَد وهـو كـل مكـان يُتعبَّـد فيـه، وهـو كـذلك محـراب البيـوت ومصـلى الجماعـات. بينمـا يعرفـه أبـو الحسـن العسـكري علـى أنـه مكـان إقامـة الصـلاة. بينمـا جـاء لفـظ المسـجَد؛ بمعـنى موضـع السـجود مـن الأرض والحصـير، وهـي كـذلك الأعضـاء الـتي تسـجد مـع الإنسـان (اليـدان، الركبتـان، القـدمان والجبهـة). ويُضـيف مصـطلحا آخـر وهـو المِسـجَد وهـو الحصـير الصـغير. ينظـر: أبـو أحمـد الحسـن بـن عبـد الله بـن سـعيد العسـكري: شـرح مـا يقـع فيـه التصـحيف والتحريـف، تـح: عبـد العزيـز أحمـد، ط1، شـركة مكتبـة ومطبعـة مصـطفى البـابي الحلـبي وأولاده، مصـر 1383ه/1963م، ص-ص202-203.

كانت المساجد تحت تصرف الجماعة المسلمة وإن بناه الخليفة أو الأمير، وقد نبأنا الله أن الفئة المؤمنة حتى قبل الإسلام كانت تتخذ المسجد مكاناً مقدساً للعبادة، يقول الله في شأن أصحاب الكهف ﴿ **وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَاناً رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً**﴾ [سورة الكهف، الآية 21]. فقد رأت الفئة المؤمنة وهي تتنازع أمرهم أن يبنى حولهم مسجد يصلى فيه[1].

وعلى هذا الأساس؛ عمل فقهاء الإسلام على أن يظل المسجد مؤسّسة لكل مسلم الحق فيها، فكانت أحكامهم الفقهية كلها تصب في نطاق المحافظة على هذا الكيان لتأدية رسالته على أكمل وجه، لذلك" استخدمت الجماعة مساجدها معاهد للتعليم، لأن العلم كان من اختصاص الجماعة، فلم تكن دولة الخلافة أو دول السلاطين مسؤولة عن التعليم، حتى في عصر الراشدين"[2]، والأمر ذاته يقال عن القضاء؛ ليظل نزيها بعيداً عن سلطة الدولة وتدخل رجالها.

وقد أوردنا في سياق الحديث عن نشأة الكتاتيب أنها انفصلت عن المسجد لأسباب تتعلق بالتشويش على المصلين من جهة، والاحتراز له من عدم طهارة الأطفال من جهة أخرى، ويمكن أن نضيق إلى جانب تدريس الصغار تدريس الكبار، خصوصاً أولئك الذين يأتون من أماكن بعيدة؛ يقصدون الأئمة لأخذ العلوم عنهم، والتي كانت تعقد حلقاتها في المساجد، والذين كان يقتضي تعلمهم بقاؤهم شهوراً أو ربما سنوات، ما استدعى إقامتهم في أماكن قريبة من المساجد ، فأصبح المسجد

[1] جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: تفسير الجلالين، دار الحديث، القاهرة، ط1، ص383.

[2] حسن مؤنس: المساجد، سلسلة كتب عالم المعرفة، الكويت، ع:37، 1981، ص 31.

والخان مجمعاً، شكل نواة المدرسة بعد ذلك، وكان انتشاره بنطاق واسع في القرن الرابع للهجرة/ العاشر للميلاد.[1]

لقد كان المسجد هو النواة الأولى للمدرسة في الحضارة الإسلامية، فلم يكن مكاناً للعبادة فحسب، بل كان المؤسسة التي يتعلم فيها المسلمون القراءة والكتابة والقرآن وعلوم الشريعة واللغة، ومع كثرة الوافدين على الدين الإسلامي وضرورة معرفتهم باللغة العربية التي هي مفتاح القرآن الكريم؛ أقيم بجانب المسجد الكتاب، وخُصّص لتعليم القراءة والكتابة والقرآن وشيء من علوم العربية، ثم قامت المدرسة بجانب الكتاب والمسجد، وكانت الدراسة فيها تشبه الدراسة الثانوية والعالية[2].

ولئن عرفت توات انتشار المساجد والكتاتيب في منذ الفتح الإسلامي لبلاد المغرب؛ فإن نظام المدارس الدينية بتوات لم ينتشر إلا في وقت متأخر، إذ أن انتقال تجربة المدارس يكون قد حدثت بفعل الرحلات العلمية للعلماء، وأيضاً بفعل رحلة الحج التي كانت فرصة العلماء للالتقاء وتدارس المسائل وتبادل التجارب.

المطلب الثاني: تعريف المدرسة القرآنية وتاريخها بتوات:

لم يَعرف النظام التعليمي القديم عند علماء توات نظام المدرسة القرآنية، كما هي عليه حالياً في نظامها وأسلوبها؛ إذ كان التعليم مقتصراً على الكتاتيب (أقربيش)، والمسجد والزوايا[3]، غير أنه بتطور المجتمع والمناهج التعليمية الحديثة؛

[1] جورج مقدسي: نشأة الكليات (معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب)، تر: محمود سيد محمد، مدارات للأبحاث والنشر، مصر، ط 01، 2015، ص 78.

[2] مصطفى السباعي: من روائع حضارتنا، دار الوراق، السعودية، ط 01، 1999، ص205.

[3] محمد الصالح حوتية: المرجع نفسه، ص85.

استوحوا منها هذه المؤسّسة التعليمية ليكون بذلك مولوداً جديداً يدخل على النظام التعليمي بتوات.

ومن الحواضر العلمية بالمغرب التي عرفت نظام المدرسة؛ تلمسان (حاضرة الدولة الزيانية)، إبتداء من العقد الأول من القرن 08هـ، وقد ظهرت في المشرق قبلها بقرنين تقريباً، أما فيما يخص إقليم توات فلم يظهر فيه هذا النظام إلّا في العصر الحديث، حيث كانت الكتاتيب تسمى بالمدارس القرآنية[1].

ويذكر الباحث حوتية محمد أن الزوايا "كان لها الفضل في تطوير المناهج التربوية من خلال ما يُعرف بالمدارس القرآنية"[2]، وهو بذلك يلمح إلى أن الزوايا كانت المنطلق الأساس للمدارس القرآنية التي عرفتها المنطقة في فترة متأخرة.

فتكون على ذلك المدارس القرآنية فروعاً عن الزوايا خصها مؤسسوها للطلبة المقيمين المتفرغين لطلب العلم؛ مُزج فيها بين المناهج القديمة والمناهج الحديثة في التعليم، فإلى جانب التلقين الذي ساد العملية التعليمية القديمة انفتح النظام التعليمي بالمدرسة القرآنية على المناهج الحديثة وحتى الوسائل[3].

ويمكن القول بأن هناك تداخلاً في المهام والأدوار العديدة التي تقوم بها الزوايا والمدارس القرآنية، وقد أسّسها أصحابها حتى لا تتداخل الأدوار ويكون للدور التعليمي أكثر الحظوظ بينها لاختلاف متطلبات من هو مقيم للعبادة وأخذ أوراد

---

[1] سالمي زينب: الحركة العلمية في إقليم توات خلال القرون 08-10هـ...، مرجع سابق، ص 55.

[2] محمد الصالح حوتية: توات والأزواد ...، مرجع سابق، ج1، ص 269.

[3] استعان شيوخ المدارس القرآنية والمشرفون عليها مؤخراً بالأساتذة الجامعيين وأساتذة التعليم الثانوي والمتوسط لتدريس مواد كالرياضيات والتاريخ وغيرها، فلم يعد اقتصارهم على المواد الدينية فقط. وكذا انفتاح المدارس القرآنية على الوسائل والهياكل الحديثة؛ فأصبحت حجرات الدراسة تحتوي على الكراسي والطاولات وأجهزة الإعلام الآلي وغيرها، وذلك لمواكبة تطور التعليم ووسائله.

الطريقة، ومن هو مقيم للتزوّد من العلم، والعابر الزائر فقط. إذ غالبا ما تكون هذه المدارس القرآنية مجاورة للمساجد وللزوايا.

ولقد وجدنا خلطاً كبيراً في المصطلح بين الكتاتيب والمدارس القرآنية لدى كثير من الدارسين[1] الذين عنوا بدراسة المؤسّسات التعليمية بتوات، وأحيانا في غيرها من البلدان.

والجدير بالذكر أن الكتاتيب لا تزال قائمة تؤدي دورها على العادة التي سارت عليها طيلة قرون، أما المدارس القرآنية، فتعتبر مرحلة متقدّمة من تطور المؤسّسات التعليمية (التربوية)، وبقيت المساجد والكتاتيب ودور العلماء في مراكز النشاطات العلمية"[2].

فكما كانت الكتاتيب وليدة المساجد، حيث " ارتبطت الكتاتيب بالمساجد كما ارتبطت الزوايا بالطرق الصوفية، فإنشاء تلك المؤسّسات تاريخياً عبارة عن انشقاق عن المؤسّسة الأم؛ المسجد"[3].

وذلك لغرض أن تؤدي كلتا المؤسّستين مهامهما على أكمل وجه، وبعد ردح من الزمن ولمتطلبات العملية التعليمية، استقلت المدرسة القرآنية وربما كان هذا الاستقلال بداعي الاصلاح والمراجعات من خلال الملاحظات التي لوحظت من

---

[1] تارة بذكر الكتاتيب والمدارس القرآنية على أساس أنهما متباينان، وتارة بعنونة الحديث عن المدارس القرآنية، بينما المحتوى عن الكتاتيب. ينظر على سبيل المثال لا الحصر: دليلة شاري و بغداد بلية: الطرق الميسرة في تدريس اللغة العربية في الكتاتيب القرآنية بتوات، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، ص246. ساقني عبد الجليل و ساقني محمد: مناهج وآليات التعليم بالمدارس القرآنية بتيديكلت، مجلة آفاق علمية، مج 10، ع 03، المركز الجامعي تمنراست، 2018، ص 215.

[2] غيات بوفلجة: التربية والتكوين بالجزائر، دار الغرب، الجزائر، ط 01، 2002، ص 11.

[3] عبد الحميد عومري: التعليم الابتدائي في الجزائر بين المدرسة الفرنسية والكتاتيب القرآنية، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، ع 08، ص 258.

اكتظاظ قاعات التدريس واختلاط للطلبة مع الفوارق السنية بينهم، إضافة إلى ضعف الرصيد المعرفي المقدّم من الزاوية والكُتّاب على حد سواء[1]، لتكون مؤسّسة تربوية تعليمية تنحصر جهودها فيما يسمى بالتعليم العالي، وفيها يزداد تعمق الطلبة في العلوم والمعارف المقدمة بعد حفظ وإجادة ترتيل القرآن.

وعليه، فإطلاق لفظ مدرسة دينية قرآنية في إقليم توات " حسب الهدف والنظام والمنهاج التعليمي، يعني مركزاً علمياً متخصّصاً في تحفيظ القرآن وتعليم مختلف العلوم الشرعية واللغوية بمستوياتها الدنيا والمتوسطة والعالية، يشرف عليها شيخ ذو مستوى عال في العلوم الشرعية ، يعينه أئمة وأعوان دينيون على تطبيق البرنامج التعليمي الخاص والمتابعة الإدارية والسهر على تطبيق القوانين الداخلية لنظام المدرسة"[2]، وأحسب أن مدرسة مصعب بن عمير بآولف تيديكلت؛ والتي أسّسها وأشرف عليها الشيخ محمد باي بلعالم من المدارس النموذجية الرائدة في هذا المجال، إن من حيثُ التنظيم الإداري أو البيداغوجي وحتى الاجتماعي[3].

ويبدو أن ظهور المدارس القرآنية وانفصالها عن الزوايا كان متأخرا نسبياً، فحسب ما عرفنا من سَيَّرِ كثير من العلماء ورحلاتهم داخل الإقليم للدراسة عند المشايخ وللزيارات وإلقاء الدروس، يمكن القول إن تلك الزوايا عرفت التعمّق في دراسة العلوم كمستوى متقدم من التعليم، كما عرفت النظام الداخلي للطلبة، وربما يكون مَنَع من خروج المدارس القرآنية عن منظومة المؤسّسات التعليمية في ذلك الوقت قلة

---

[1] ينظر: أبو يعلى الزواوي: تاريخ الزواوة: منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، ط1، 2005، ص152.

[2] عبد الخالق قصباوي: المنهج التعليمي للمدارس والزوايا الدينية بحاضرة توات، أعمال الملتقى الدولي: الوسطية في الغرب الإسلامي وأثرها في نشر الإسلام في إفريقيا وأوروبا، جامعة الوادي، الجزائر، ديسمبر 2017، ص547.

[3] يراجع نظامها الداخلي وقوانينها المتعلقة بالمطعم والمرقد وبرامجها الدراسية. محمد باي بلعالم: الرحلة العلية الى منطقة توات ...، مرجع سابق، ج 2، ص ص360-375.

العلماء وعدم رغبتهم في تفريق جهودهم بين الزاوية والمدرسة، يُضاف إلى ذلك الدور الروحي لشيخ الزاوية باعتباره حامل الطريقة وممثلها، وأعني بذلك جانب التصوف الذي كان موكلا للشيخ نقله إلى المريدين ومحبي الطريقة.

المطلب الثالث: المدارس القرآنية ودورها التعليمي والاجتماعي في منطقة توات.

كان الهدف الأساس لنشأة المدارس القرآنية، بالرغم وجود مؤسّسات تعليمية كالكتاتيب والمساجد والزوايا، هو إيجاد فضاء يتيح للطالب فرصة التفرغ لطلب العلم وتهيئة الظروف الملائمة له، فلم تكن المدارس القرآنية كالزوايا مفتوحة للجميع بما فيهم طلبة العلم بل تخصّصت في استقبال نوع واحد من الوافدين، وهم الذين يقصدون طلب العلم والانقطاع له، ولم يكن هذا الاختيار باعثا لها على عزل أولئك الطلبة عن المجتمع المحيط بالمدرسة.

إن المساجد على الرغم من محوريتها في المجتمع التواتي، لم تعد المكان الملائم لهؤلاء القاصدين طلب العلم، ذلك أن من يرتادها؛ منهم من يأتي إليها لأداء فرائض الصلاة، ومنهم من يأتي ليقرأ أو يحفظ شيئاً من القرآن، ومنهم من يأتي لحضور الدروس وحلق العلم، إضافة إلى دورها في التقاء المسلمين واطلاع بعضهم على أحوال بعض، فلا بد وأن يصحب ذلك العديد من المناقشات والمحاورات حول مختلف الموضوعات، مما يؤدّي إلى إحداث بعض الأصوات وعدم الهدوء والسكينة، ومع تنوع أحوال الوافدين إلى المساجد قد لا يجد الطالب أحيانا جواً مناسبا لممارسة نشاطه التعلمي وتحصيل مقصده[1].

1 يراجع: محمد بن سويسي: العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات تمنطيط نموذجا من القرن 6هـ إلى 13هـ/12م دراسة تاريخية وأثرية ومعمارية وعمرانية، ماجستير في الأثار الإسلامية ،معهد الآثار ، جامعة الجزائر2، جامعة الجزائر2 ، 2009.

ولا يعني هذا أن المدارس القرآنية لم تعد تؤدّي دورها المجتمعي، فهي وليدة بيئتها التي تحكمها قيّم التعاون والتكافل، ضف إلى ذلك أن انخراط طلبة العلم في النشاطات المجتمعية يهيئهم أكثر لتأدية أدوارهم التعليمية والدعوية مستقبلا، ويعطيهم دراية بأحوال المجتمع وما يسوده من أفكار وما يتقلب فيه من أحوال.

ولا يجب أن نفهم أيضا أن طلبة المدارس القرآنية لم تكن لهم صلة بالمساجد، فقد كانوا روادها وعمَّارها، بل وأكثر من ذلك؛ فقد ينتدب شيخ المدرسة بعض الطلبة النجباء إلى إقامة الدروس وإمامة المصلين والقيام ببعض الأدوار المسجدية كتعليم الصغار.

وعن وظائف المدارس القرآنية؛ يمكن القول بأنها لا تبتعد عن وظائف المسجد أو الزاوية، خصوصا الوظيفة التعليمية التي تجتمع كل المؤسّسات التعليمية بالمجتمع لتأديتها؛ بداية من تعليم الحروف بالكتاتيب إلى التخصّص في العلوم الإسلامية على يد الشيخ في المدرسة القرآنية أو الزاوية. ولا يقتصر دورها على نقل التراث الثقافي وإمداد أفرادها بأصول العلوم وتزكيتهم في بعضها عن طريق الإجازات، بل يتعداه إلى أدوار ثانوية وثيقة الصلة بالدور الرئيس[1].

ومن خلال تتبع تاريخ نشأة المؤسّسات التعليمية في المجتمع الإسلامي، منذ بداية البعثة المحمدية وانطلاقة الدعوة الإسلامية، نجد أن أُولى هذه المؤسّسات هو المسجد، ومنه نشأت الكتاتيب لتدريس الصغار وعزلهم عن المساجد، وذلك بِدَاعً فقهي أيضاً، ثم جاءت بعدهما الزوايا، وارتبط ظهورها بالتصوف عناية بالجانب الروحي الذي دعا الإسلام إلى تزكيته وتطهيره، ثم ظهرت المدارس القرآنية أخيراً كوليد

[1] صلاح الدين وانس: المدارس القرآنية ودورها في الحفاظ على الهوية الوطنية، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية- الوادي، ع: 05، 2014، ص 113.

جديد عن تلك المؤسّسات، وفي كل المراحل كان السبيل إلى تحقيق الأهداف هو التعليم الديني، مع ارتباط شديد بالأدوار التي كانت تؤديها المؤسّسة الأم؛ المسجد.

إن المدرسة تعني في المصطلح الوظيفي مؤسّسة لتدريس العلوم الإنسانية ودراسة علوم الشريعة بصفة خاصة، وقد أدّت أدواراً جليلة لا يمكن إنكارها، فمن تلك الأدوار، نذكر[1]:

- **الدور التربوي**: إذ عملت كل المؤسّسات التعليمية الدينية على تربية الفرد المسلم الصالح، النافع لمجتمعه، المؤثر إيجابا فيمن حوله بأخلاقه وعلمه، وبالتزامه بالتعاليم الإسلامية وبالأخلاق الفاضلة.
- **الدور الاجتماعي**: بقيت المدارس على اتصال وثيق بالمجتمع، تفرح لفرحه وتحزن لحزنه، حيث كان طلبتها يقومون بتأطير المناسبات التي تقام في المجتمع ويشاركون فيها، بتلاوة الختمة التي تقام في كل المناسبات، وبالمساهمة في أعمال المجتمع التي يدعوا إليها؛ وتسمى بالتويزة، والتي ينفر إليها كل أفراد المجتمع، وغيرها من الأعمال التي فيها خدمة للمجتمع.
- **الدور التعليمي والعلمي**: وهو المهمة الأساس التي من أجلها أُسّست المدرسة، فهدف التعليم وتبليغ العلم إلى حملته كانت ولا تزال رغبة علماء توات تحقيقا للرسالة المحمدية في التبليغ. فعن عثمان بن عفان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " **خَيرُكُم من تعلَّمَ القرآنَ وعلَّمَهُ**"[2].

---

[1] ما يلاحظ على الأدوار التي أدّتها المؤسّسات التعليمية التداخل فذات الأدورا تذكر للزوايا وتذكر للمدارس وتذكر للمساجد والكتاتيب، وهذا ينم عن التكامل الذي حقّقته فيما بينها.

[2] رواه البخاري، ينظر: صحيح البخاري، تأليف: محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، ط 1422هـ.

المطلب الرابع: الدّرس اللغوي والقرآني بالمدارس القرآنية عند علماء توات

كان الهدف الأساس لنشوء المدارس القرآنية هو تعميق المعارف الدينية لدى الطلبة، إذ المعارف الأولية التي يتلقاها الطالب في الكتاتيب هي في الأساس موجهة لكل أفراد المجتمع، بهدف دفع الأمية عنه من خلال تعلم القراءة والكتاب، وبهدف إيجاد المسلم الذي يعرف على الأقل من معارف دينهِ الأساسيات التي يؤدي بها فرائضة وعباداته، إضافة إلى التربية على الأخلاق الإسلامية، وهذا العمل مقصد نبيل وهدف سامي، غير أن الوقوف عنده لا يخدم رسالة الإسلام في التبليغ والدعوة، فلا بد من تخصص البعض في علوم الإسلام لتبليغها للأجيال اللاحقة.

كما عملت المدارس القرآنية على إيجاد النخبة من الطلبة الذين سيتولون التدريس والإمامة وتولي المناصب الدينية، وكذا تكوين العلماء العاملين الذين يقع على عاتقهم تبليغ رسالة الإسلام وعلومه، لا من خلال التدريس فقط؛ بل حتى من خلال المؤلفات والإنجازات، ولقد حفظ لنا التاريخ عديد الأسماء الذين تخرجوا على أيدي علماء صُهروا في بوتقة الزوايا، وكان لهم فضل السبق إلى إنشاء مدارس قرآنية خَرَّجت من جنباتها ثلة كبيرة من العلماء.

يقول الشيخ محمد باي بلعالم: "إن المدارس الدينية في توات، مثل مدرسة الشيخ بلكبير في ادرار، ومدرسة لغمارة بودة، ومدرسة الشيخ الطاهر السباعي، ومدرسة تاسفاوت، ومدرسة نومناس، ومدرسة تمنطيط، ومدرسة أولف، ومدرسة تيميمون، قد تخرج منها الكثير من الفقهاء والعلماء والأئمة الأعلام ومعلمي القرآن ورجال السلك الديني في الشعب الجزائري"[1]، فقد كانت المدارس القرآنية الخزان والمورد الذي تنهل منه الجزائر طاقاتها الدينية والعلمية.

[1] محمد باي بلعالم: الرحلة العلية، ج 2، ص385.

وعلى خلاف الدراسة بالكتاتيب؛ تمتاز الدراسة بالمدارس القرآنية بعُمق محتوياها وتخصّصها، إذ تُعد مرحلة التعليم العالي الذي تُعمّق فيه المعارف ويتخرج منه الطالب برصيد يؤهله لممارسة أدواره التعليمية في المجتمع، لذلك نجد أن المقررات تترقى إلى الأعمق في كل العلوم المدرسة، فقد " مثلت مرحلة التعليم فيها الدمج بين الثانوية والعالية، ويقوم فيها التعليم على الحفظ واستظهار المتون نظما ونثراً، لكنها تعدت نحو الفهم وإثراء المناقشات"[1].

وتبعاً لهذا الهدف الذي سطرته المدارس القرآنية لتخريج طلبة يتولون إدارة شؤون المؤسّسات الدينية، بدء من الكتاتيب والمساجد إلى تأسيس الزوايا والمدارس القرآنية وما يتطلبه ذلك من كفاءة عالية تفرض على الطالب أن يُلم بأطراف العلوم الإسلامية جميعا؛ تبعا لذلك اعتمدت المدارس القرآنية منهجاً تكاملياً في طريقة التدريس إذ إنها " تجمع بين مختلف العلوم في المادة الواحدة أثناء التدريس، فتخدم كل مادة غيرها. وفي نفس الوقت يأخذ الطالب من هذا الطريق الجوانب الروحية والأخلاقية التي تنبعث من إيحاءات الألفاظ، ولو كانت مواد لغوية أو منطقية"[2]، ونلحظ أنه رغم بقاء الجانب الروحي؛ إلَّا أنه يهدف إلى التربية والتهذيب ولا صلة له بالتصوف المعروف.

[1] كمال خليل: المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر؛ التأسيس والتطور (1850-1951)، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، السنة الجامعية: 2007-2008، ص 14.

[2] عبد الخالق قصباوي: المنهج التعليمي للمدارس والزوايا الدينية بحاضرة توات، أعمال الملتقى الدولي: الوسطية في الغرب الإسلامي وأثرها في نشر الإسلام في إفريقيا وأوروبا، جامعة الوادي، الجزائر، ديسمبر 2017، ص 556.

1 – في مجال الدّرس القرآني:

أدرك علماء توات الدور المحوري للنص القرآني، فلم يكتفوا بترسيخه في أذهان الطلبة رسماَ وتلقياَ شفهياَ؛ لتحقيق سنة التواتر، بل انكبوا على دراسته وتحليله من خلال العلوم المنبثقة عنه، فدرسوا أحكامه وتشريعاته وقصصه ومواعظه وأسلوبه، فكانوا فقهاء، وقضاة، ونحاة، وأئمة وُعَاظاً، وقبل ذلك قراء ومقرئين، فتحقق لهم بالقراءة نقل القرآن بالتواتر، وتَحقق لهم بدراسة الأحكام؛ الفقه الذي مكنهم من التعامل مع النوازل، وتحقق لهم بدراسة التشريعات فك القضايا التي كانت تحال على قضاتهم، وبالقصص والمواعظ أمكنهم تبليغ رسالة الإسلام والدعوة إليه ، أما أسلوب القرآن فأمكنهم من خلاله أن يكونوا بلغاء ونحاة يدركون إعجاز القرآن وتفوق أسلوبه.

ولم تقف المناهج التعليمية التي سارت عليها المدارس القرآنية– وإن لم تختلف طريقتها في التدريس– على المبادئ الأولية للعلوم الإسلامية، وإنما تجاوزت المدارس القرآنية المرحلة الأولى للتعليم، المنحصرة في الرسم والحفظ وضبط رواية ورش المنتشرة عبر ربوع بلاد المغرب الإسلامي، إلى الانفتاح على الروايات والقراءات القرآنية الأخرى، خصوصاً تلك التي يقرأ بها سكان الحواضر المجاورة، وهذا ما فرضته طبيعة المنطقة؛ إذ كانت منطقة عبور وملتقى العلماء الوافدين من كل الجهات، وأمر معرفة ما عندهم من القراءات ضروري.

بالإضافة إلى ذلك؛ العلاقة الوطيدة بين القراءات القرآنية والفقه، إذ باختلاف الروايات تختلف كثير من الأحكام الفقهية، وقد حمل الفقهاء على دفع كثير من النصوص التي تبدو متعارضة من خلال إعمال أوجه القراءات التي جاءت بها، وبالنظر إلى اشتغال علماء توات كثيراً بالنوازل فإنهم عرفوا مبلغ فائدة العلم بالقراءات

للفقيه، كذا معرفة وتخريج العديد من القضايا النحوية وأوجه اختلاف الإعراب من خلال اختلاف الروايات القرآنية.

وفي مجال الدّرس القرآني، عملت أيضا المدارس القرآنية على إدخال علوم التفسير كمادة أساسية في برامج التدريس، فالقرآن إنما جاء بتعاليم ونُظم وإرشادات قَصَد من خلالها إصلاح شأن المسلم ومجتمعه، ولا يمكن الوصول إلى تلك الغاية إلَّا باتباع ما جاء به، " والعمل بهذه التعاليم لا يكون إلَّا بعد فهم القرآن وتدبره، والوقوف على ما حوى من نصح وإرشاد، والإلمام بمبادئه عن طريق تلك القوة الهائلة التي يحملها أسلوبه البارع، وهذا لا يتحقق إلَّا عن طريق الكشف والبيان لما تدل عليه ألفاظ القرآن"[1]، وهو ما يرمي إليه التفسير.

وقد عرف اشتغال المسلمين بالتفسير من أوائل البعثة، فقد ترجموا انبهارهم بإعجاز القرآن بتطبيق تعاليمه وحرصهم على الوقوف على معاني الآيات القرآنية، روي[2] أنه لما نزلت الآية: ﴿**الذين آمنوا ولم يلبثوا إيمانهم بظلم**﴾ [سورة الأنعام، الآية 82.]

وقع الناس في المشقة، فقالوا يا رسول الله؛ وأينا لا يظلم نفسه؟ قال: " إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿**إن الشّرك لَظُلم عَظيم**﴾ [سورة لقمان، الآية 13]، في توجيه من النبي صلى الله عليه وسلم، إلى منهج من مناهج فهم القرآن وتفسيره، وهو تفسير القرآن بالقرآن.

وهكذا درجت الأمة في كل عصر ومصر على تتبع معاني القرآن الكريم، إذ هو الذي لا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد، وتصدى علماؤها لهذا الفن لأنهم الأدري

[1] محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الكتاب العلمية، لبنان ط1، 2002، ص267.

[2] أخرجه البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى " واتخذ الله إبراهيم خليلا"، رقم 3360، ج4، ص: 141. وأخرجه الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الأنعام، رقم 3064، ج5، ص: 262.

بمداخله وبالعلوم التي من خلالها يولج إليه، ولذلك عنت المدارس والقرآنية في تكوينها لطلبتها بمدّهم وتزويدهم بمختلف العلوم التي تُعد علوم آلة للتعامل مع القرآن الكريم.

ومن أبرز الملامح التي يمكن الوقوف عندها؛ أنه وإن لم يعتمد علماء توات مؤلفات تفسيرية لعلماء المنطقة تداولوها بينهم، إلَّا أن ما اختاروه من تفاسير كانت محور حلقاتهم ودروسهم التفسيرية؛ هي من التفاسير التي لاقت قبولاً وإجماعاً لدى العلماء في بلاد المشرق والمغرب الإسلاميين، إضافة إلى كونها مختصرة معتصرة، تجمع بين جنباتها علوم عدّة.

وإن لم تشر لنا كثير من التراجم التفاسير التي كان يعتمدها من عرفوا بتدريسهم للتفسير، إلَّا أننا نحاول مقاربة ذلك من خلال التفاسير التي درسوها هم عن مشايخهم، أو التي ذُكِر أنهم أجيزوا فيها، وعليه يمكن الإشارة لبعض التفاسير التي تداولها علماء توات واعتمدوها في تدريسهم بالمدارس القرآنية كما يأتي:

- **"فتح البيان في مقاصد القرآن"** لمحمد صديق حسن خان القنوجي (ت.1307هـ): كان يدرسه الشيخ باي بلعالم في مدرسته القرآنية مصعب بن عمير بأولف بمنطقة تيديكلت[1].

- **"تفسير الجلالين"** لجلال الدين المحلي (ت.864هـ) وجلال الدين السيوطي (911هـ): ذكره الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنيلاني في إجازة شيخه سيدي محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم من بني القاضي الدرعي[2].

[1] محمد باي بلعالم: الرحلة العلية، ج2، ص373.

[2] محمد باي بلعالم: الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمن التنلاني، دار هومة، الجزائر،2004، ص 39.

- **"الجامع لأحكام القرآن، والمبيّن لما تضمن من السنة وأحكام الفرقان"** للقرطبي (ت.671هـ): درّسه الشيخ عبد الرحمن حفصي في مسجده بعمنات أولف[1].

- **"أنوار التنزيل وأسرار التأويل"** البيضاوي (ت.685هـ): ذكره الشيخ عبد الرحمن بنعمر التنيلاني في إجازة السيد عبد الرحمن الجنتوري له[2].

ويظهر من خلال ما تمّ تدريسه عدم وجود مؤلف لعلماء المنطقة في التفسير تم اعتماده، في حين نجد بعض مؤلفاتهم التي اعتمدت في النحو، وهذا يترجم عدم توجههم للتأليف في هذا العلم مع إدراكهم لأهميته وفائدته؛ من خلال تقريره ضمن المواد المدرسة.

2- في مجال الدّرس اللغوي:

إن المنشغل بالعلوم الإسلامية لا بد له أولا أن يتفقه في علوم اللغة العربية التي نزل بها القرآن الكريم، فقد ورد عن أبي ذر رضي الله عنه قال: " تعلموا العربية في القرآن كما تتعلمون حفظه"[3]، وكما جاء عن ابن تيمية (ت.768هـ) "إن نفس اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلَّا بفهم اللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلَّا به فهو واجب"[4].

فالمتعامل مع القرآن من أي جهة أتاه؛ من جهة الفقه، أو من جهة التفسير، أو من جهة العقيدة، أو من جهة أخباره، أو من أي جهة أخرى تتعلق به، لا يمكنه أن يدرك حقائقه ما لم يكن لديه رصيد من اللغة العربية كاف لذلك.

---

[1] محفوظ بن ساعد بوكراع: الفرقد النائر، ص473.

[2] محمد باي بلعالم: المرجع نفسه، ص 34.

[3] أبي بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري: إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، تح: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1971، ج1، ص 23.

[4] أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية: اقتضاء الصراط المستقيم، تح: ناصر عبد الكريم العقل، دار اشبيليا، الرياض، ط2، 1998، ج1، ص 527.

ولما كانت الدراسة بالمدارس القرآنية تمثل المرحلة الثانوية والعالية؛ أي مرحلة تعميق المعارف الدينية، لزم من ذلك أيضا أن تتعمق المعارف اللغوية تبعا ذلك، فينتقل من الآجرومية وشرحها إلى ألفية بن مالك وشروحها إلى غيرها من المقررات اللغوية، في تدرج يصنعه استيعاب الطالب ومدى تلقيه عن شيخه.

ومن المقررات التي يبتدأ بها؛ متن الآجرومية لأبي عبد الله محمد بن عبد الله بن داود الصنهاجي الفاسي، المعروف بابن آجُرُّوم[1] (ت.723 هـ)، ونظومها وشروحها، وهي من المقدمات في النحو التي أُجمع على حسنها وإيجازها ووضوح عباراتها وسهولتها، ذاعت شهرتها شرقاً وغرباً، وتلقاها العلماء بالقبول الحسن، فكثرت حولها الشروح والتعاليق والمنظومات، ألفها صاحبها في شكل قواعد جامعة، أعقبها بعديد الأمثلة الموضحة لمقاصد الناظم، مما يجعلها سهلة المنال قريبة المتناول.

ولم تكن الآجرومية من أوائل المؤلفات في اللغة العربية، لكن ابن آجروم استفاد مما سبقت كتابته استفادة جعلت مؤلفه " المقدمة الآجُرُّومية في مبادئ علم العربية" مؤلفاً جامعاً ومختصراً يسهل على المبتدئين تناول مباحثه وحتى حفظه، غير أن اعتماد نظام التعليم في المغرب على المنظومات الشعرية والأراجيز، جعل الكثيرين ينظمون ما نثر ابن آجروم ليكون أكثر قبولاً وأسرع جرياناً إلى عقول الطلبة والمتعلمين.

إن هدف إتاحة التعليم لكافة أفراد المجتمع، جعل علماء توات يُقِرون تدريس الأجرومية في المرحلة الأولى، لِما ذكرنا من خصائصها؛ وحتى ينال كل متعلم نصيباً من اللغة العربية، فكان التعليم بالكتاتيب يمزج إلى جانب القرآن؛ بعض المتون السهلة

[1] محمد بن محمد بن داود الصنهاجي، أبو عبد الله: نحوي، ولد بفاس في 672هـ/1273م وتوفي بها، اشتهر برسالته الآجرومية وقد شرحها كثيرون. وله أيضاً فرائد المعاني في شرح حرز الأماني ويعرف بشرح الشاطبية. وله مصنفات أخرى وأراجيز. الزركلي: الأعلام، ج7، ص33.

في الفقه والعقيدة والعربية، إذ لم يكن الانتقال إلى المراحل المتقدمة متاحاً الى كل المتعلمين، لأسباب تختلف باختلاف احوالهم وقدراتهم وامكاناتهم ايضا.

أمَّا مَن كُتِب لهم من الطلبة الانتقال إلى المستويات العليا في التعليم؛ فيُتِمُّون الأجرومية بتمكن ويضيفون إليها حفظ القرآن لينطلقوا في دراسة العلوم الدينية واللغوية الاخرى، بعد فترة الراحة التي تعقب شروق الشمس " يشرع الشيخ في شرح الدروس في مجال النحو والعقيدة، وهذا خاص بالنسبة للطلبة التي أتموا حفظ القرآن وقاموا بعرضه عن ظهر قلب على مسامع الشيخ، وهذا ما يؤهل الطلبة لدراسة المتون الفقهية وما إلى ذلك من فنون العلم"[1].

لقد أدرك علماء توات ما للتدرج في التعليم من أهمية، فقرروا لكل مستوى من المؤلفات والعلوم ما يتوافق مع المكتسبات والقدرات، ففي المستوى الثاني تم تقرير تدريس ألفية ابن مالك الأندلسي[2] (ت.672هـ) في النحو، وتسمى الخلاصة والألفية اختصاراً، والتي لاقت قبولاً ورواجاً بين العلماء والمتعلمين بتوات وسائر البلاد الإسلامية. ومثلها لامية الأفعال في التصريف التي اعتمدها علماء توات في مقرراتهم الدراسية، ويظهر من اعتماد المؤلِّفَين المكانة التي حظيت بها مؤلفات ابن مالك كما يظهر الإبداع فيها؛ الذي تخلف عن كثير من المؤلفات والألفيات التي سبقت ولحقت ألفية ابن مالك.

[1] محمد الصالح حوتية: توات والأزواد ...، مرجع سابق، ج1، ص 251

[2] هو محمد بن عبد الله بن مالك، ولد بمدينة حيان بالأندلس، تلقى بها تعليمه الأولي، ثم توجه تلقاء المشرق مستزيداً من العلم على عادة طلاب العلم في كل عصر ومصر، واستقر به المقام بدمشق عالماً ومعلماً إلى أن وافته المنية. ينظر: شهاب الدين أحمد عبد الوهاب النويري: نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: نجيب فوار و حكمت فوار، ج30، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004، ص 138.

كما جعلوا شرح ابن عقيل[1] (ت. 769ه) من المقررات الرئيسية في الزوايا والمدارس القرآنية للمستوى الثاني من مستويات الدراسة بها، وهي شرح على ألفية بن مالك ينقل الطالب من الحفظ إلى الفهم وإدراك معاني النظم، وهو أسلوب يقوم عليه التعليم في المؤسسات التعليمية بتوات، إذ تنمي في الطالب ملكة الحفظ وتدرجه شيئاً فشيئاً إلى درجة التحليل والمناقشة.

ومن المنظومات التي تم تقريرها للمستوى الثالث "ملحة الإعراب" للحريري[2](ت.516ه)، والملاحِظ لهذه المنظومة يجدها في شمولها واختصارها وإيجازها الغير مخل بالمحتوى إضافة إلى غزارة محتواها؛ يجدها مما يناسب التعليم المتقدم المتخصّص، وهي منظومة حظيت بالعناية من الشُّراح، ومن علماء المنطقة الذين شرحوها: الشيخ محمد باي بلعالم في مؤلفه " منحة الأتراب شرح ملحة الإعراب"، والتي اعتمدها في تدريسه في المدرسة القرآنية المشرف عليها.

يقول محمد بن عبد الملك القرشي مختصراً أهمية هذه المنظومة ومكانتها: " على الرغم من إيجازها وصغر حجمها، إلَّا أنها سهلة ميسرة مع كثرة أمثلتها وألفاظها التربوية واشتمالها على جل أبواب النحو ومسائله وبعض أبواب الصرف وقضاياه، لذلك كانت بغية الدارسين"[3].

---

[1] هو عبد الله بن عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد القرشي الهاشمي، بهاء الدين ابن عقيل، عَلَمٌ من أعلام النحو، ولد بالقاهرة وتوفي بها، وولي فيها القضاء، من مؤلفاته: شرح ألفية بن مالك، الجامع النفيس، تيسير الاستعداد لرتبة الاجتهاد، وغيرها. الزركلي: الأعلام، ج4، ص96.

[2] هو القاسم بن علي بن محمد بن عثمان؛ أبو محمد الحريري، نسبته إلى عمل الحرير أو بيعه، ولد ببلدة قرب البصرة عام 446ه/1054م، وتوفي بالبصرة، معروف بـ " المقامات الحريرية" وله من التآليف: درة الغواص في أوهام الخواص، ملحة الإعراب، وغيرها، وله أشعار مجموعة في ديوان. ينظر: الزركلي: الأعلام، ج5، ص177.

[3] محمد بن عبد الملك بن عبد السلام القرشي الأموي: منحة الملك الوهاب بشرح ملحة الإعراب للحريري، تح: عبد اللطيف محمد محمد داود، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2018، ص06.

ويترجم لنا وقوف علماء توات على هذه المنظومات وأمثالها والتعلق بها انفتاحهم على المؤلفات التي أجازها العلماء وتواصوا بها من سائر الأقطار، كما ينبأنا عن الذائقة العلمية التي امتلكوها واكتسبوها من كثرة مِراسِهم وبحثهم في شتى العلوم.

وما يمكن الخلوص إليه بعد هذا المبحث؛ أن المدارس القرآنية اتخذت لها خططاً دراسية تحقق التواصل بينها وبين المؤسّسات التعليمية الأخرى، فانطلقت من حيث انتهت الكتاتيب في تحقيق لتكامل معرفي لدى الطلبة ينقلهم إلى مستوى معرفي متقدم، ويتجلى ذلك من خلال المقررات المعتَمَدة، والمعتَمِدة بقدر كبير على المتون العلمية؛ لما لها من قبول بين العلماء والمتعلمين.

ولم يقتصر جهد علماء توات وإسهامهم في تدريس المقررات الوافدة إليهم، بل اتخذو مما ألفوا مقرراتً اعتمدوها في تدريسهم، لعلمهم بالطلبة ومكتسباتهم ولصنع بصمتهم الخاصة في تلك العلوم، والمطلع على الخزائن التواتية، يجد العديد من الشروحات، والحواشي، والتعاليق المرتبطة بتلك المقررات.

ولم تقف الطريقة التدريسية للمتون والمنظومات عند تحفيظ المتن أو النظم فقط، وإنما ارتقت كذلك إلى التصدّي لها بالشرح والتحليل لتبسيط معانيها وفك غموضها للطلبة، ولو قُدِّر لتلك الشروح أن تصلنا لأمكننا جمع ثروة هائلة من المؤلفات، تكون قد أسهمت بقسط كبير في سيرورة الدّرس اللغوي والقرآني في مؤسّسات التعليم بتوات وما جاورها[1].

[1] بن عبو محمد: متنان نحويان من منطقة تيديكلت، مجلة الذاكرة، مج04، ع02، مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، جامعة ورقلة ، ماي 2016، ص ص 128-138.

المبحث الثالث: روافد الدّرس اللغوي والقرآني التعليمي بزوايا منطقة توات.

لم يقتصر التعليم القرآني على المسجد والمدرسة والكُتّاب، بل وجدت مؤسّسات أخرى كان يتلقى فيها العلم إلى جانب الأغراض الأخرى التي أسّست من أجلها، ومن هذه المؤسّسات الزوايا. فقد أحرزت هذه الأخيرة على امتداد تاريخ تواجدها مكانة هامة إنْ من حيثُ الجانبُ الاجتماعي أو الجانب العلمي، وهذا ما جعل حظها في البحث العلمي وافراً، فمع انْفتاح الجامعة ومراكز الأبحاث على المجتمع، وبسبب الأدوار المجتمعية الواسعة، إضافة إلى غناها بخزائن التراث المخطوط؛ حيث اتجهت عديد الدراسات الأكاديمية إلى تخصيص دراسات متعلقة بالزوايا؛ كل من جانب تخصّصه.

لقد شكّلت الزوايا باعتبارها عنصراً دينياً ثقافة المجتمع التواتي وتنظيمه الاجتماعي، وعززت المجتمع بمنظومة من القيم نظمت العلاقات السلوكية بين أفراده، كما شكلت العقلية الثقافية لأفراده من خلال نشر التعليم الديني ودعمه بكل الوسائل المتاحة تحت سلطتها؛ كُتّاباً كان، أو مسجداً، أو عملاً اجتماعياً من خلال الوعظ والإرشاد، وغيره.

وانطلاقاً من اعتقاد مشايخ الزوايا أنَّ مهمة حفظ الدين ونشره وتوريثه للأجيال لا تكون إلَّا من خلال العلم والعمل، هيأوا ووحدوا كل جهودهم في سبيل تكوين طلبة علم يكونون أكفاء لتبليغ العلوم، وفي مقدّمتها اللغة العربية؛ التي لا يكون التعامل مع القرآن إلَّا بها، وعلوم القرآن الشارحة والموصلة إلى معانيه ومقاصده، كما يحقّقون مهمة التواصل بين أجيال الزاوية بانْتِصابهم علماء وأئمة ينتشرون في القرى مدرسين ومرشدين ومؤسّسين لزوايا تابعة للزاوية الأم.

ولما كان الدور التعليمي هو المقدم بين كل تلك الأدوار للزوايا، إرتأينا في هذا المبحث أن نقف عليه من خلال ما قدّمته الزوايا في سبيل إرساء دعائم الدّرس اللغوي والقرآني وتعزيزهما، ذلك أنها تعدّت مهمة التعليم الابتدائي إلى التعليم المتخصّص.

المطلب الأول: الزوايا بمنطقة توات؛ النشأة والانتشار:

أ- تعريف الزوايا وأنواعها:

يبدو الاختلاف واضحاً بين جمهرة المؤرخين في تحديد الفرق بين مفاهيم الرباط والزاوية من جهة، وبين الزاوية والمدرسة من جهة ثانية. فنجد ابن مريم يُدمج بين المؤسّستين، فتارة يذكرها زاوية، وأخرى مدرسة الزاوية[1].

وتعتبر الزاوايا نموذجا للتطور المعماري للرباطات التي ظهرت بثغور بلاد المغرب، ثم سرعان ما انتشرت مع مرور الوقت في المدن والأرياف، وذلك لكثرة الطُّرقِ الصُّوفيَّة في البلاد[2]؛ فتجد في الزاوية جميع الأشياء أو الكثير منها غرفة للصلاة بها محراب، أو ضريح لأحد المرابطين أو وليا من الأشراف تعلوه قبة، وغرفة قُصرت على تلاوة القرآن الكريم، وكتبا أو مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم، ثم غُرف مخصّصة لضيوف الزاوية والحجاج والمسافرين والطلبة[3].

وقد تعدّدت معاني كلمة الزَّاوية (مفردُ زوايا). أما في اللغة اشتُقَّت من الفعل زوى وانزوى؛ بمعنى ابتعد وانعزل عن النَّاس. وزويت لي الأرض؛ أي جمعت، وانزوى

[1] ابن مريم التلمساني: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ط1، د.م.ج، الجزائر 1986، ص ص23-33-35.

[2] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ج1، ص ص262-263.

[3] محمد نسيب: زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، 1989، ص28.

من القوم بعضهم إلى بعض إذا تدانو وتضامنوا، والزاوية مفرد الزوايا[1]، وسُمِّيت بذلك، لأن الغرض الأوَّل من بنائها كان الانزواءَ والابتعادَ عن حياة المدن وكلِّ ما يصاحبها من صخبٍ وضجيجٍ، والعيشَ في هدوءٍ، مما يساعد على التَّأمُّل في عظمة الخالق عزَّ وجلَّ، وأداءِ العبادات في سكينةٍ وهدوءٍ[2].

أما في الاصطلاح، فهي عبارة عن بناية ذات طابع ديني، يقيم فيها المتصوفة للإعتكاف، والتفرغ إلى العبادة وتعليم المريدين مختلف العلوم الشرعية النقلية والعقلية، وتحفيظ القرآن للناشئة، وإيواء وإطعام الفقراء وابن السبيل[3] ،كما أطلقت هذه التَّسمية في البداية على ركن البيت، ثمَّ على صومعة المسيحيين، وبعد ذلك أطلقت على المسجد الصَّغير[4], ومع مرور الوقتِ، لم تعد الزاوية حكرا على الطَّلبة، بل أصبحت تستقبل كل من يقصدها سواءٌ كانوا زوَّارًا ومحبين، أو مسافرين وأبناءَ سبيلٍ؛ ممن لا يملكون مكانًا يُقيمون فيه[5].

والزوايا هي نوع من أنواع التعليم الديني الذي عرفه المسلمون منذ أمد بعيد، حيث يتلقى فيها الناس من مختلف أعمارهم المعارف والعلوم والآداب، وغالباً ما تكون العلوم التي يتلقاها

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، مصدر سابق، ج8، ص339.

[2] مؤيد العقبي: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراق، لبنان، بيروت 2002م، ص302.

[3] ليفي بروفنسال: (الزوايا)، دائرة المعارف الإسلامية، تعريب: أحمد الشنتاوي وآخرين ، المجلد 10 ، القاهرة 1933،ص ص331- 332.

[4] صالح بوسَليم: مؤسسة الزوايا بإقليم توات خلال القرنين 12-13هـ/18-19م؛ بين الإشعاع العلمي والانتشار الصوفي، في مجلة الواحات للبحوث والدراسات، المركز الجامعي، غرداية، ع9، جوان 2010م، ص99.

[5] الطاهر بونابي: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7 الهجريين/12 و13 الميلاديين (نشأته-تياراته-دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي)، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر 2004، ص223.

الدارسون علوماً دينية، لذلك فهي لا تختلف كثيراً عن المدارس، كما أنها لا تختلف كثيراً عن بقية الزوايا في بلاد المغرب بشكل خاص والعالم الإسلامي بشكل عام، من حيث أهميتها وخصائصها ووظائفها ومقوماتها، والمراحل التي مرّت بها مع احتفاظها بالطابع المغاربي. وبالجملة، فهي نوع آخر من المؤسّسات التعليمية التي انتشرت في مناطق توات.

وتختلف الزَّاوية عن المسجد في أنَّها تجمعاتٌ من المنازل التي تختلف أشكالها وأحجامها عن بعضها البعض، وتحوي مكانًا للصَّلاة، وغرفًا لتحفيظ القرآنِ الكريم والعلومِ المختلفة، وغرفًا مخصَّصةً لسكنى الطَّلبة وتجهيز الطَّعام وتخزين الموادِّ الغذائيَّةِ والعلفِ، وإسطبلاتٍ للحيوانات التي تُستَخدم لقضاء مختلف مصالح الزاوية[1]،بالإضافة إلى قبور الذين أوصوا بدفنهم في الزاوية[2].

ب– نشأة الزوايا بتوات وانتشارها:

يُقرر علماء الاجتماع أن الوظيفة الأساسية للمجتمع هي إشباع رغبات أفراده من خلال استحداث تنظيمات اجتماعية تضمن السير الحسن للمجتمع، ولإعداد فرد مؤهل معرفياً وسلوكياً؛ أنشأ المجتمع المؤسّسات التربوية، وأوكل إليها مهمة التربية والتعليم وفق برامج ومناهج وأهداف نابعة من قيمه ومبادئه، وما الزوايا إلَّا واحدة من تلك المؤسّسات المجتمعية التي عرفتها المجتمعات التواتية، والتي كان لها الدور البارز في تحقيق نهضة ثقافية وحضارية واجتماعية شهد بها البعيد قبل القريب.

فالزوايا إذن باعتبارها مؤسّسات تربوية؛ قديمة قدم المجتمعات الإسلامية، إذ إن التربية فطرة إنسانية " نشأت منذ نشأة الانسان الأول " آدم عليه السلام" ومهمتها معالجة الكائن البشري بجميع جوانبه، جسمه، وعقله، وروحه، فكما تعنى بالظاهر

[1] أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ج1، ص ص، 223-264.

[2] محمد نسيب: المرجع السابق، ص ص 331-332.

فهي أشد عناية بالباطن، منهجها يشتمل على شقين: الأول تصفيه النفس من الكدورات وهو ما يسمى بالتخلية، والثاني تعليمها ما ينفعها في الحياة العملية وهو ما يسمى بالتحلية"[1].

أما عن **أسباب انتشار الزوايا**؛ فيمكن تلخيصه في الآتي:

– محاولة التخفيف عن المسجد؛ ذلك أنَّ أدواره تعدَّدت، وقاصدوه كثرت أعدادهم؛ فهؤلاء لا يقصدون المسجد للصلاة فقط، وإنَّما لتلاوة القرآن الكريم والتَّسبيح، فهم بذلك يكسرون جوَّ الهدوء والسَّكينة، الذي من المفترض توفره في المسجد وهو ما قد يسبِّب الإزعاج لطالبي الخلوة، ولذلك كان لزاما على هؤلاء تخصيص أماكن يختلون فيها[2].

– توفير المأوى وغيره من الخدمات للمسافرين وعابري السَّبيل وطلاَّب العلم، الذين ينتقلون مابين الأماكن المختلفة، وبذلك يكونون بحاجة إلى المبيت والطعام، ليس فقط للراحة، بل حتىَّ التَّفقُّه في أمور دينهم[3].

ويمتد تواجد الزوايا في إقليم توات امتداد تواجد قصورها، فالناظر إلى أغلب القصور يجد أنها تحمل اسم الزاوية؛ كزاوية الدباغ، وزاوية كنتة، وزاوية سيد البكري بمنطقة توات، وزاوية مولاي هيبة بتيديكلت.

وكانت بعض الزوايا تضم بناياتٍ كبيرةٍ لإيواء الطَّلبة والعلماءِ الوافدين من خارج مدن وقصور توات، ويتوفر بعضها على الإضاءة والماء. وفي بعض الأحيان ترتقي الزَّاويةُ لتصبح مدرسةً عُليا، إذا التحق بها مدرِّسٌ شهيرٌ يدرِّس العلومَ المختلفةَ. وكانت

[1] عبد الغني محمد إسماعيل العمراني: أصول التربية، دار الكتاب الجامعي، صنعاء، ط2، 2014، ص43.

[2] صالح بوسَليم: المرجع السابق، ص100.

[3] صالح بوسَليم: المرجع نفسه.

تحمل الزَّاويةُ في الغالب اسم مؤسِّسها أو اسم الحيِّ الذي وُجِدَت فيه، أو اسم المرابط الذي تكون الزَّاويةُ تابعةً له[1].

ج- أنواع الزوايا: عرفت توات ثلاثة أصناف من الزوايا، وهي كالآتي:

1-زوايا الإطعام:

كانت تُقام لاستقبال الضيوف، وعابري السبيل، يقصدها المسافرون، الغرباء، التجار، الحجيج، للراحة وتناول الطعام، فرضت طبيعة المنطقة هذا النوع من الزوايا، بسبب انتشار القصور، وبعد المسافات، مع ازدهار التجارة، وتزايد أهمية الطرق المارة بتوات، بالإضافة إلى عدم توفرها على أماكن حضرية كبرى، تضم مرافق، وأماكن للمبيت، كالحمامات، الفنادق، المطاعم. ووجدوا في هذا النوع من الزوايا ما يعوضهم عن كل ذلك، خاصة أن أغلبها كانت تقام على قارعة الطرق التجارية، عرفت نشاطا كبيرا خلال القرن الثاني عشر، وحتى القصور التي لم تكن بها زوايا، دأبت على إكرام الضيف، وفي هذا السياق يقول أحمد الطاهري الإدريسي:"...والمسافر لا يحتاج إلى حمل الزاد معه، لأن في كل قصر من قصورها عادات، فإذا كان في القصر زاوية،...يقصد دار الزاوية، فيجد فيها كل ما يحتاج إليه حتى علف الدواب،...وإن لم تكن فإن أهل القصر لهم عادة، ونوبة لكل واحد منهم، ولا يختلف هذا النظام، ولو أقام الضيف مدة طويلة..."[2].

فطبيعة توات وشساعة مساحتها وبُعد المسافات، فرضت هذا النوع من الزوايا للتكفل بعابر السبيل، فمع ازدهار التجارة، وتزايد أهمية الطرق المارة ووجدوا في هذا

[1] يحي بوعزيز: المرجع السابق، ج1، ص202.

[2] مولاي أحمد الطاهري: المخطوط السابق، ص ص33-34.

النوع من الزوايا ما يعوضهم عن كل ذلك، خاصة أن أغلبها كانت تقام على قارعة الطرق التجارية وحتى القصور التي لم تكن بها زوايا، دأبت على إكرام الضيف.

ومن الأمثلة عن زوايا الإطعام في منطقة قورارة (تيجورارين) مثلا: زاوية سيدي عبد الله بن طمطم، بأوقروت، التي ذكرها العياشي في رحلته، ووصف صاحبها بقوله: "... وقد أثني أصحابنا عنه كثيراً، وانه من أهل الخير والدين، يطعم الواردين عليه، في بلاد كاد الطعام أن يكون فيها دواء..."[1]. إلى جانب ذلك توجد زاوية مولاي هيبة بتيديكلت، وزاوية كنته بتوات، وزاوية الشيخ مولاي عبد الله الرقاني وغيرها كثير.

وعليه فطبيعة توات وشساعة مساحتها، وبُعد المسافات فرضت هذا الصنف من الزوايا للتكفل بعابري السبيل وإيوائهم، وهذا إن دلّ على شيء، فإنما يدل على حركة التنقل المستمرة لمسالك المنطقة خلال الفترة مجال البحث، مما يفسّر بروز العدد الكبير للزوايا مع ازدهار حركة قوافل التجارة الصحراوية، وتزايد أهمية الطرق المارة، ووجدوا في هذا النوع من الزوايا ما يعوضهم عن كل ذلك، خاصة أن أغلبها كانت تُقام على قارعة الطرق التجارية وحتى القصور التي لم تكن بها زوايا، دأبت على إكرام الضيف.

وعليه فزوايا الإطعام كانت تقوم بدورها التعليمي مساهمة بذلك في صيرورة التدريس، إلى جانب دورها في الإطعام والتكفل بعابري السبيل؛ ولم يقتصر هذا الدور على الزوايا فحسب، بل امتد إلى سكان القصور على تقديم العون لمرتادي الطرق من التجار والحجاج وطُلاب العلم.

[1] أبو سالم العياشي: المصدر السابق، ص12.

2- زوايا العلم:

أدّت زوايا العلم دوراً كبيراً في الحركة العلمية في الديار التواتية، في الفترة مجال البحث، وشكّلت مراكز إشعاع علمي وحضاري، كان يقصدها الطلبة من كل مكان لتلقي العلم، إلى جانب توفير الإطعام والمبيت للوافدين، وذلك بفضل الأوقاف والحبوس التي حازت عليها، تم تأسيس العديد منها خلال هاته الفترة، أما ما كانت منها موجودة، فقد عكفت الزاويا دورها التعليمي والدراسي، فقد أضحت مقصداً للطلبة والفقراء، وعابري السبيل، من كل مكان[1].

3- الزوايا الصوفية:

وهي عبارة عن معاقل لأتباع الطرق الصوفية، بحيث يجتمعون فيها ويرددون أورادهم وأذكارهم ويمارسون فيها طقوسهم، وقد ترسّخت الطرق الصوفية بشكل كبير في المنطقة، ولها العديد من الأتباع والمريدين في أغلب قصور المنطقة. ومثال عن هذا النوع زاوية بدريان بعد أن تراجعت وظيفتها العلمية الأصلية.

وفي الوقت الذي كانت فيه الزوايا العلمية تتقوقع على نفسها بموت العالم المؤسّس وانقراض أهل العلم بها، كانت الزوايا الصوفية تضع لنفسها إطارا صوفيا يرتكز على بعض الأدبيات والأذكار الخاصة يتجدّد مع كل شيخ يتولى تدبير شؤون الزاوية[2].

وقد اضطلعت الزوايا بدور محوري وأحرزت سبقاً على غيرها من المؤسّسات الثقافية في نشر الثقافة والعلوم؛ وفي مقدّمتها القرآن وما يتعلق به من علوم، وعلوم

[1] عبد الحميد بكري: المرجع السابق، ص74.

[2] صالح بوسَليم: مؤسسة الزوايا...، المرجع السابق، ص110.

العربيـة، فكانـت مـن أهـم الروافـد العلميـة والثقافيـة، وقـد اسـتثمرت الـزوايا جملـة مـن المعطيات لتحول أغلب نشاطها إلى الجانب التعليمي.

ولعل من أهم الزوايا العلمية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- **الزاوية البكرية:**

تُعـد هـذه الزاويـة مـن أبـرز الـزوايا في الإقلـيم بـل ومـن أكثرهـا إنتاجـاً فكـرياً وطلابيـاً، تأسّسـت هـذه الزاويـة عـام1117هـ مـن قبـل الشـيخ البكـري بـن عبـد الكـريم الـذي جعـل ابنـه محمـد[1] المتـوفى سـنة وصـياً عليهـا بأمـره ورضـا إخوتـه، وتشـير بعـض المصادر إلى أن الابن كان وراء تأسيسها[2] .

أمـا مكـان تواجـدها، فكـان بـين تيمـي وتمنطـيط، وكمـا هـو معـروف في الـزوايا التواتيـة بأنهـا لم تكتـف بالتـدريس فقـط، وإنمـا اعتـبرت مـلاذاً لعـابري السـبيل، وبـذلك ذاع صـيتها في منـاطق الإقلـيم بالكامـل[3]، وأنجبـت لنـا العديـد مـن الطلبـة، مـنهم الشـيخ عبـد الحـق بـن عبـد الكـريم قاضـي تـوات، والشـيخ الحسـن بـن سـعيد البكـري والشـيخ محمـد بـن عبد الرحمان[4].

[1] محمـد بـن عبـد الكـريم: درة الأقـلام في أخبـار المغـرب بعـد الإسـلام، مخطـوط بخزانـة بـن عبـد الكبـير، المطارفـة، أدرار، ص 44.

[2] الوليد بن الوليد: تاريخ توات وفروع بعض القبائل، مخطوط بخزانة أبا عبد الله، أدرار، ص30.

[3] عبد الحميد البكري: المرجع السابق، ص147، وأيضا: الصديق الحاج أحمد: المرجع السابق، ص76.

[4] أمبارك جعفري: المرجع السابق، ص169.

- **زاوية أوقروت:**

تأسّست سنة 1008هـ، من طرف الشيخ سيدي عمر بن صالح الوجرتي[1]. برزت كمركز ثقافي وعلمي كبير بمنطقة أوقروت، وكانت تستقبل الطلبة والضيوف وركب الحجيج[2]، وقد زارها أبو سالم العياشي سنة 1072هـ أثناء رحلته إلى الحجاز وقال عنها:"... وكنا نزلنا بقرب زاوية سيدي عمر بن محمد الصالح الأنصاري الخزرجي الشامي ولقيت بها رجلاً ممن ينتحل الفقه اسمه سيدي محمد ابن علي بن أبي بكر، وهو غالب الظن من أهل الخير وله بعض الخبرة في فروع الفقه..."[3].

وقد وقع نقاش طويل بين شيخ الزاوية والعياشي في مسائل فقهية، ومن أشهر شيوخ الزاوية الشيخ محمد علي الوقروتي، كما تخرج منها الشيخ البكري، والشيخ علي بن حنيني[4].

- **الزاوية الكنتية (الرقادية):**

ويعود الفضل في تأسيسها إلى الشيخ سيدي أحمد الرقادي الكنتي(ت.1063هـ)، وكان ذلك في عام 1059هـ، فجعل منها مدرسته لتحفيظ القرآن وتعليم العلوم الدينية، وقد وفد إلى توات مع قوافل التجارة العابرة للصحراء، حيث نزل بزاوية الشيخ عبد القادر بن عومر[5].

---

[1] الوليد بن الوليد: المخطوط السابق، ص31.

2 أمبارك جعفري: المرجع السابق، ص166.

3 أبو سالم العياشي: المصدر السابق، ص ص81-82.

4 أمبارك جعفري: المرجع السابق، ص167.

[5] عبد الرحمان بن عمر التنيلاني: الفهرسة، المصدر السابق، ص18.

وترجع شهرة المركز إلى الرقاقدة من قبيلة كنتة الذين اشتهروا في نهاية القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر للهجرة، ومن أهم أعلامها الشيخ سيد علي بن أحمد الرقادي، والشيخ سيدي محمد بن سيدي محمد بن سيدي علي وغيره كثير[1].

- **زاوية المهدية:**

تأسّست سنة1119هـ[2]، بقصر مهدية بتيمي من طرف الشيخ عمر بن عبد الرحمان بن يوسف التنيلاني، كان ذلك بعد تضلعه في مجمل العلوم في مسقط رأسه في تنيلان، وقد كان تأسيس الزوايا من الأعمال الصالحة التي تتنافس فيها المتنافسون كما أنه حفر الآبار وعمّر الأرض بالبساتين وأصبحت زاويته مقصد الفقراء والمتخاصمين والمساكين والمعوزين[3] .

المطلب الثاني: خصوصيات الزوايا التعليمية ومناهجها الدراسية.

هناك مجموعة من الأسر والبيوتات العلمية التي اشْتهرت بالعلم بتوات، واستمر التوارث بين أجيالها، ولما كان ذلك الحال؛ أنشأت الكثير من تلك الأسر العلمية زوايا ومدارس لضمان استمرارية عطائها العلمي؛ على غرار الأسر البكرية، الأسر البلبالية، الأسر الكنتية، والأسر الجوزية، والأسر الفلانية، ولم يقتصر ذلك على الإقليم التواتي بل تعداه إلى أقاليم الصحراء الأُخرى[4].

---

[1] محمد حوتية: توات والأزواد، ج2، ص 553. الصديق الحاج أحمد: المرجع السابق، ص ص119-120.

[2] عبد الرحمان بن عمر التنيلاني: الفهرسة، المصدر السابق، ص19.

[3] صلاح مؤيد العقبي: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص513.

[4] يراجع للتفصيل: إبراهيم حامد لمين: الأسَر العلمية وأعلامها في منطقة آولف (ولايةأدرار) خلال القرن 13هـ/19م، مجلة روافد للبحوث والدراسات، مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة

وبذلك عرف الإقليم انتشاراً واسعاً للزوايا التعليمية التي اهْتم شيوخها بتقديم حلقات التدريس ومنح الإجازات والأسانيد وتزكية الطلبة في شتى العلوم، حتى غدت الزوايا بتوات منارات للعلم ومناهل للمعرفة والتَّعَلُم ومراكز جذب واستقطاب للطلبة على اختلاف مشاربهم، خصوصاً أولئك الوافدين من السودان الغربي وتمبكتو؛ مستنهضين الهمم في تحصيل العلوم.

وما كان لتلك الزوايا أن تؤتي ثُمُرَها، إلَّا بفضل التقاليد التي اعتمدها شيوخها في ترسيخ العلم ونشره للطلبة، وهو ما أَسْهَمَ بقسط وافر في استمرار عطائها المعرفي والفكري لأجيال وأجيال.

1- مواد التدريس ومقرراته:

كانت أول الدروس التي تلقن للأطفال هي مختارات من القرآن الكريم، لأنها أساس العلوم الإسلامية، وهذا ما أشار إليه ابن بطوطة في حرص الآباء على تحفيظ أبنائهم القرآن الكريم[1].وقد كان تحفيظ القرآن وقراءته على رواية الإمام ورش عن نافع.

أما دراسة العلوم الإسلامية في عموم المنطقة وسائر المناطق المجاورة لها، فقد كانت تدرس العلوم الإسلامية بمختلف فروعها؛ كالتوحيد والعقائد والتفسير والنحو البلاغة والصرف والفقه والفرائض والتصوف، التي كان لها تأثير في أصناف التأليف لدى العلماء، وهذه الدراسات هي التي تغذي المراحل التعليمة العليا.

الإسلامية- جامعة غرداية، ع: 03، 2017. كريمة سالمي: الاسرة البلبالية واسهاماتها العلمية في منطقة توات خلال اقرنين 19 و20م: أطروحة دكتوراه، جامعة ادرار، 2020.

[1] أبي عبد الله محمد ابن بطوطة: رحلة ابن بطوطة المسمّاة تحفة النظار في غريب الأمصار وعجائب الأسفار، تقد وتح: عبد الهادي التازي، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط: (ب.س)، ج04، ص 246.

وتشير المصادر العربية أن أهم المواد التي كانت تدرّس هي النحو، المنطق، الفقه، الأدب، التفسير، الحديث والفلك، وإلى جانبها دُرست علوم وفنون أخرى، مثل: مبادئ في الحساب، ومبادئ في الطب؛ إضافة إلى التراجم والتاريخ والرحلات وفن الكتابة.

ففي علوم اللغة كانوا يركّزون على دراسة ألفية ابن مالك مع شروحها المختلفة، ويدرسون الصرف والبلاغة والأدب، وفقه اللغة، وكتب النوازل بكل تفصيلاتها، مثل كتاب المعيار للونشريسي، ورجز المغيلي في المنطق وشروحه.

أما عن المقررات الدراسية، فإنها لاتختلف عما كان سائداً في حواضر المغرب الإسلامي؛ وهي كالآتي: مختصر خليل، وموطأ مالك، وتسهيل ابن مالك، وأصول السبكي بشرح المحلي، وألفية العراقي، وتلخيص المفتاح بشرح السعد، وصغرى السنوسي، وحكم ابن عطاء الله السكندري بشرح الشيخ زروق، ونظم أبي مقرعة، والهاشمية بالتنجيم مع شرحهما، ومقدّمة التاجوري، ورجز المغيلي، والخزرجية في العروض، وشرح الشريف السبتي، والمدونة لأبي سحنون، والشفا للقاضي عياض، والرسالة لأبي زيد القيراوني التي تداولهما العلماء والطلاب على شكل واسع، حيث تُعد من أشهر المواد التي كانت تدرس في المراكز التعليمية في توات، ومنها كتب الأحاديث النبوي الشريفة، مثل صحيح البخاري[1].

وهذا لا ينفي وجود مواد أخرى كانت تدرّس في المنطقة، مثل: التصوف والسيرة النبوية والفلك والحساب وغيرها من المواد. ومما يُلاحظ أن المواد والمقررات الدينية تدّرس غالباً على المذهب المالكي.

أما فيما يخص العلوم التي كان يتم تدريسها على مستوى المؤسّسات التعليمية؛ فنذكر منها:

[1] محمد حوتية: توات والأزواد، ج01، ص 231 وما يليها.

– العلوم الشرعية:

ونقصد بها الدراسات القرآنية؛ كالتفسير والقراءات وعلوم الحديث (علم الرواية وعلم الدراية)، بما في ذلك الإثبات والإجازات. وكذا الدراسات الفقهية من العبادات والمعاملات كالنوازل، وقد كثر الاشتغال بهذه الدراسات في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين، حتى إنه يمكن القول بأن أغلب الإنتاج الفكري والعلمي خلال هذا القرن يكاد منحصرا في العلوم الشرعية والصوفية والمجالات الأدبية. وأهم ما تميّزت به العلوم الشرعية في هذا العهد هو: التقليد، والتكرار، والحفظ، فالفقهاء قلّما اجتهدوا أو استقلوا بآرائهم، بل كانوا يقلّدون سابقيهم[1]، إضافة إلى علوم التاريخ، والسير، والأخبار، وهي تدرس في إطار الثقافة العامة والتعرف على تاريخ الإسلام وسير رجاله.

– علم الكلام التصوف والمنطق:

استعمال تعبير علم الكلام وعلم التوحيد على حد سواء، وكانوا يعتبرون هذا العلم هام بل هو أهمها، فقد عرفه مصطفى الرمّاصي بما يلي: "...علم الكلام أوثق العلوم دليلا، وأوضحها سبيلا، وأشرفها فوائد، وأنجحها مقاصد، إذ به تعرف ذات الحق وصفاته، ويصرف عنه ما لا يليق به ولا تقبله ذاته"[2].

أما فيما يخص التصوف؛ فبقدر ما سيطرت روح التصوف على الحياة العلمية والاجتماعية في الجزائر، بقدر ما كثر إنتاج العلماء في هذا المجال، بحيث نجد الكثير من الكتب والرسائل والتقاييد والمنظومات التي تناولت التصوف من قريب أو من بعيد، كالأذكار، والأوراد، والردود، والمناقب، والمواعظ، والحكم، والشروح الخاصة بالقصائد الصوفية والمدائح النبوية التي تنظر إلى

[1] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي...، مرجع سابق، ج2، ص 09.

[2] أبو القاسم سعد الله: المرجع نفسه، ج2، ص 91.

الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته نظرة صوفية روحانية[1]. وبعدها العلوم اللغوية كالنحو، والصرف، وفقه اللغة، والبلاغة، وكذا العروض.. ونحو ذلك.

أما عن المعاني والبيان والعروض، فقد نظم الشيخ عبد الرحمان الأخضري: الجوهر المكنون في ثلاثة الفنون المعاني والبيان والبديع.

أما فنون النثر؛ فنعني بها النثر الفني أو الأدبي، وهو يشتمل المقامات والرسائل والوصف، والتقارير، والإيجارات، والشروح الأدبية.. ونحو ذلك[2]. وهذا لا ينفي وجود مواد أخرى كانت تدرّس في المنطقة، مثل: التصوف والسيرة النبوية والفلك والحساب وغيرها من المواد.

ومما يُلاحظ أن المواد والمقررات الدينية تدّرس غالباً على المذهب المالكي، ولعل أهم ما يُميز إنتاج فقهاء ومشايخ توات، وجود ظاهرة المنظومات الرجزية، والمقطوعات الشعرية في أغلب الأعمال العلمية؛ قصد تبسيطها للأفهام، وتسهيل إدراكها لطلبة العلم. وقد جاء ذلك مواكبة لأنماط التأليف والنشاط العلمي، والمفهوم الثقافي الذي كان سائدا بين أغلب العلماء في المنطقة العربية الإسلامية، خلال الفترة التي نحن بصدد الحديث عنها[3].

ورغم أن توات كانت ملتقى طرق التجارة الصحراوية التي تربط بين الشمال والجنوب، إلَّا أن حواضرها عُرِفَت بنشاطها التعليمي والديني والثقافي منذ زمن طويل، إذ وُجدت في المنطقة زوايا علم في أغلب مدنها وقصورها"[4]، بل واستثمرت ذلك

---

[1] المرجع نفسه، ص ص 111 – 112.

[2] المرجع نفسه، ص 171.

[3] صالح بوسَليم: الحياة العلمية والثقافية في منطقة توات بالجزائر خلال القرنين 18-19م: مصادرها وبعض مظاهرها، م.ت.م، السنة الخامسة والثلاثون، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس 2008م، ع131، ص ص 234-235.

[4] عبد الكريم عوفي: مراكز المخطوطات في الجنوب الجزائري؛ إقليم توات نموذجاً، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع34، 2001، ص115.

الانتعاش الاقتصادي والنشاط التجاري في خدمة العلم بالهبات تارة، والأوقاف أخرى، وأخرى بتوفير الكتب والمخطوطات.

02 – الهيكل التنظيمي للزوايا العلمية بتوات:

إن مهمة تعليم الطلاب في الزوايا العلمية تتطلب هيكلة للتكفل بتأطير العدد الكبير للطلاب الوافدين عليها؛ مع اختلاف أعمارهم ومستوياتهم ومدة تواجدهم في الزاوية، وشيخ الزاوية الذي يرجع إليه الأمر في تزكية الطلبة بعد انقضاء دراستهم في الزاوية لا يمكن له وحده تأطير الطلبة والقيام بشؤون الزاوية ومرافقها؛ لذلك تتهيكل الزاوية في أقسام؛ يؤدي كل طرف الدور المنوط به.

ولذلك تختلف الزوايا العلمية في هيكلها التنظيمي عن الزوايا الصوفية أو زوايا الضيافة، إذ نجد في هرم هيكلها شيخ الزاوية، ثم المدرسون والمتعلمون؛ فجماعة المسجد؛ وفق الآتي[1]:

– شيخ الزاوية:

وهو المرجع في كل أمور الزاوية، يجمع إلى جانب الفقه والعلم؛ الحكمة في سياسة الأمور، إليه يرجع الفضل في تأسيس الزاوية إن كان مؤسّساً، وإن كان وريثاً مباشراً أو في سلسلة الورثة فيتحمل أداء رسالتها والمحافظة على سيرورتها، ومن ثمة فإن صلاحياته متعدّدة، وتشمل جونب مختلفة من حياة الزاوية نذكر منها على سبيل المثال ما يلي :

[1] أحميدة بن زيطة: الهيكل التنظيمي والوظيفي للزوايا بمنطقة توات، الملتقى الوطني الأول للزوايا، الجزائر، وزارة الثقافة، مديرة الثقافة لولاية ادرار، أيام:1، 2، 3ماي 2000م، ص17. محمد باي بلعالم، المرجع السابق، ج1، ص ص318-319.

- التدريس؛
- السهر على حسن سير الزاوية؛
- النظر في النفقات المتعلقة بإيواء الطلبة وتغذيتهم؛
- الإمامة في الصلوات؛
- استقبال الضيوف والزوار والاعتناء بهم؛
- النظر في طلبات التحاق التلاميذ الجدد بالزاوية.

– **المدرّسون**: نظراً للمهام المتعدّدة لشيخ الزاوية فضلاً عن التدريس، ونظراً للعدد الهائل من الطلبة الذين يُقبِلون للتعلم؛ واختلاف مستوياتهم؛ نجد في الزاوية مجموعة مدرسين، وهم الهيئة التي تتولى التدريس بالزاوية، ويم تعيينهم وتزكيتهم للقيام بهذه المهمة من قبل شيخ الزاوية، وعادة ما يكونوا من الطلبة الذين دَرَسوا بالزاوية وأحرزوا تفوقاً ونَجَابَةً نالوا بهما التزكية والإجازة للتدريس.

– **المتعلّمون**: لا يقتصر دور التعليم على الطلبة المنتسبين نظامياً للزاوية؛ بل يتعداهم إلى الزوار والأضياف، والطلبة من أبناء المنطقة المرتادين للزاوية، حسب نوع الدروس والحلقات إن كانت عامة أو خاصة.

وزيادة على واجب التعلم الذي لا بد من القيام به؛ يتولى الطلبة بعض المهام الثانوية للتدرب على العمل الجماعي والاجتماعي، فيتولون أحيانا المساعدة في الطبخ، او تنظيف محيط الواوية وبعض مرافقها، أو حتى المساعدة في بعض المناسبات المجتمعية، كمناسبات الحج والاعياد وغيرها، اذ التواجد بالزاوية ليس للتعلم فقط وإنما إلى جانبه تكون التربية الروحية والاجتماعية.

– جماعة المسجد: وهي الهيئة التي تقوم بالإشراف على المسجد التابع للزاوية وتُسَيِّرُه، وهم من يتطوعون لتأدية هذا الدور من أبناء البلد أو من البلدان المجاورة، أو من الذين يزكيهم الشيخ ممن يعرفون بصلاح اخلاقهم وحسن سيرتهم.

وتعمل هذه الهيئة على صيانته والمحافظة عليه، وتهيئته للحلقات التعليمية والمناسبات الدينية، ومعروف ما للمسجد من مكانة في المجتمع، خصوصا المساجد الكبرى منها، والتي في العادة يكون لها إشراف غير مباشر من زاوية المنطقة، كما تعمل على تسيير الأوقاف الخاصة بالمسجد.

03– تموقع الزوايا العلمية بتوات:

يسبق إلى الذهن من خلال الوقوف على تعريف الزوايا المستمد من الانزواء والانعزال والانقباض؛ بأنَّ الزوايا في مواقعها تنأى وتبتعد عن التجمعات السكانية، تحقيقاً لذلك الاعتزال، وأن الزوايا بحكم نشأتها الصوفية تكون في أحد أركان المجتمع لا في وسطه، وهذا القول إن كان يَصْدُقُ على بعض الزوايا الصوفية، فإنه لا يَصْدُقُ على زوايا العلم؛ التي أسّسها أصحابها قريبة من الساكنة، بل وقد تكون أحيانا محوراً تتجمع حوله كل المباني الأخرى.

إن هدف التعليم وإتاحته لكل أفراد المجتمع، حتّم على زوايا العلم أن تتموقع قريبةً دانيةً من كل أفراد المجتمع، وإن كانت الزوايا في بداية نشأتها نشأت منعزلة بعيدة بحكم وظيفتها العسكرية، إلَّا أنها مع استقرار الأوضاع السياسية وتحول نشاطها إلى الجانب التعبّدي غيرت من موقعها؛ تحقيقاً لأهدافها التعليمية والاجتماعية.

ولو أخذنا على سبيل المثال زاوية الشيخ سيدي أبي نعامة الكنتي[1] بمنطقة تيديكلت جنوب الجزائر، التي شُيّدت في القرن الثاني عشر للهجرة؛ من قبل الشيخ محمد الملقب بأبي نعامة بن عبد الرحمان بن السيد أمحمد بن عبد الرحمان بن السيد أبي بكر الحاج بن السيد أحمد البكاي بودمعة بن السيد أمحمد الكنتي العقباوي ، فقد بناها الشيخ المؤسّس في قلب قصر الزاوية، لتكون محوراً يلتقي فيه الأهالي مع عابري السبيل في صلواتهم بالمسجد الجامع التابع للزاوية، وهو مكان للاجتماع في المناسبات التي كانت تُشرف عليها الزاوية، والأمثلة على ذلك كثير من زوايا العلم بإقليم توات[2].

04-الوسائل والمناهج والمقررات التعليمية لزوايا العلم:

لعل من أولى الأهداف التي أنشأت من أجلها هذه الزوايا هو نشر العلوم الدينية ومحاربة الجهل والخرافات والبدع وفق وسائل ومناهج تقليدية، بل كان لشيوخ هاته الزوايا مُكْنَتَهُمْ في إدارة زواياهم من كل الجوانب، فلم يُسمع يوماً عن زاوية أغلقت أبوابها لقلة طلبة العلم أو لكثرتهم أو لعجزٍ في تأطير وتعليم أولئك الطلبة.

أ. الوسائل التعليمية:

إن الأهداف التي سطرها شيوخ الزوايا، والتي يتقدّمها هدف إتاحة التعليم لكل أفراد المجتمع؛ طبع الزوايا في هياكلها ووسائلها بالبساطة التي تتماشى؛ أولا: مع الطبيعة الصحراوية للمجتمع التواتي المتّسم عموماً ببساطة عمرانه وبساطة عيشه، وتتماشى مع رفع المشقة عن طلبة العلم مهما اختلفت مشاربهم ومستوياتهم

[1] عباس بن شيخ و كريمة بولخراص: زاوية الشيخ سيدي أبي نعامة الكنتي بمنطقة تيديكلت جنوب الجزائر ودورها الثقافي والاجتماعي خلال القرنين 13 - 14 هـ/ 19 - 20 م، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، مج 14، ع2 ،2021، ص697.

[2] ينظر: محمد باي بلعالم: الرحلة العلية، ج1، ص319، 418-421.

الاجتماعية، وقد زاد مشايخ الزوايا من القدرات التمكينية للطلبة أن أعفتهم من كل تكلفة تتعلق بإيوائهم أو إطعامهم، لاعتماد الزوايا على أوقافها ومواردها.

وعلى غرار سائر المؤسّسات التعليمية في إقليم توات؛ تعتبر الدواة والقلم واللوح ونسخة من المصحف أساسيات يُعْتَمَدُ عليها في التعليم بكل مستوياته؛ سواء في الكُتَّاب أو في المسجد أو في الزَّاوية وحتى المدرسين(المدارس القرآنية)، والتي تصلح للاستعمال في تلقي شتى أنواع العلوم، ويتقدّمها القرآن، إذ ليس القرآن آيات وسور تحفظ فقط؛ إنما هو أيضا رسم خاص يختلف في تدوينه عن رسوم الكلمات العربية في الشعر والنثر، ولذلك حرص شيوخ الزوايا على تأكيد وتمتين الرسم القرآني من خلال كتابة الطالب للشواهد القرآنية وفق الرسم العثماني المقرر في المصاحف المتوفرة في الزاوية، بل واستعكلوا لترسيخها لدى الطلبة طريقة الانصاص[1].

وقد عملت الطرق التدريسية لدى شيوخ الزوايا على تنمية الذاكرة البصرية والذاكرة السمعية من خلال تدوين الآيات القرآنية والمعارف الدينية على اللوح لتسهيل ترديدها وحفظها وترسيخها؛ ومن خلال عملية التسميع (الاستظهار) التي يقوم بها الطالب لما استوعبته ذاكرته على الشيخ، حتى يتأكّد له ويتيقن عنده حفظ التلميذ وضبطه.

ب. المناهج المتّبعة في التدريس:

لم تخرج زوايا توات في طريقة التعليم عن النمط التقليدي للزوايا في عمومها، فالمطّلع على الزويا في المغرب الاسلامي منذ نشأتها يجد أن هناك عدّة قواسم مشتركة

[1] العيد حاج قويدر ومصطفى حاج قويدر: الأنصاص القرآنية المتداولة في الكتاتيب والزوايا التواتية، ودورها في الحفاظ على الرسم العثماني، مجلة الاستيعاب، مج05، ع01، جامعة أبو بكر بلقايد – تلمسان، جانفي 2023.

فيما بينها؛ بداية من هيكلتها المعنوية أو المادية، مروراً بأهدافها، ووقوفاً على مناهجها وطرقها في التدريس وتربية مريديها.

وقد اعتمدت الزوايا طرقاً ومناهجَ دراسيةٍ لا تراعي الفروق الفردية بين الطلبة في الغالب، إلى جانب ذلك لم تُغفل جانب المنافسة بينهم، والذي يكون حاصلهُ رفع مستوى الطلبة، والتَعَلُّم من بعضهم، فهي إذ تفتح المجال رحباً أمام المتعلم لينطلق وفق قدراته ومواهبه؛ تنمي فيه – من طريق آخر– من خلال الأنشطة الجماعية روح الجماعة والتعاون.

– التعلّم في حلقات جماعية:

ولأن مهمة التربية تسير جنبا إلى جنب لدى علماء توات، فإن تربية روح الجماعة لدى الطالب المتعلم كان لها نصيبها؛ من خلال الأعمال الجماعية التي يقوم بها الطلبة، سواء المتعلقة بالشق الاجتماعي، المتمثل في التنظيف والطبخ والخدمة عموماً داخل الزاوية وخارجها أو من خلال المظاهر الدراسية الآتية:

أ) الحلقات التدريسية: وهي من أجلى مظاهر التعليم الجماعي في الزاوية، إذ لا ينتصب الشيخ لتدريس طالب بعينه بمعزل عن أصحابه، وإنما يلتقي في الحلقة كل الطلبة على قدم سواء، ويستفيد الطلبة من بعضهم من خلال الإشكالات والأسئلة المعروضة على الشيخ، ومن خلال المحاورات التي تكون بين الطلبة بعد نهاية الحلقة، وأثناء مذاكراتهم.

ب) الحزب الراتب اليومي: وهو حلقة تلاوة جماعية تكون عادة في أغلب المساجد والزوايا بعد صلاة المغرب يحضرها كل طلبة الزاوية ومن يرتادون الزاوية، وفيها يكرر الطلبة ما حفظوه من أحزاب وسور، ويتلقون من خلال ذلك النطق السليم والصحيح

لـلآيات ويرسـخون المتشـابهات منهـا، كمـا يقـدم الشـيخ أحيـانا بعـض النكـت البلاغيـة أو النحوية أو غيرها في ختام هذه الحلقة، فتكون بذلك مجلس تلاوة وتعليم.

ج) التعليم الفردي:

يبـدو أن نظـام التـدريس في الـزوايا لا يعتمـد اختبـار مسـتوى يتأهـل بـه الطالـب الى مسـتوى مـوالي، ولا علـى تقيـيم لنتائجـه، ولا علـى مـدة زمنيـة محـدّدة؛ وإنمـا يعتمـد علـى مـدى قـدرة واسـتيعاب الطالـب للمقـررات المرحليـة الخاصـة بالمسـتوى الـذي هـو فيـه، وللشـيخ وحـده سـلطة تقريـر تأهـل الطالـب، وهـذا مـا يعـني أن الطالـب لا يـرتبط بمجمـوع الطلبـة في طـوره، إن أتمّ حفـظ القـرآن واسـتظهاره في وقـت قصـير؛ يخـول لـه ذلـك الالتحاق بحلقات العلوم الأخرى بتوجيه من الشيخ[1].

إن مثـل هـذا المـنهج، يفـتح الآفـاق للفـرد؛ لينطلـق وراء قدراتـه الخاصـة، بـل وينشـط منهـا مـا كـان خـاملاً، مـن خـلال المنافسـة الـتي تكـون بينـه وبـين أقرانـه للالتحـاق بالرتـب العليا.

د)– التدرّج في اكتساب المعارف:

يقـول العلاّمـة ابـن خلـدون: " إعلـم أن تلقـين العلـوم للمتعلمـين إنمـا يكـون مفيـداً إذا كـان علـى التـدريج شـيئاً فشـيئاً وقلـيلاً قلـيلاً، يلقـي عليـه أولا مسـائل مـن كـل باب مـن الفـن هـي أصـول ذلـك البـاب، ويقـرب لـه في شـرحها علـى سـبيل الإجمـال، ويراعـى في ذلك قوة عقلة واستعداده لقبول ما يرد عليه، حتى ينتهي إلى آخر الفن....."[2].

[1] محمد الصالح حوتية: توات والأزواد ...، مرجع سابق، ج1، ص251.

[2] ابن خلدون: المقدمة، دار الفكر، بيروت، د.ط، 2004 ، ص347.

وقد أعطى ابن خلدون منهجاً لتلقين العلم، يبدأ من الأصول من كل علم إلى فروعه، ومن العرض للمسائل إلى استيعابها وتدقيقها ومناقشتها.

وقد انتهج شيوخ وعلماء توات ذات المنهج في التدرج والارتقاء بالطلبة إلى الرتب العليا، متدرجين من العلوم الأساسية إلى العلوم التكميلية، ومن المختصرات إلى المطولات، ومن المسلمات إلى العويصات من المسائل، وقد أثمر ذلك أن أنجبت زوايا توات على امتداد تواجدها ثله من العلماء الأكفاء الذين تشهد سيرهم بذلك، ويشهد لم ما ألفوه في النوازل وغيرها من العلوم، وما كان ليتأتى لهم ذلك لولا بلوغهم الرتب العالية في علوم القرآن واللغة والفقه.

– إعتماد المتون العليمة في التدريس:

لقد كان لعلمائنا الأوائل نظرتهم في تعليمية العلوم، وما يتعلق بمناهج وطرائق التعليم؛ ففرقوا بين العلوم وتعليمها، وابتدعوا للعلم الواحد طرقا متعدّدة، يمكن بها تحصيله، بل ومن العلماء من كانت له طرقه الخاصة به في تلقين العلوم لطلبة؛ مستقاة من تجاربه ومن معارفه.

ففي القرن الرابع للهجرة ترك اللغويون طريقة المتكلمين والمحدثين في الإملاء، بعد أن كانت السمة البارزة لدى العلماء، يعرف المشتغل بها بالسبق والحافظة القوية، واقتصروا على تدريس كتاب يقرأ منه أحد الطلبة والمدرس يشرح[1]، مما يدل على استقصائهم للطرق الجديدة التي بها يحصل مقصد التعليم.

[1] آدم متز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تر: محمد عبد الهادي أبو ريدة، ج1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008، ص335.

وطريقة المتون[1] من بين الطرق التعليمية السائدة في المؤسّسات التعليمية بتوات، فهي "التي يبتدأ بها الطالب نظراً لسهولة حفظها وعمق هدفها، وهي تخص سائر العلوم"[2]. وقد عرفت المتون انتشاراً في المشرق والمغرب الإسلاميين، وعرفت قبولاً لدى العديد من العلماء، ولم يكن علماء توات بمنأى عن ذلك التأثر؛ فاستحسنوها واعتمدوها؛ بل وألفوا متوناً علميةً ساهموا بها في إثراء العلوم وتبسيطها وتقريبها للطلاب.

– اعتماد طريقة التلقين:

يُعد أسلوب التلقين في التعليم من الأساليب القديمة التي لا تزال تمارس لحد الآن، ومرجع ذلك إلى التصور الذي كان يسود العملية التعليمية؛ بحشو المتعلم بأكبر قدر من المعلومات، فكان عدد ما يحفظ المتعلم من متون وكتب يعد معياراً أو مقاساً معتبراً في التقييم[3]، وقد سارت المؤسسات التعليمية على هذا النمط في كل مستوياتها.

ويرجع الاعتماد الكبير على هذه الطريقة لسبب أخر هو الاعتماد على المتون في المقررات الدراسية، والتي تخصص لها حلقات للشرح والبسط، وعدم حفظ الطالب لهذه المتون يجعل استيعابه للشرح شبه مستحيل، خصوصاً مع غياب وسائل الإيضاح من سبورات أو كتب أو غيرها، والملاحظ أن لهذه الطريقة إيجابياتها في شحذ همم

[1] ويقصد بها كل ما أُلِّفَ مختصراً في علم من العلوم منظماً أو منثوراً لغرض تعليمي، حتى يسهل حفظه وتذكره واسترجاعه عند الحاجة، ولقيام المنظوم على الوزن العروضي الموسيقى، فقد حاز انتشار وشهرة وقبولا يفوق المنثور. عيسى شاغة: أهمية المتون النحوية في البرنامج التعليمي للزوايا الجزائرية، مجلة العمدة العلمية الدولية في اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، ع1، ماي 2017، ص 114.

[2] محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، ج01، ص254.

[3] محمد منير مرسي: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، عالم الكتب، ط 2، 1425هـ/ 2005م، ص86.

الطلاب إلى التسابق في حفظ القرآن أولاً، وحفظ المتون في باقي العلوم ثانياً، وهي الطريقة التي تسير عليها الزوايا إلى الآن لما تلمَّسَه القائمون عليها من النتائج الحسنة.

– نظام الاجازات العلمية.

كانت الإجازة[1] أحد الأهداف التي يسعى إليها طلبة العلم من خلال القيام برحلات علمية؛ فلم يكن طلبة العلم ليكتفوا بتحصيل العلم، وإنما عملوا على الحصول على إجازة من قبل عالم أو شيخ في البلاد التي قصدوها حتى يكون ما يروونه بعد عودتهم إلى بلادهم موثوقا، ليس هذا فحسب، بل لأن الإجازة تمكّنهم من تلقين المعارف، التي تلقوها لطلبة العلم الآخرين، الذين ما يزالون في طور التحصيل العلمي.

أما عن الإجازات؛ فهي الإذن والتَّسويغ، وهي إذن ورخصة تتضمن المادة العلمية الصادرة من أجلها، يمنحها الشيخ لمن يبيح له رواية المادة المذكورة فيها عنه، ولذلك تكون الإجازة بهذا المعنى طريقة من طرق نقل الحديث وتحمُّله، من الشَّيخ إلى من أباح له نقل الحديث عنه[2]. وهي كذلك إذن يمنحه المحدّث للطالب يخوله فيه بأن يروي عنه كتابا من كتب الحديث أو غيره من العلوم دون أن يسمع منه أو يقرأ عليه. وحتى يصل طالب العلم إلى هذه المرحلة، وجب عليه مجالسة العلماء مدّة طويلة، يثبت من خلالها جدارته في الحصول على الإجازة[3].

---

[1] في اللغة: جاءت الإجازة من لفظ جَاز وجَوْزاً وجؤوزا وجوازا وجازا وجاز به وجاوزه جِوازا: أي سار فيه وخلفه. والمجتاز هو السالك ومجتاز الطريق. وأجاز له سوغ له، وأجاز رأيه: أنفذه، والمجاز: الطريق إذا قطع من أحد جانبيه إلى الآخر. ينظر: مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزبادي: القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت 1436هـ/2005م، ص506.

[2] عبد الله فياض: الإجازات العلمية عند المسلمين، ط1، مطبعة الإرشاد، بغداد 1967م، ص21.

[3] عبد الكريم بناهض: التواصل الحضاري بين المشرق والمغرب العربي من خلال الرحلة العياشية (ماء الموائد)، في مجلة الذاكرة، مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، جانفي 2018م، ع10، ص62.

وحتى يحظى الدارس بثقة أهله ومواطنيه بعد العودة إلى بلاده، لابد له من بيان يثبت أنه درس على علماء أجلاء، وأنه أتقن أصنافا من العلوم، وأنه اغترفها من أمهات الكتب، وأنه حفظ متونا كلاسيكية ترفع من شأن الفائز[1].

والمتتبع سير وتزاحم العلماء التواتيين وطلبة العلم بتوات، يلمس فيهم ذلك الحرص على الحصول على الإجازة بسندها،فهذا الشيخ عبد الرحمن بن عمر التينيلاني(ت. 1189هـ) يذكر أنه التقى الشيخ أبو عبد الله بن علي بن محمد بن إبراهيم الدرعي، ببلاد زاجلو، لما قفل هذا الأخير من الحج، فجالسه، واستفاد منه وقرأ عليه بعض الكتب، ثم استجازه، وطلب منه أسانيده فاعتذر بأنها في كتبه، وقد خلفها ببلاد تيديكلت، وهو ينتظر من يقدم بها عليه، فعاد التنيلاني إلى مسكنه، ولما سمع بوصولها إليه، رحل ثانية فدفعها إليه، فنقل منها ما أراده[2].

ولم يكن التينيلاني وحده من جد في سبيل الحصول على الإجازة بسندها، فقد بلغت عناية وحرص العلماء التواتيون وطلبة العلم بطلب بالإجازات مبلغا تجلى فيه التسابق للحصول عليها وبذل الغالي والرخيص في طلبها، فيرحلون للأمصار المختلفة والأقطار المتباعدة من أجل الحصول على إجازة عالم في كتاب أو حديث أو نحوها، كما حصل للشيخ البكري بن عبد الكريم التمنطيطي الذي رحل إلى القاهرة من أجل الحصول على إجازة من الشيخ أبي عبد الله الخرشي مفتي المالكية في مصر، وكان له ما أراد[3].

---

[1] مولاي بالحميسي: الجزائر من خلال رحلات...، المرجع السابق، ص34.

[2] محمد بن عبد الكريم: جوهرة المعاني، المخطوط السابق، ص01. عبد الرحمان بن عمر التنلاني: تراجم بعض علماء ومشايخ الشيخ عبد الرحمان بن عمر التنلاني (فهرست التنلاني)، مخطوط بخزانة تينيلان، أدرار، ص55.

[3] محمد بن عبد الكريم: جوهرة المعاني، المخطوط السابق، ص01.

وكذلك الشيخ عمر بن عبد القادر التنيلاني الذي أجازه في فاس الإمام الجامع لمذهب الإمام مالك أبو علي الحسن بن رحال المعداني إجازة عامة، أما الشيخ عبد الرحمان بن عمر التينيلاني فقد تنقل إلى بلاد التكرور وهناك أجازه الشيخ أحمد بن صالح السوقي التكروري في كتب"صحيح البخاري"، و"الشفاء بتعريف حقوق المصطفى"، وفي علوم الفقه، النحو، علو البلاغة، وعلم الأصول[1].

وكثيرا ما كانت رحلة الحج طريقا للحصول على الإجازات، والاستدعاءات العلمية[2]، فقد جعل بعض طلبة العلم من رحلات الحج فرصة يتحينونها للالتقاء بالعلماء للاستفادة من علومهم والحصول على الإجازات من عندهم.

[1] عبد الرحمان بن عمر التنلاني: المصدر السابق، ص55.

[2] الاستدعاءات العلمية: هي طلب الإجازة الذي يوجهه المستجيز إلى الشيوخ والعلماء والمحدثين طلبا منهم الإجازة في علم من العلوم أو سند من الأسانيد وكما يكون الاستدعاء من الأعلى يكون كذلك من المساوي والدون. ينظر: يوسف الكتاني: مدرسة الإمام البخاري في المغرب، دار لسان العرب، بيروت، ج1، ص204.

المطلب الثالث: الدّرس اللغوي والقرآني في زوايا منطقة توات:

ولعل ما سبق ذكره يحيلنا بصورة مباشرة على الدور العلمي والتعليمي الذي قامت به الزوايا؛ وعلى المجهودات التي بذلها مشايخها في سبيل دفع عجلة التعليم القرآني وما يتعلق به من علوم وعلى رأسها اللغة العربية؛ التي تعد مفتاح كل علوم القرآن .

والمطلع على تاريخ الزوايا وأقسامها والأدوار الاجتماعية والدينية والسياسية والتعليمية التي أوكلت اليها يمكن أن يلاحظ الفارق الشديد بين الزوايا في أقسامها وهدف كل زاوية منها، واخص بالذكر زوايا العلم التي يعتقد أنها كانت المنشأ المباشر للمدارس القرآنية؛ سعيا لتوفير الجو المناسب لطلبة العلم على اختلاف توجهاتهم وأفكارهم، إذ كان هدفها واضحا في خدمة القرآن واللغة العربية وتعليم قاصديها العلوم الشرعية بعيدا عن الطريقة الصوفية وما يتبعها من التزامات.

ولا يتّضح لنا ما قام به مشايخ الزوايا في سبيل ترسيخ الدّرس اللغوي والقرآني إلّا من خلال الاطلاع على المقررات التي كانت معتمدة لديهم، ومن خلال نشاطهم التعليمي؛ المتمثل في الحلقات التعليمية العامة والخاصة، ومن خلال ما حوته خزائن الزوايا من مؤلفات تعنى بالدّرس اللّغوي والقرآني.

1- المواد التعليمية المعتمدة في التدريس:

تنوعت المقررات الدراسية في زوايا العلم بتوات، نظرا لشمولها على أغلب العلوم الدينية والعلوم المكمّلة أو الخادمة لها، وسنكتفي بما له علاقة بالدّرس القرآني واللغوي:

أ- علوم القرآن الكريم:

لقد آل شيوخ الزوايا على أنفسهم أن يظل سند القرآن متّصلاً جيلاً عن جيلٍ، فاتجهت جهودهم أكثر ما اتجهت إلى حفظ القرآن وتلقينه للطلاب قبل أي علم آخر، إذ هو الأساس والأصل في التعليم عند المسلمين، ولذلك نجد في مقدّمة المقررات الدراسية القرآن الكريم حفظاً وفهماً وتدبراً، ولا تخرج المقررات الدراسية الأخرى عن المواضيع الخادمة للقرآن الكريم.

لقد عرفت حواضر بلاد المغرب الإسلامي منذ زمن بعيد بعراقة جهودها في العناية بالقرآن الكريم، ويخلد ذلك ابن خلدون في كلامه على تلك الجهود، حيث يقول: " فأما أهل المغرب فمذهبهم في الولدان الاقتصار على تعليم القرآن فقط، وأخذهم أثناء المدارسة بالرسم ومسائله واختلاف حملة القرآن فيه، لا يخلطون ذلك بسواه في شيء من مجالس تعليمهم، لا من حديث ولا من فقه ولا من شعر ولا من كلام العرب، إلى أن يحذق فيه أو ينقطع دونه، فيكون انقطاعه في الغالب انقطاعاً عن العلم بالجملة. وهذا مذهب أهل الأمصار بالمغرب ومن تبعهم من قرى البربر، أمم المغرب، في ولدانهم إلى أن يجاوزوا حد البلوغ إلى الشبيبة. وكذا في الكبير إذا راجع مدارسة القرآن بعد طائفة من عمره. فهم لذلك أقوم على رسم القرآن وحفظه من سواهم"[1] . ولعل هذا جهد كبير في ترسيخ القرآن الكريم، لذلك استحقوا ان يكونوا أقوم في رسمه وحفظه دون سواهم.

ورغم العناية الكبرى التي أولاها علماء توات لحفظ القرآن حتى كاد لا يقبل وجود طالب علم في الزاوية إلا ويحفظ نصيبا من القرآن؛ إن لم يكن القرآن كله، رغم ذلك امتدت جهودهم إلى علوم القرآن الذي يُعد من مفاتيح القرآن ومداخله التي يفهم بها، إذ المقصود بعلوم القرآن " المباحث المتعلقة بالقرآن الكريم من ناحية نزوله،

[1] ابن خلدون: المقدمة، دار الفكر، بيروت، د.ط،2004 ، ص346.

وترتيبه، وجمعه، وكتابته وقراءته وتفسيره، واعجازه وناسخه ومنسوخه، ودفع الشبه عنه، ونحو ذلك"[1]، وكلها مباحث لا يستغني عنها الفقيه والمفسّر والمحدّث.

وقد أطلعتنا الخزائن التواتية على كم هائل من المؤلفات في علوم التفسير، وفي الفقه، وفي اللغة العربية، ...الخ، والتي كان منطلقها ومدار بحثها القرآن الكريم، وهو ما يعكس العناية البالغة التي يوليها علماء توات لعلوم القرآن، من خلال المحافظة على الرسم القرآني، ومن خلال المحافظة أيضا على سلسلة التواتر التي حفظ الله بها القرآن جيلا عن جيل.

وكان الاعتماد السائد على رواية ورش عن نافع من طريق الأزرق سببا في عدم الإغراق في الحديث عن الروايات الأخرى، ذلك أن هذا الأمر لا يفهمه العامة، مما قد يخلط عليهم تلقيهم وحفظهم، ولقلة المتصدّرين به في مجالس القراءة. أما لدى طلبة العلم والمشايخ، فكان لهم اهتمام واضح بهذا الفن، نذكر من أولئك العلماء الشيخ محمد بن عبد الرحمن البلبالي (ت.1244ه) الذي أتمّ دراسته الأولية في مسقط راسه بملوكة، ولما بلغ مرحلة الارتقاء إلى المستوى الأعلى ارتحل إلى الشيخ أبي زيد عبد الرحمن بن عمر التنيلاني في زاويته ليدرس عليه علوماً كثيرة، منها التفسير والقراءات[2].

ولم يغفل علماء توات أهمية القراءات القرآنية، مما جعلهم يولونها بالغة، وهو ما أسلمهم إلى تقريرها كمواد دراسية في المراحل المتقدّمة، ذلك أن من يتصدّون في العادة

[1] محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الكتاب العلمية، لبنان ط1، 2002، ص21.

[2] حسان حاج أحمد: غنية المقتصد السائل فيما وقع في توات من القضايا والمسائل "المقدمة وباب الجامع" للشيخ محمد عبد العزيز البلبالي (ت1621ه)، رسالة ماجستير، جامعة أدرار، 2015/2014، ص89.

إلى أوجه القراءات من لهم اهتمام بالفقه والنوازل لمعرفة الأحكام وجبر التعارض بين النصوص.

لذلك حرص شيوخ الزوايا على تزويد طلبتهم المتفوقين بأنواع العلوم المختلفة، ومنها علم التفسير الذي كانت تخصّص له حلقاته الخاصة بشرح بعض كتب التفسير لأهمية العلم بالتفسير وضرورته، قال إياس بن معاوية: " يا سفيان، لا علم أشرف من علم القرآن. وهل تدري مثل من يقرأ القرآن ومن يعلم تفسيره أو لا يعلم؟ مثله مثل قوم جاءهم كتاب من صاحب لهم ليلاً، وليس عندهم مصباح، فقد دخلهم بهذا الكتاب روعة، لا يدرون ما فيه، فهم خائفون، فإذا جاءهم الصباح عرفوا ما فيه "[1].

إن تجاوز مرحلة حفظ القرآن وترسيخه لا تكون إلَّا بمزيد التبحر فيه من خلال الاطلاع على معانية والتفتيش في مبانيه للوقوف على أحكامه ومعرفه ما تشابه منه، ولم يكن التفسير مقدماً عند علماء توات؛ ليس لدنو مرتبته؛ وإنما لجلالة قدره، فهو العلم الذي لا يُقرئه إلَّا كبار العلماء[2]، لضرورة أن يجمع العالم له علوماً عدّة يكمل بعضها بعضا للتعامل مع القرآن؛ لفهمه وإفهامه.

ب– علوم اللغة والنحو:

سارت اللغة العربية بمباحثها المختلفة جنباً إلى جنب مع القرآن الكريم، فحلت حيثما حل القرآن الكريم؛ بل إن القرآن قوَّم ألسنة الأعاجم وغيَّر لغتهم إلى العربية،

[1] الحكيم الترمذي: الأمثال من الكتاب والسنة: تح: سيد الجميلي، دار ابن زيدون، لبنان، ط2، 1987، ص 45.

[2] عبد الرحمان وعبد العزيز البلبالي: مقدمة غنية المقتصد السائل في ما حل بتوات من القضايا والمسائل، مخطوط بخزانة الحاج أحمد بأنزجمير، أدرار، ص 5.

لأنها لغة القرآن، ونجد اللغة العربية بكل مباحثها حاضرة في المقررات بالمؤسّسات التعليمية على اختلافها.

لقد عملت الزوايا على امتداد تاريخها على المحافظة على لغة القرآن؛ من خلال المناهج المتبعة، ومن خلال الكتب والمؤلفات المعتمدة، ولم يقف المشرفون عليها عند حد الاكتفاء بما يَفِدُ إليهم من مؤلفات، بل عملوا على استحداث مؤلفات خاصّة بهم، فألَّفوا المتون والشروح والمنظومات خدمة لأهدافهم التعليمية.

ولعل أقرب مثال للمدارس القرآنية التي أخذت توجها في طريقة تعليمها وفي مناهجها الدراسية في التراث النحوي، نجد مدرسة مصعب بن عمير بأولف، والتي يعود الفضل في تأسيسها للشيخ باي بلعالم، ويلاحظ في مقرراتها اعتماد الشيخ على مؤلفات ألفية ابن مالك وملحة الإعراب وغيرها في التدريس، والإحالة عليها في الدروس والشروح[1].

وخلاصة القول، فإن الدّرس اللغوي والقُرآني في المؤسّسات التعليمية بتوات اتخذ له مساراً متدرجاً يراعي قدرات المتعلمين كما يراعي التدرج في العلوم، ولذلك نجد التفاوت في الأدوار التي اهتمت بها كل مؤسّسة تعليمية من كتاتيب إلى مدارس إلى زوايا.

وإن كانت المقررات الدراسية تكاد تقترب من بعضها من حيث مجال الدراسة، إلَّا أنها كانت تختلف من ناحية المضامين وطريقة التدريس التي قررت في كل مرحلة؛

[1] عبد القادر بقادر: علماء توات وإسهاماتهم في حفظ التراث النحوي محمد باي بلعالم أنموذجا، مجلة الذاكرة ، مج 04، ع02، ص ص 43-63.

وهـذا يعكـس انفتـاح علمـاء تـوات وشـيوخها علـى التجـارب في مجـال التـدريس؛ فضـلاً عـن إلمـامهم بالمنـاهج الـتي كانـت مُتّبعـة في الحواضـر العلميـة فيمـا حـولهم، كمـا تـترجم لنـا عنـايتهم بالمنـاهج والمقـررات؛ تلـك الجهـود الـتي لم يبخلـو بهـا في سـبيل خدمـة القـرآن الكريم واللغة العربية وعلومهما.

الفصل الثالث

الدّرس اللغوي والقُرآني عند علماء توات

من ق 12 إلى ق 14هـ

المبحث الأول: الدّرس اللغوي عند علماء توات من ق 12 إلى ق 14هـ.

المبحث الثاني: الدّرس القرآني عند علماء توات بين القرنين 12 و14هـ

- **تمهيـــــد:**

إن الـدّرس اللغـوي ميـدان فسيح، وبحـر يصـعب سـبر غـوره، وقـد إرتبط عنـد العـرب بالحاجـة إلى فهـم القـرآن الكـريم، فقـد كـان اللحـن الـذي اعـترى لغـة القـرآن آنـذاك مؤسسـا وموجهـا للأبحـاث اللغويـة؛ لينشـأ عنهـا البحـث في الأصـوات العربيـة وحروفهـا، ومـن ثم كيفيـة تنـاغم هـذه الأصـوات داخـل الكلمـة لتتطـور الدراسـة بعـد ذلـك إلى نشـوء أهـم علـم حفـظ لغـة القـرآن، وهـو علـم النحـو، ثم إن اهتمـامهم بشـرح مفـردات القـرآن نجم عنه فكرة تأليف معاجم لغوية حفظت للقرآن معانيه ومبانيه.

وقـد اعتـنى مشـايخ وأعـلام منطقـة تـوات عنايـة خاصـة بتحفـيظ القـرآن الكـريم، الأمـر الـذي أدَّى بعلمـاء المنطقـة إلى العنايـة بالـدّرس القـرآني لاسـيما علمـي التجويـد والقـراءات، وتمثـل ذلـك في تدريسـهما والتنقيـب عنهمـا، إلا أنَّ أكثـر جهودهمـا في هـذه الفترة حول هذين العلمين تمثلت في جانب التدريس أكثر منه في جانب التأليف.

ومـن هـؤلاء الأعـلام السـابقين بتـوات، نجـد الشـيخ محمـد بـن عبـد الكـريم المغيلـي الـذي قـال عـن تـوات لمـا ارتحـل للتـوطن بهـا في القـرن 09هـ، وتحديـدا سـنة 882هـ[1]، حيث قال:" دخلنا توات فوجدناها دار علم وأكابر فانتفعنا بهم وانتفعوا بنا"[2].

وسـنحاول في هـذا الفصـل أن نرصـد جهـود علمـاء تـوات في الـدّرس اللغـوي والقرآني مع التطرق إلى أهم إسهاماتهم فيهما.

[1] محمـد عبـد الكـريم التمنطيطـي، درة الأقـلام في أخبـار المغـرب بعـد الإسـلام، مخطـوط خزانـة كوسـام بأدرار، ص19.

[2] حاج أحمد الصديق: التاريخ الثقافي لإقليم توات ، منشورات الحبر، ط 2، الجزائر، 2011م، ص65.

المبحث الأول: الدّرس اللغوي عند علماء توات من ق 12 إلى ق 14 هـ.

يعتبر الموروث الثقافي لأي أمة المعيار الحقيقي لمدي إسهامها في المعرفة الإنسانية ومقدار قوتها في دفع عجلة الحضارة، وإن كانت توات قد عرفت أوج نهضتها العلمية أواخر القرن الحادي عشر وأوائل القرن الثاني عشر للهجرة، فإن العديد من المراكز العلمية بالإقليم كانت لها اهتماماتها ومساهماتها وعطاؤها في مجال الحياة العلمية والثقافية خلال تلك الفترة وقبلها.

ولا يمكن معرفة وتقدير أهمية تلك الحياة العلمية في هذه المراكز؛ ولدى علمائها إلَّا من خلال الوقوف على أعمال أولئك العلماء الذين اشتهروا خلال الفترة المذكورة والذين أبلوا بلاء حسنا من خلال ما سنبين من جهودهم وإسهاماتهم التي كانت ولا تزال أثراً يدل على مرورهم.

وعند الحديث عن توات، فإننا نتحدث عن حاضرة علمية أقرّ علماء الحواضر المجاورة والقصيّة بتفوق علمائها وتمكّنهم في القرآن حفظاً وتبليغاً، وفي الفقه استيعاباً وتدريسا[1]، وفي اللغة نحواً وبياناً، وسنتحدث عن نهضة علمية مهّدت لها حركة ثقافية قبل القرن الثاني عشر للهجرة، إذ كانت توات محط علماء فطاحل، من أمثال الشيخ المغيلي والعصنوني، وعرفت نشاطاً وانتشاراً كبيراً للمؤسّسات التعليمية بها، ساعد في ذلك عدّة عوامل؛ جعلتها قبلة العلماء ومأوى لطلبة العلم من شتى الجهات.

إلى جانب عناية علماء توات بالقرآن الكريم في مقرراتهم التعليمية؛ فقد أولوا أيضا اللغة العربية مكانة مرموقة، ذلك أنها الوعاء الحامل للقرآن الكريم، وفاقدها لا

[1] محمد الصالح حوتية: توات والأزواد، ج01، ص317 وما يليها. صالح بوسَليم: المؤسسات الثقافية...، مرجع سابق، ص ص 232- 250.

يمكنه بحال حفظ القرآن وتبليغة، فضلاً عن التضلع في علومة وفهمه، فكانت بذلك عنايتهم بالدّرس اللغوي.

المطلب الأول: منطلقات الدّرس اللغوي تطوره:

أولاً: أثر القرآن في نشأة الدّرس اللغوي:

لقد حافظ العرب على سليقتهم ونقاء لغتهم وصفاءها ردحاً من الزمن، فلم يكونوا بحاجة إلى قواعد يؤسّسون عليها بناء إنتاجهم اللغوي، ولا لقوانين لغوية تعينهم على إقامة الجيد من الأنتاج الأدبي، ولعل ثمة حكمة الله، إذ هيأ العرب لاستقبال الرسالة الخاتمة؛ رسالة القرآن، التي هزت عرش بيانهم، وقهرت أرباب فصاحتهم، لقد جاء القرآن والعربية تعرف أيام عزها وتمكنها، فلم يكن للحن[1] إليها سبيل، كانت تدرك أبنيتها وتراكيبها بالسليقة وتفهم دلالاتها بالفطرة، لذلك استقبل القوم القرآن بوعي وفهموا مقاصده ومعانيه بما ورثوه من سليقية عن آبائهم وأجدادهم[2].

ومع اتساع رقعة البلاد الإسلامية وامتداد الفتوحات إلى بلدان غير عربية، ودخول الأعاجم في الإسلام وتلقيهم العربية تقليداً ومحاكاة أحدث ذلك خللا في التعاطي والتفاعل من المنتوج العربي، أوشك أن يوقع بصرح العربية وبنائها، فكثر

[1] " اللحن بمفهومه الاصطلاحي الواسع، وهو الخطأ في العربية الفصحى، ويشمل ذلك الخطأ في الأصوات، أو في الصيغ أو في تركيب الجملة وحركات الإعراب، أو في دلالة الألفاظ". محمد بن علي بن محمد: أبو سهل الهروي (المتوفى: 433هـ): إسفار الفصيح المؤلف، تح: أحمد بن سعيد بن محمد قشاش، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط 01 ،1420هـ، ج 01، ص 156.

[2] محمد بن الحسن أبو بكر الزبيدي: طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، ص11.

اللحن واشتد إلى أن بلغ لغة القرآن، فدعت الحاجة إلى إنشاء علم يعرف به خطأ الكلام من صوابه، فأُنشأ النحو أولاً، وتوالت بعده علوم العربية الاخرى.

وتشير كثير من الدراسات النقدية إلى أن العرب اعتنوا بلغتهم قبل مجيء الاسلام عناية منقطعة النظير[1]، حيث إنهم كانوا يتبارون في الانتاج اللغوي، وكانت الكلمة عندهم أَحَدُّ من السيف، كانوا ينتخبون أسمى إنتاجاتهم اللغوية خصوصاً الشعر؛ ليُحتفى به على طريقتهم، بتعليقه على أستار الكعبة، وما أدراك ما هي، هذا شانهم في الجاهلية؛ أما في الاسلام وبعد نزول القرآن بلغتهم واعتلائه ذروة النصوص اللغوية عندهم بإعجازه، ازدادت العناية وامتدت إلى دفع كل ما يشينها أو يعكر صفائها.

لقد ولد الدّرس اللغوي من رحم القرآن الكريم؛ فمن الحاجة إلى فهم القرآن كانت ولادته، كانت بداياته في تتبُّع اللحن، فتطوَّر إلى النحو، وفي تتبُّع معاني مفردات القرآن، فتطوَّر إلى العمل المعجمي، وفي تفسير تراكيب الآيات اظهارا لإعجازها، فتطوَّر إلى المباحث البلاغية، وكلُّ هذا من أجل فهم النص القرآني فهمًا دقيقًا، واستخراج الأحكام الشرعية منه[2].

إذن، فالدّرس اللغوي عند العرب كانت نشأته بسبب من الدعوة الإسلامية المؤسّسة على القرآن الكريم والتي أدت إلى امتزاج اللغة العربية بغيرها من اللغات

[1] " وَكَانَتْ قريش، مع فصاحتها وحُسن لغاتها ورِقَّة ألسنتها، إِذَا أتتهُم الوُفود من العرب تخيّروا من كلامهم وأشعارهم أحسنَ لغاتهم وأصفى كلامهم، فاجتمع مَا تخيّروا من تِلْكَ اللغات إِلَى نَحائرهم وسَلائقهم الَّتِي طُبعوا عَلَيْهَا فصاروا بذلك أفصح العرب"، أحمد ابن فارس الصاحبي: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، القاهرة، (د.ت)، ص33 .

[2] محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان في علوم القرآن، دار الكتاب العلمية، لبنان ط1، 2002، ص24.

الأجنبية ما نتج عنه انفلات السليقية وانخلاعها من ألسنة بعض العرب، ما يدعونا إلى القول إن أسباب نشأة الدّرس اللغوي بمباحثه المختلفة كان لتحقيق هدفين رئيسيين هما[1]:

- دفع اللحن عن اللغة العربية لغة القرآن؛
- فهم القرآن ودراسة معانيه.

يقول ابن خلدون: " ... لما فسدت الملكة في لسان العرب قيدها الجهابذة التجردون لذلك بنقل صحيح ومقاييس مستنبطة صحيحة وصارت علوما يحتاج إليها الفقيه في معرفة أحكام الله تعالى"[2].

ارتبط الدّرس اللغوي عند العرب منذ نشأته ارتباطا وثيقاً بالقرآن الكريم، إذ لم تكن الجهود المبذولة فيه إلّا بدافع من خدمة القرآن والمحافظة عليه، فتجلت جهودهم في مباحث الإعجاز وما خلفه من نظرات أعلت شأن القرآن ولغته ومزاياها؛ وقواعد النحو والصرف وما تتميز به تراكيب اللغة من مكونات وقوالب أقامت اللسان على نهج يبعد اللحن عن القرآن؛ والتفسير وما أبداه من معاني للنص القرآني؛ وغير ذلك من العلوم العربية التي أقيمت حول القرآن[3].

ودافعهم بعد القرآن؛ خدمة اللغة العربية لارتباطها العضوي به، محاولة لجمعها من السنة القبائل؛ ما نتج عنه علوم اللغة العربية كالنحو والصرف والبلاغة والعروض وما ظهر بعد ذلك من مدارس نحوية وغيرها. وقد بدى الجهد المنصب لخدمتها

---

[1] ينظر: أحمد زواوي: أثر القرآن الكريم في نشأة الدرس البلاغي وتطوره، مجلة المنهل، جامعة الوادي، مج 04، ع 01، 2018، ص 155.

[2] ابن خلدون: المقدمة، ج3، ص 436.

[3] عيسى شحاته عيسى علي: الدراسات اللغوية للقرآن الكريم في أوائل القرن الثالث الهجري، دار قباء القاهرة، 2001، ص22.

واضحاً من خلال المنجزات التراثية الهائلة العامرة بها المكتبات الغربية فضلا عن المكتبات العربية؛ والشاهدة لعلماء العرب في بذل وسعهم وطاقاتهم في ذلك، فتنوعت الكتابات التي عنيت باللغة وعلومها المختلفة وأثرى نتاجهم المكتبة العربية؛ ما أسفر عن تطور تلك العلوم وتفرعها[1].

ولم يكن للعرب كثير اشتغال بالصناعة أو الطب، وإنما كان اشتغالهم بالبيان والصناعة اللغوية، لذا كانت معجزتهم القرآن الكريم، وكان حرياً بهم أن يلتفتوا إلى لغته وطريقة أسلوبه وبيانه، وإذا كان الدّرس القرآني تدور محاوره حول كل ما له علاقة بالقرآن، فمن الطبيعي أن يعتني الدّرس اللغوي بمباحث اللغة العربية، نحواً وصرفاً ومعجميةً وبلاغةً وبياناً[2].

ومع امتداد الفتوحات الإسلامية انتشرت اللغة العربية وبلغت كل موضع وطئه الفاتحون، فاعتنت تلك البلدان المفتوحة بالقرآن واللغة العربية واجتهد علماؤها في تعليمها وتدريسها والتبحر فيها، وقامت المؤسسات التعليمية بها والمساجد في أداء دورها الفاعل في كل ذلك.

ثانياً: نشأة الدّرس اللغوي بتوات وتطوره:

أما الدّرس اللغوي بتوات، فتعود نشأته إلى بدايات دخول الاسلام إلى تلك الديار واحتكاك أهلها بالمسلمين الأوائل، إذ كان لزاماً؛ والحال أن أهل توات أسلموا

[1] يراجع للاطلاع: محمد جسين ال ياسين: الدراسات اللغوية عند العربي الى نهاية القرن الثالث الهجري، د.د.ن، ط1، 1980.

[2] احمد مختار عمر: البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التاثير والتاثر، عالم الكتب، القاهؤة، ط6، 1988، ص 123 وا بعدها.

وحسن إسلامهم أن يمتلكوا الأداة التي بها يفهمون تعاليم الدين الجديد، فتلقوا العربية من التجار والمسلمين القادمين عليهم.

والجدير بالذكر، أن بدايات الدّرس اللغوي هذه كانت بسيطة بساطة المجتمع التواتي، خط فيه المعلمون الطريقة التقليدية في تقديم المواد العلمية التي كانت تقتصر عادة على الضروريات التي تفهم بها تعاليم الإسلام، لكن بعد فترة من الزمن نفض طائفة من أهل توات غبار التقليد ليندرجوا في الحركة التعليمية والمساهمة في نشر العلوم بمجتمعهم عبر التدريس والمُدَارَسة.

وكان هذا الانخراط في ركب الحركة العلمية وليد عوامل عدة؛ نذكر منها انتشار المؤسسات التعليمية عبر ربوع الإقليم التواتي، وهو ما هيأ الجو للمعلمين للتفرغ للتعليم، وللمتعلمين أيضا لما توفر لهم من جو علمي مساعد، وكذا تجاوز مرحلة التعليم الأولي إلى التبحر في شتى العلوم بفعل توفر الكتب وقدوم علماء من حواضر علمية مجاورة إلى توات وإنشاء المحاضن العلمية[1].

يُضاف إليهما الاحتكاك بالعلماء ومجالستهم والذي أظهر نبوغ بعض أولئك المتعلمين في مجالات علمية متعددة، ما أهَّلهم لعقد الحلقات والدروس، بل والتصدر في المجتمع بتولي زمام أمره بتولي المناصب العليا فيه كالإمامة والقضاء، كما كان للانفتاح على التجارب العلمية للحواضر المجاورة بفعل التجارة والرحلات والزيارات فضلٌ في إثراء الرصيد المعرفي لعلما توات، كل تلك العناصر كان لها إسهام واضح في

[1] عبد السلام الأسمر بلعالم: الحياة الفقهية في توات، خلال القرنين 10 و13هـ، رسالة دكتوراه في العلوم الإسلامية، تخصص: الفقه وأصوله، قسم الفقه وأصوله، كلية العلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر- باتنة، الجزائر، السنة الجامعية:2015-2016، ص 22.

دفع عجلة الدّرس اللغوي بل الحركة العلمية بكل مكوناتها إلى أفق أبعد وفضاء أرحب.

لقد حفلت الكتب التي تداولها علماء توات في التفسير والتجويد وعلوم القرآن بثروة علمية وفيرة وبمباحث لغوية ثرة، خصوصاً تلك التي وفدت إليهم من الاقطار الإسلامية المجاورة والتي لقيت رواجاً وشهرةً، فكان حرياً بهم العناية بالمباحث اللغوية، بل والبراعة فيها للاطلاع على ما في تلك الكتب من معلومات والاستفادة منها[1].

ان ارتبطت العلوم الاسلامية- التي لا يخلو منها مجتمع مسلم يهتم بالتعليم- بعلوم اللغة ارتباطاً وثيقاً امر ملحوظ لدى العلماء، فمباحث علم الأصول هي ترجمة للغة وقواعدها من جهة دلالة الألفاظ وعلم التفسير وهو سبر لمعاني الكلمات من حيث ارتباطُها وتسلسلُها في القرآن الكريم، ولذلك نلحظ توطد العلاقة بين علوم اللغة وعلوم القرآن رغم انفصال تلك العلوم وتمايزها عن بعضها.

لقد تميزت المدرسة التواتية بطابعها المميز في مجال الدّرس اللغوي استجابة لمعطيات المكان من جهة واستجابة للمهمة التعليمية الملقاة على عاتق علمائها من جهة أخرى، وأعني بالدّرس اللغوي كل ما يشمل علوم اللغة العربية وسنقتصر على النحو والصرف والبلاغة لأنها أجلى مظاهره، ذلك "ان علم العربية على كما قال الزمخشري يرتقي الى اثني عشر علماً، غير أن أصولها أربعة: اثنان يتعلقان بالمفردات هما اللغة والتصريف، ويليهما الثالث وهو علم النحو، ...، ثم يليهما علم المعاني"[2].

[1] يراجع الفصل الثالث من الدراسة، جول مميزات المؤلفات التي تداولها علماء توات في التفسير أو التجويد.

[2] سعد الدين التافتازاني: شروح التلخيص (والمغربي، السبكي والسعد) جمع فرج الله زكي الكردي، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر،1937م، ج1، ص51.

المطلب الثاني: محاور التأليف في الدّرس اللغوي واعلامه عند علماء توات

احتلت اللغة العربية مكانة هامة لدى علماء توات، فهي أداة معرفة وثقافة؛ وليست أداة تفاهم فحسب، لأن إهمالها يؤدي إلى جهل بالقرآن الكريم مصدر ثقافة المسلمين، كما يؤدي إلى تفكك أواصر الترابط بين أفراد المجتمع، وكان أهل توات أيضا يدركون ما للكِتَاب من أهمية في نقل ثقافة ورسالة الخلف إلى السلف، وفي دفع مسيرة الحركة العلمية إلى الأمام.

ولأن الحديث عن الدّرس اللغوي يقتضي وقوفاً على تراث متراكم لقرون عَنيَ بلغة كسبت أهميتها من القرآن الكريم، سنحاول الاقتصار ما أمكن على ما يحصل به الاستدلال وما يحقق غرض البحث في إبراز جهود علماء توات في الدّرس اللغوي؛ من خلال وقوفنا على أهم الفنون اللغوية التي تناولوها وأهم الأعلام الذين كانت بصمتهم واضحة في مجالها.

ذلك أنه "كان حاضراً في أذهانهم أنه لا يقدم على الخوض في كتاب الله تعالى تفسيراً أو إعراباً أو بياناً للمعاني اللغوية إلَّا عالم بلغات العرب متمكن فيها، فالمفسر والفقيه والأصولي والمحدث؛ كل منهم صاحب لغة، لأن هذه العلوم تقوم على فقه العربية وتتأسس على علومها"[1].

لقد عرف الدّرس اللغوي طريقه إلى أرض توات مع دخول الإسلام إليها؛ تعليماً وتأليفاً، ووجد علماء بروا أقلامهم ووقفوا أوقاتهم لخدمته، فعَظُم في أعينهم كل ما يتعلق بالإسلام والقرآن، وصغرت في أعينهم أيضاً جهودهم التي بذلوها.

[1] عبد الله عثمان عبد الرحمن سلطان: جهود المنتجب الهمذاني اللغوية من خلال كتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، 2000، ص06.

تُعـدُّ عناصـر الـدّرس اللغـوي مـن مكمـلات الثقافـة والعلـوم الدينيـة، وهـي قواعـد أساسـية لكـل باحـث وعـالم، واللغـة والنحـو مـن المـواد الـتي تـدرس في السـنوات الأولى مـن التعلـيم، وقـد حفـظ التواتيـون مـذاهب علـم النحـو واللغـة كمـا تحفـظ مـذاهب الفقـه، ونالـت حقهـا مـن العنايـة والدراسـة، وتخصّـص فيهـا جملـة مـن العلمـاء، ألَّفـوا في ذلـك كتبـاً نحوية وصرفية وبلاغية وعروضية وغير ذلك.[1]

وكمـا كانـت عنايـة علمـا تـوات بالقـرآن وعلومـه وسـائر العلـوم الإسـلامية شـديدة؛ كانـت عنـايتهم باللغـة العربيـة بكـل علومهـا نحـواً وصـرفاً وبلاغـةً، والشـاهد في ذلـك الآثار والمخطوطـات الـتي دونوهـا، فكانـت دلـيلاً علـى اهتمـامهم بالـدّرس اللغـوي، وتعـاطيهم لكل فنونه ومباحثه.

أولاً– التأليف في النحو:

إن المتتبـع لمسـيرة النحـو والـروايات عـن نشـأته يـدرك مـدى الارتبـاط الوثيـق بينـه وبـين القـرآن، ولـو قـارنا الظـروف الـتي نشـأ فيهـا مـع ظـروف الـديار التواتيـة الـتي كـان يغلـب عليهـا اللسـان البربـري يلـتمس شـيئاً مـن أسـباب عنايـة علمـاء تـوات بالنحـو؛ باعتباره مقوم من مقومات اللسان العربي.

والمتتبـع لمسـار التـأليف في النحـو يجـد أنـه أحظـى علـوم اللغـة وأجلهـا مـن حيـث العنايـة، فكـان إقبـال العلمـاء عليـه غـير إقبـالهم علـى سـائر علـوم اللغـة، ومـا أُلِّـف فيـه

[1] ينظر: محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ص91.

كثير، ولو تتبعنا طرق التأليف السائدة عند علماء توات[1] في شتى المواضيع فيه بين نظم وحاشية وتأليف وشرح وغيرها لوجدناها عمت كل مباحث النحو.

أ- المنظومات النحوية:

شاعت بين العلماء في عصور متأخرة شكل التأليف النظمي، واعتُمدنوعاً جديداً من يعتمد عليه في التدريس، يكون بنظم المنثور أو بالنظم ابتدأ، وظهر النظم في المجال التعليمي لإثراء الحركة العلمية وعرض العلوم في قالب يسهل على المتعلمين تلقى العلوم وترسيخها؛ لما في الشعر من مقومات البقاء والاستمرارية المكتسبة من الوزن واللحن.

ومن العلوم التي تم فيها النظم كان النحو؛ فقد عرف النحو تآليف نظمية أحرزت شهرة وقبولاً لدى علماء المشرق والمعرب؛ امتد صداها عبر أجيال من المتعلمين حيث كانت البدايات الأولى للنظم النحوي في أواخر القرن الثاني الهجري، حينما ظهرت الأبيات المفردةَ المنظومةَ في مسائل نحوية، وهذه تُعدُّ إرهاصات للمنظومات الطويلة، لينفتح الباب على مصراعيه لعلماء النحو بعدا لنظم أبوابه ومباحثه ومسائله وقواعده[2].

ولم يكن علماء توات بمنأى عن الأسلوب العام الذي سارت عليه العلوم في المؤسسات التعليمية بالمغرب الاسلامي، فانتهجوا طريقة النظم لعلمهم بقدرات الدارسين من جهة ولتبسيط حفظها وفهمها، ولإدراكهم قبل ذلك القيمة والأهمية التي

[1] من الطرق المعتمدة في التأليف عند علماء توات نجد: الاختصار، الشرح، التعليق، الحاشية، النظم، التأليف. ينظر: عبد القادر بقادر: جهود علماء توات في الدرس اللغوي خلال القرنين 12 و13هـ (دراسة في الانماط والاشكال)، مجلة الاثر، ع:19، 2014، ص92-93.

[2] حسان بن عبد الله بن محمد الغنيمان: المنظومات النحوية وأثرها في تعليم النحو، كلية المعلمين، الرياض، ص 17.

يكتسيها الشعر والنظم دون غيرهما من أساليب التأليف؛ فكانت لهم في ذلك إبداعات أثبتوا من خلالها مكنتهم اللغوية وقدرتهم على تطويع ما يفد أليهم من علوم وإخضاعها لمتطلبات واقعهم.

ومن بين المنظومات النحوية التي ألفها علماء توات، نجد:

1- نظم مقدمة ابن آجروم لمحمد بن أبَّ المزّمري:

وهي أولى منظوماته النحوية الثلاث، ألّفه سنة 1120ه، ويعد ابن أبّ من علماء النحو المبرزين في توات؛ ذائع الصيت، رائق الكتابة، حظيت مولفاته بالقبول وتداولها تلاميذه بالشرح والتعليق.

يقول ابن ابّ في مطلع نظمه لمقدمة ابن آجروم؛

وبعد فالقصد بذا المنظوم تسهيل منثور ابن اجروم
لمن أراد حفظه فعسرا عليه ان يحفظ ما قد نثرا

وهو بذلك يعلن هدفه وغايته من التاليف في المبتدأ، ويتابع المولف نظمه بتقفوا أثر ابن آجروم في ترتيبه والمحافظة على كلاماته ليكون أقرب إلى منثوره.

2- منظومة:" نزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم"، لمحمد بن أبَّ المزّمري؛ ألّفها سنة 1144ه، شطَّرها وضمنها من السلاسة والاختصار ما يُمكِّن المتعلم من سهولة حفظها؛ وهذا من الأساليب التعليمية السائدة بين العلماء في حفظ المتون ثم الانكباب على استيعابها وفهم مضامينها من خلال الشروح، يقول ابن أبَّ في نظمه[1]:

كلام أهل النحو لفظ ركبا ولإفادة بوضع صُحبا
لاسمٍ وفعلٍ ثم حرفٍ قُسما بالخفض والتنوين لاسم وُسِما
وال وما بخفضه من أحرفِ من وإلى عن وعلى ربَّ وفي

[1] محمدباي بلعالم: الرحلة العلية، مرجع سابق، ج01، ص133 وما بعدها.

مذ منذ ثم اللام ثم الباءُ والكاف ثم الواو ثم التاءُ

3- كشف الغموم على مقدمة ابن آجروم لمحمد بن أبَّ المزّمري، وهي ثالثة منظوماته على مقدمة ابن آجروم، ألّفها سنة 1157هـ، وقد خالف في نظمها منظومتيه السابقتين إذ اعتمد الشعر العروضي الموحد القافية، وهذا النوع أصعب من غيره، يقول ابن أبّ[1]:

لك الحمد يا الله يا من تفضّلا ومنّ علينا بالبيـــان وأجملا
وأهدي صلاة مع كريم تحيـــة إلى من أتى بالحق للخلق مرسلا
محمد الهادي الأميـــن وء اله أصحابه والتابعين على الـــولا
وبعد فذا نظم يروق فمن يذق جناه إلى الكتب الكبار توصلا
أتى جامعاً لبّ المقدمـــة التي حوت لابن آجروم نثراً مفصلا
وسميته كشف الغمـــوم لكشفه عن المرء غم اللحن ساعة يبتلا
فدونكه فاعرف معانيـــه ولا تزل معملا للفكر فيـــه لتبتلا

وتكتسي هذه المنظومات أهمية بالغة، نظرا لارتباطها بواحدة من أمّهات المنظومات في النحو، إن لم نقل أهمها؛ لما حظيت به من قبول لدى العلماء مشرقاً ومغرباً، أبدع فيها مؤلفها ابن آجروم وابتكر وقدم مبادئ العربية بأسلوب سهل ميسر موجز مختصر، وقد أُطلق على هذا المصنف أسماء عديدة كالآجرومية ومتن الآجرومية والمقدمة الآجرومية.

4- مجموعة أشعار تتضمن ألغازاً نحوية لضيف الله بن محمد بن ابَّ المزمري:
والمؤلف هم ابن العالم محمد بن أبّ؛ تلقى عنه علوم العربية والنحو، فكان بارعا فيهما، يقول:

[1] محمدباي بلعالم: الرحلة العلية، مرجع سابق، ج01، ص149 .

جَوابُ ما سَألتَ عنهُ قرِيبٌ فِي حزبِ الأنبيَاء هدَاكَ الله

بعْد إلاّ ولفظهِ لفظُ رفعٍ ذا الجوابُ والعَجْبُ مِن مبْداهُ

في إجابة على لغز والده في بيتيه:

صَاحِ سلمْ على النحاة وسَلْهُمْ حبّذا حبّذا هُمُ إن أجابُوا

ما مُضافٌ إليه أُعْرِبَ بالرفـ ـع صريحاً وذا لَعمرِي عجابُ

5- اللؤلؤ المنظوم في نظم منثور ابن آجروم، للشيخ محمد باي بلعالم:

وهو نظم تناول فيه الشيخ رحمه الله المباحث النحوية التي بسطها نثرا الشيخ ابن آجروم، وفق الآتي[1]:

- باب الإعراب ومعرفة علاماته؛
- باب الأفعال؛
- باب مرفوعات الأسماء؛
- باب الفاعل؛
- باب النائب عن الفاعل؛
- باب المبتدأ والخبر؛
- باب نواسخ الابتداء "وهي كان وأخواتها وإن وأخواتها وظن وأخواتها"؛
- باب النعت؛
- باب العطف؛
- باب التوكيد؛
- باب البدل؛
- باب المفعول به؛

[1] ينظر: محمدباي بلعالم: اللؤلؤ المنظوم في نظم منثور ابن آجروم، ط01، دار ابن حزم ، الجزائر 2010، عدد الصفحات 53

- باب المصدر؛
- باب الظرف؛
- باب الحال؛
- باب التمييز؛
- باب الاستثناء؛
- باب لا التي لنفي الجنس؛
- باب المنادى؛
- باب المفعول من أجله؛
- باب المفعول معه؛
- باب مخفوضات الأسماء.

ويندرج كتاب اللؤلؤ المنظوم في نظم منثور ابن آجروم، ضمن نطاق كتب الشخصيات والأعلام والعلماء والفروع وثيقة الصلة، ولاسيما التراجم وعلوم التاريخ والفكر الاجتماعي.

6- نظم فتح الكريم الواجد للشيخ عبد الرحمن حفصي التيديكلتي (ت.1439هـ):

وهو من المشايخ المتأخرين الذين كان لهم أيضا إسهام في التأليف نظماً؛ جاء به نظماً لمتن الأزهرية لمؤلفها خالد بن عبد الله ابن أبي بكر الأزهري[1] الشافعي (ت.905هـ)، من علماء القرن التاسع للهجرة.

[1] هو خالد بن عبد الله بن أبي بكر بن محمد الجرجاوي الأزهري، زين الدين، ولد سنة 838هـ/ 1434م بجرجا في صعيد مصر، كان يعرف بالوقاد، أكثر ما ألّف في النحو ومما ألّف: المقدمة الأزهرية في علوم العربية، شرح الآجرومية، الألغاز النحوية وغيرها.

ويظهر في تلك المنظومات الأثر الواضح للمنظومات النحوية التي ألَّفها النحاة المتاخرون أمثال؛ ابن الحاجب في مسائل التمرين، وابن آجروم في المقدمة، الحريري في الملحة، ابن مالك في الألفية، خالد الأزهري في الأزهرية، ابن المجراد في اللامية؛

– التناص الكبير بين المنظومات النحوية التواتية؛ ويرجع ذلك لتناولها علما واحدا محدد المعالم والقواعد.

– استعمال الشواهد وأحيانا القرآنية للتدليل على بعض المسائل؛ ولا يغلب ذلك على كل المباحث تحقيقاً لغرض الاختصار والتسهيل.

– التأثر الغالب بالمنظومات والمؤلفات السابقة سواء في العناوين ودلالاتها أو التقسيمات أو الأسلوب، وحتى في الآراء[1].

– اعتماد قالب موحد من حيث العرض بمقدمة تُستهل بالحمدلة والصلاة على النبي ثم عرض الغرض المتوخى من التأليف وأحيانا ذكر المنهج والأسلوب المعالج به الموضوع ثم الفصول أو الأبواب، فالخاتمة بالحمد على تمام التأليف[2].

– سلامة اللغة من التعقيد والغموض الَّا ما كان من ضرورات شعرية اقتضاها الوزن والقافية.

– محاكاة المتون التي تمّ النظم عليها في المنهج والترتيب في الغالب[3]، إذ نجد أن أغلب المنظومات قد أُلفت على نسق متون سابقة، فكان التقيّد بما أورده المؤلف لازماً، مع الإشارة بالاستدراك والتعقيب.

---

[1] عبد الله عماري: اهتمام علماء توات بتراث ابن آجروم الصنهاجي المغربي، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مج 04، ع01، المركز الجامعي تامنغست، ماي 2015، ص49.

[2] محمد بن عبو: متنان نحويان من منطقة تديكلت؛ تعريف وموازنة، مجلة الذاكرة، مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، ع:07، 2016، ص 131.

[3] عبد الله عماري: علماء النّحوفي توات وتأثرهم بالنّحاة المتأخرين، مجلّة اللّغة العربية، مج:24، ع:1، 2022، ص879.

– التباين في المستوى اللغوي للمؤلفين بين الجزالة والفخامة والبساطة، وكذا عدد الأبيات في المنظومات؛ وهذا لا يطعن في مكانة العلماء لأنه خاضع لعوامل، كالكتابة في السفر، أو العجلة في إنهاء المولف، أو قصد التبسيط؛ لكون المؤلَّف موجها للمبتدئين وغيرها.

والمتأمل لهذا النوع من التأليف ومحتواه، يتبين له المستوى الراقي لهؤلاء العلماء في فهمهم لعلم النحو وباعهم الممتد فيه؛ فلم يكتفوا بنظم أحد مباحث علم النحو أو قواعده، بل تعدى إلى التلغيز والطرافة فيه.

ب– الشروح والمختصرات النحوية:

تمتاز المتون العلمية نثراً كانت أو نظماً بغزارة لغتها وتركيز ألفاظها واختصارها وإسهابها أخرى، إضافة إلى إيرادها الأحكام والقواعد مجردة من الأدلة والشواهد طلباً للإيجاز والاختصار؛ وهذا ما يجعل العديد من العلماء يتصدرون إلى شرحها وكشف اللبس على بعض معانيها وألفاظها، وبيان شواهد وعلل الأحكام والأمثلة التوضيحية عليها؛ بعقد الحلقات العلمية للطلبة وإقامة الدروس في الزوايا والمدارس.

وفي العادة تتعدّد الشروحات للمؤَلَّف الواحد، كل على حسب طريقته ومنهجه وما تثيره الألفاظ المكثفة والتعابير التي يقتضيها الحفاظ على الوزن من خلاف في فهم المراد منها، ولذلك أسباب تقتضي تعدّد الشروح كمستوى الطلبة وقدرة استيعابهم واختلاف أماكن الشراح وغيرها، وبالعودة إلى النظم المتقدّم (نظم ابن أبَّ لمنثور ابن آجروم)، نجد أن شروحاً عدّة أقيمت حوله؛ نذكر منها:

1– "مقدم العي المصروم على نظم ابن أبَّ لأجروم" للشيخ محمد بن بادي (ت. 1388هـ)، وهو شرح للنظم الذي ألفه ابن أبَّ لمتن ابن آجروم في النحو. وقد ابتدأه مؤلفة بمقدّمة بسط فيها سبب تاليفه وأسلوبه ومراده منه؛ يقول: " إني حملتني حمية

الـدين الـذي ذهـب علـى أن أضـع شـرحاً لمنظومـة ابـن أبّ وأن أجعلـه وسـطاً لا يمجـه المنتهـي الكامـل ولا يملـه المتوسـط الخامـل ولا ينفـك عنـه المبتـدئ الجاهـل وذلـك مـع قصور باعي وعدم اطلاعي وكثرة ارتياعي[1]".

وجـرى فيـه علـى طريقـة الشـرح المعتـادة؛ مـن ذكـر كـلام النـاظم وشـرحه بيتـا بيتـا، مـع محافظتـه علـى الفـاظ النـاظم مبينـا المعـاني، مستشـهدا بالآيات والأحاديـث والشـعر، مسـتدركا أحيـانا ومعقبـا أخـرى. يقـول في شـرح مـا نظمـه ابـن أبّ مـن العلامـات الـتي يعرف بها الاسم:

وبحروف الجر وهي من إلى وعن وفي ورب والبا وعلى

والكـاف والام وواو والتا ومـــذ ومنـــذ ولعل حتى

" وتأتي – في – للسـببية؛ كقولـه صـلى الله عليـه وسـلم: " دخلـت امـراة النـار في هـرة حبسـتها..."[2]، وكقولـه تعـالى: ﴿ **لَمَسَّـكُمْ فِي مَـا أَفَضْـتُمْ فِيـهِ عَـذَابٌ عَظِـيمٌ** ﴾؛ أي بسـبب، وتاتي بمعـن علـى كقولـه تعـالى ﴿ **وَلَأُصَـلِّبَنَّكُمْ فِي جُـذُوعِ النَّخْـلِ**. ﴾؛ أي على جزوع النخل، وكقول الشاعر:

يـطل كـان ثيابه في سرحة يحذي نعال السبت ليس بتوأم "[3].

2- "الـدر المنظـوم في شـرح نظـم مقدمـة ابـن آجـرم"، للشـيخ مـولاي أحمـد الطـاهر الإدريسـي(ت.1399هـ)، وهـو شـرح علـى نظـم ابـن أبَّ المزّمـري علـى مقدّمـة ابـن آجـروم، انـتهج فيـه الشـارح طريقـة هـي أقـرب إلى البحـوث العلميـة الأكاديميـة اليـوم، حيـث نجده يتميز بما يأتي:

---

[1] الصديق حاج أحمد: مقدم العي المصروم على نظم ابن أبّ لأجروم؛ دراسة وتحقيق، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، السنة الجامعية 2004-2005، ص79.

[2] أخرجه البخاري، كتاب الشرب والمساقاة، باب: فضل سقي الماء، رقم: 2365، ج3، ص 112. وأخرجه مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم تعذيب الهرة ونحوها من الحيوان الذي لا يؤذي، رقم 2619، ج4، ص2023.

[3] الصديق حاج احمد: المرجع نفسه، ص93.

– لم يعتمد طريقة عرض البيت أو البيتين وشرحهما، وإنما تتبع النظم كلمة كلمة من أوله على ترتيب الناظم وتبويبه.

– وقوف الشارح على تعريف الكلمات اللغوي والاصطلاحي، مع ذكر الاختلافات الاصطلاحية بين المدارس النحوية[1].

– علَّل وجود كلمات الناظم في مواضعها تقديماً وتاخيراً، كما علَّل الحديث عن بعض المباحث قبل غيرها[2].

– الاستشهاد بالآيات والأحاديث والشعر العربي القديم.

– التعريج على الأحداث التاريخية والقصص والأخبار[3].

– احتوائه على ثروة معجمية وصرفية من خلال وقوفه على معاني الكلمات ومصادرها وأوزانها[4].

– ومما تميز به عقده مقارنة بين النظم المدروس ومنظومات أخرى، كمنظومة ابن الوردي، والملحة، والخلاصة، وهذا على امتداد الشرح.[5] وتلك المميزات تنبئ عن عالم ملم بشتى العلوم له ثقافة واسعة واطلاع رصين.

3– "الرحيق المختوم لنزهة الحلوم"، للشيخ محمد باي بلعالم(ت.1430هـ):

وهو شرح لنظم نزهة الحلوم للشيخ محمد بن أبّ المزّمري؛ قصد به واضعه الشيخ محمد باي بلعالم شرح نزهة الحلوم في نظم مقدّمة ابن آجروم، وما حمله على ذلك غيرته الدينية والأدبية؛ وانقطاع أقلام علماء توات عن شرحها مع وجودها بالخزائن العلمية بالمنطقة.

---

[1] أحمد الطاهر الإدريسي: الدر المنظوم شرح مقدمة ابن آجرم، مطبعة الواحات، غرداية، ط1، د.ت، ص 23، 220.

[2] المرجع نفسه: ص 159، 26.

[3] المرجع نفسه: ص 44، 157، 161.

[4] المرجع نفسه: ص 239، 80.

[5] المرجع نفسه.

ويندرج كتاب الرحيق المختوم لنزهة الحلوم ضمن نطاق تخصص علوم اللغة وتوثيق الصلة بالتخصّصات الأخرى، مثل الشعر، والقواعد اللغوية، والأدب، والبلاغة، والآداب العربية.

4- "كفاية المنهوم شرح على اللؤلؤ المنظوم[1]"، للشيخ محمد باي بلعالم(ت.1430هـ)، وهو كتاب تعليمي نحوي يندرج ضمن الشروح، بحيث يعالج المادة النحوية التي سبق وأن تناولها "ابن أجروم" في أجروميته[2].

5- "غاية الأمل في إعراب الجمل"، للشيخ عبد الكريم بن امحمد التواتي (ت.1042هـ)[3]،شرح على لامية ابن المجراد، وهي لامية منظومة على بحر الطويل، موضوعها إعراب الجمل، بين فيها صاحبها الشيخ محمد بن محمد بن محمد بن عمران، أبي عبد الله السلاوي الشهير بالمجرادي[4]؛ أنواع الجمل وأقسامها، وما لا محل له من الإعراب منها، وما له محل، وحروف الجر وأحوال مجروراتها، وأحوال الفاعل بعد النفي والاستفهام وغيرهما.

6- "شرح على الآجرومية"، للشيخ السعدي بن محمد الصالح بن البكري(ت.1261هـ)[5]، وهو عالم نحوي، درس على يد والده الشيخ سيدي محمد

---

[1] محمد باي بلعالم: كفاية المنهوم شرح على اللؤلؤ المنظوم، مطبعة عمار قرفي، باتنة، د.ط، د.ت، ص 03.

[2] للاستزادة ، ينظر: خير الله فاطيمة : المنهج التعليمي عند الشيخ محمد باي بلعالم من خلال نماذج من كتبه ،أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه LMD في اللغة والأدب العربي، تخصص: تعليمية اللغة العربية، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة أدرار، السنة الجامعية 2019-2020، ص ص235-237.

[3] أحمد أبّا الصافي جعفري : المخطوطات الجزائرية وأعلامها في المكتبات الإفريقية، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2015، ص 139.

[4] نحوي مغربي من أهل سلا؛ بالقرب من الرباط، ولد بها وتوفي بها، له من المؤلفات نظم الجمل، وإيضاح الأسرار والبدائع. الزركلي: الأعلام، ج7، ص 44.

[5] المرجع نفسه، ص130.

الصالح بن البكري (ت.1139ه)، شارح وناسخ؛ نسخ عديد المخطوطات سجلت المصادر والكتب من شروحه المؤلف المذكور[1].

7- "فتح الودود في شرح المقصور والممدود[2] لابن مالك"، للشيخ المختار الكبير الكنتي (ت.1226هـ)، وهو شرح وضعه الشيخ سيد المختار الكنتي الكبير على قصيدة المقصور والممدود لابن مالك.

8- "تفريج الغموم على مقدّمة ابن آجروم"، للشيخ محمّد الحسن القبلاوي(ت.1352ه). ابتدأه مؤلفه بالحمد والثناء على الله والصلاة والسلام على رسول الله على عادة التاليف في زمانه، ثم عرج على ذكر شيخه الذي كلفه وطلب منه الشرح مع تواضع العلماء المعهود في اقلة العثرة ممن وجدها في هذا المؤلف.

ويقول عن سبب تأليفه الذي ينم عن قصده وغرضه ومنهجه ويبرر أسلوبه ولغته؛ في قوله: "وبعد فقد خصّني شيخنا أستاذ الأستاذين وإنسان عين الناظرين، خلاصة الوجود، علامة الزمان، فخر العصر وعين الأوان؛ أبو محمد سيدنا محمد المختار بن سيد أحمد بن الفقيه سيد محمد بن سيد محمد العالم أمدّ االله أجله وأسبغ عليه ظله أن أكتب له تعليقاً مختصراً على مقدّمة الشيخ أبي عبد الله العالم العلامة المبارك الأستاذ الصالح سيدنا محمد بن محمد بن آجروم لبعض تلامذته ليستعينوا به على فهمها، ينتفع به المبتدئ إن شاء االله ولا يحتاج إليه المنتهي، كتبته للأطفال لا للممارسين من فحول الرجال"[3].

---

[1] رابح خدوسي وآخرون: موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، ج2، منشورات الحضارة، 2014، ص140. أحمد أبا الصافي جعفري: الحركة الأدبية في إقليم توات من القرن السابع الهجري حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري، ج 01، منشورات الحضارة، ط1، 2009، ص 42.

[2] قام بتحقيقه مأمون محمد أحمد، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1423ه/ 2002م، 716 صفحة.

[3] محمد الحسن القبلاوي: مخطوط تفريج الغموم على متن ابن آجروم، خزانة الشيخ محمد باي بلعالم، آولف، أدرار، ص2.

والمؤلف لما قصد منه الإختصار وقصد أن يكون موجّها للأطفال المتتدئين أسقط منه مؤلفه الكثير من المقومات التي تصب في منطلق الفهم المتوخى، فأكثر من الشواهد على تنوعها، كما غلب عليه الأسلوب التقريري البعيد عن الزخرفة البيانية التي لها دورها في استمالة المتلقي، عدم التدقيق في ارآء ابن آجروم[1].

9- "شرح بلوغ غاية المقدم على وقاية المتعلم من اللحن المثلم" لمحمّد بن بادي الكنتي (ت.1388هـ)، وهو شرح لمؤلفه وقاية المتعلم من اللحن المثلم. ومما تمز به شرح بلوغ الغاية على الوقاية[2]:

- استدراك الشارح على نظمه بالتعديل ما اوجد اختلافا بين بعض أبيات النظم والأبيات الواردة في الشرح.
- إسقاط بعض الأبيات وعدم ذكرها في الشرح.
- خروج المؤلف من الحديث عن النحو والشرح إلى الموعظة والدعوة والإصلاح وأحيانا إلى الفقه والتفسير.
- الاسهاب بكثرة الاستشهاد على المسالة الواحدة.
- لنقل الكثير من كتاب: حاشية الخضري على شرح ابن عقيل لمحمدالخضري.
- الخروج عن تقسيمات النظم بعدم افراد أبواب لبعض المعارف كالمنادى والمضاف، ولم يعرف الفعل.
- اعتماد المؤلف على الشواهد المنتشرة في كتب النحو وشروحها.
- حسن لغة المؤلف وبساطة شرحه وسهولته.

---

[1] عبد الله بايلك، الصديق حاج أحمد: قراءة حول مخطوط تفريج الغموم على متن ابن آجروم للشيخ محمد حسن القبلاوي، مجلة آفاق علمية، مج:13، ع:04، جامعة تامنغست، 2021 ، ص570،571.

[2] محمد المختار نعمان: قراءة في مخطوط: بلوغ غاية المقدم على وقاية المتعلم من اللحن المثلّم، للشيخ: محمد بن بادي الكنتي (1388هـ) ، مجلة آفاق علمية، مجلد:11 العدد:03، المركز الجامعي تامنغست، جويلية 2019، ص379.

– إعماله الذهن في كثير من القضايا، والتنبيه إلى بعض الفوائت، وتتميم بعض المسائل النحوية والصرفية.

10– "التحفة الوسيمة على الدُّرة اليتيمة"، للشيخ محمد باي بلعالم (ت.1430هـ)، والدرة اليتيمة هي منظومة نحوية لسعيد بن سعد بن محمد بن علي بن نبهان الحضرمي الشافعي(ت.1354هـ)، لم يبتعد فيها الشارح عن منهجه في الشرح المذكور في شرحه "الرحيق المختوم لنزهة الحلوم"[1].

11– "منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب"، للشيخ محمد باي بلعالم(ت.1430هـ)، الذي شرح فيه أرجوزة (ملحة الإعراب) للحريري، وهو مؤلف مطبوع[2].

12– "النفحة الرندية في شرح التحفة الوردية"، للشيخ ابن أبَّ المزّمري، شرح على التحفة الوردية أو منظومة ابن الوردي في النحو لصاحبها عمرَ بنِ مظفرِ بنِ عمرَ، أبي حفصٍ زينِ الدينِ ابنِ الوردي المعري الكندي (ت.749هـ)[3].

---

[1] سبق الإشارة إليه.

[2] محمد باي بلعالم: منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب، ط1،دار هومة، الجزائر، 2001. ينظر أيضا: عيسى شاغة : منحة الأتراب" للشيخ محمد باي بلعالم التواتي" قراءة في منهج الشرح، مجلة مقامات للدراسات اللسانية و الأدبية و النقدية ، مج 05، ع01، جوان 2021، ص ص 359-379.

[3] ومن أدبياته التي كنا نتلقاها في الكتاتيب لتربية الذوق الأدبي والتربية على الأخلاق؛ لاميته:

اعتزلْ ذكرَ الأغاني والغزلْ وقلِ الفصلَ وجانبْ مَنْ هزلْ
ودعِ الذكرى لأيامِ الصِّبا فلأيامِ الصِّبا نجمٌ أفلْ
إنَّ أحلى عيشةٍ قضيتُها ذهبتْ لذاتُها والإثمُ حلْ

وقد شرحها الشيخ ابن أبَّ شرحا سهلا مختصرا، حلّل فيه أبياتها بيتاً بيتاً، مضيفاً ما تدعو الحاجة إليه من مسائل نحويّة مهمّة. والتحفة الورديُّة منظومة مختصرة في النحو، تضمنت مائة وثلاثة وخمسين بيتاً.

13- "نيل المراد من لامية ابن المجراد" للشيخ ابن أبَّ المزمري(ت.1160هـ).

تُعد لامية ابن المجراد او المجرادية أو لامية الجمل لابن المجراد المغربي، من المنظومات النحوية التي عنيت بأنواع الجمل وإعرابها[1].

أما المختصرات، فهي ذلك الجهد العلمي الذي يصل به صاحبه إلى اختصار متن معين باستخلاص زبدته من غير إخلال بمحتواه، فيكتفي منه بما تحصل به الفائدة للمتعلم وبما يمكنه من الإلمام بالمادة العلمية، إلَّا أنه قد يقع المختَصِرُ في الإلغاز؛ فيحتاج اختصاره إلى شرح وبسط، وهذا ما نلاحظه كثيراً في عدة علوم كالفقه والنحو وغيرها.

14- "مختصر الدر المصون في إعراب القرآن الكريم" لعبد الرحمن بن عمر التواتي(ت.1189هـ)، وهو مختصر لكتاب الدر المصون في علم الكتاب المكنون للسمين الحلبي والذي يعد من أوائل وأفضل الكتب في إعراب القرآن الكريم.

15- " مختصر في النحو"، لعبد الرحمن بن عمر التواتي أتمه في عام 1198هـ[2].

[1] محمد عماري: الشيخ محمد بن أبّ المزمري الجزائري 1160هـ حياته وجهوده اللغوية، مرجع سابق، ص 58.

[2] محمد باي بلعالم: إرشاد الحائر إلى معرفة قبيلة فلان في جنوب الجزائر، ط1، 1433هـ، ص 79.

16- "تلخيص أبواب الألفية"، للشيخ البكري بن عبد الرحمن (ت. 1339هـ) اختصر فيه أبواب الألفية في خمسين بيتاً على عادة التسهيل للحفظ، قال في مطلعها[1]:

الحمد لله الذي قد أعربا باللفظ عن معنىً شريفاً أُغربا

وأنزل الحكمة في الإعراب على لسان العُرب والأعراب

والملاحظ قلة المختصرات في جانب النحو، ولعل ذلك يرجع إلى الالتفات أكثر إلى النظم والشرح، كما أن الاختصار أكثر ما يناسب النثر، وهو قليل في النحو مقارنة بالفقه، ضف إلى ذلك إمكانية اعتبار النظم في النحو نوعاً من الاختصار؛ لتجريده المادة العلمية من الشواهد والأدلة، "لا ما كان منها لإقامة الوزن أو مما لا يتم المعنى إلَّا به.

ج- الحواشي والتعليقات النحوية:

تساهم الحواشي في إثراء للنص الأصلي وتقديم إيضاحات له، وتكون في العادة على الشروح، يتم من خلالها " حل ما يُستغلق من الشرح، وتيسير ما يصعب فيه، واستدراك ما يفوته والتنبيه على الخطأ، والإضافة النافعة وزيادة الأمثلة والشواهد"[2] ، فهي بذلك تستمد مادتها من المتن الأصلي نظماً كان أو نثراً.

[1] عبد القادر بقادر: جهود علماء توات في الدّرس اللغوي من خلال الشروح، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية، جامعة باتنة، 2013، ص 71.

[2] عبد الله بن عويقل السلمي: المتون والشروح والحواشي والتقريرات في التأليف النحوي، مجلة الأحمدية، ع4، 1420هـ، ص249.

ويرجع أصل الحواشي إلى نظام التعليم السائد؛ المعتمد على إقراء متن معين وشرحه، "فكان المدرس يعالج المباحث التي يتضمنها المتن والشرح فاذا صادف مسالة غامضة او قصورا كتب على حاشية الكتاب ما يسد ذلك أو يسدده"[1].

وقد ساد عند علماء توات نمط التعليم باعتماد كتب أو مدونات يتم شرحها وبسطها خلال حلقات التدريس التي كانت تعقد في المدارس والمساجد والزوايا في شتى العلوم فقها ولغة ونحواً وقراناً وتفسيراً.

1- حاشية على شرح السيوطي لألفية بن مالك (البهجة المرضية)[2] ، للشيخ البكري بن عبد الرحمن (ت. 1042هـ)، وقد حاز شرح السيوطي للألفية سبقا وتقدّما لدى علماء اللغة، لما جاء فيه من اختصار غير مخل، ومن ايجاز اقتصر على القواعد المهمة، ولما امتاز به عن غيره من الفوائد والفرائد.

2- حاشية على نزهة الحلوم في نظم منثور ابن آجروم، مجهولة المؤلف، توجد في خزانة ابن الوليد، ويرجَّح أن تكون لأحد شيوخ أو علماء المنطقة، باعتبار ان مؤلف النظم وهو الشيخ بن اب من علماء المنطقة ولوجود منظومة للشيخ عبد الرحمن بن عمر في آخر المؤلف يمدح فيها النظم والناظم، وأيضا لعدم وجود نسخ أخرى على هذه الحاشية ويحتاج الأمر إلى مزيد تدقيق.

د- التآليف النحوية:

لا يخفى على متعلم ما للتأليف من اهمية في حفظ التراث ونقل المعارف بين الأجيال المتعاقبة، ولما كان الشأن ذاك؛ عني علماء العربية بالتأليف، وخلفوا كتبا ومصنفات في شتى مباحث اللغة، كانت ولا تزال محط أقلام الدارسين بالتحليل

[1] المرجع نفسه، ص 260.

[2] توجد نسخة مخطوطة منه بخزانة القاضي، وأخرى بخطّ آخر بخزانة سيدي أحمد البكري. بتمنطيط، ولاية أدرار، الجزائر.

والدراسة. إن هذا الإرث الحضاري والتراث الفكري ترجم لنا جهدا كبيرا وعمقا شديدا في الملاحظة والتقييم تمكنوا من خلاله من جمع المتناثرات واستقصاء الشواهد وتأصيل العلوم.

يقول الجاحظ مبيّنا أهمية التأليف وتدوين الملاحظات في استمرارية العلم وتوارثه بين الأجيال: "إنّ لكُلِّ شيء من العِلم، ونوع من الحكمة، وصِنف من الأدب سببًا يدعو إلى تأليف ما كان فيه مُشتّتا، ومعنى يحدو على جمع ما كان متفرّقا، ومتى أغفل حَمَلَة الأدب، وأهل المعرفة تمييز الأخبار، واستنباط الآثار، وضمّ كلّ جوهر نفيس إلى شكله، وتأليف كلّ نادِرٍ من الحكمة إلى أهلهِ، بطلت الحكمةُ، وضاع العلمُ، وأُميتَ الأدبُ، ودُرِس مستورُ كلِّ نادِرٍ، ولولا تقييدِ العُلماءِ خواطرهِم على الدّهر، ونقرهم آثار الأوائل في الصّخر، لبطل أوّل العلم، وضاع آخره"[1]. وحقيقة التأليف ذلك الجهد المدوّن في شتى المعارف الانسانية، والذي يترجم عصارة فكر وخلاصة تجربة.

وعلى ما بيّنا من أهمية التأليف وأصنافه، يمكن عد كل ما خلفه علماء توات من شروح وتعاليق وحواشي وتعليقات ومختصرات، مؤلفات تنضاف إلى رصيدهم الفكري والمعرفي الذي أثروا به الحركة العلمية بتوات وغيرها من الأقاليم المجاورة والقصيّة، معتبرين في ذلك تلك الجهود العملية التي لم يكتب لها التدوين، أو تلك التي جرت عليها عوادي الزمن فأصبحت ذكراً في سيرهم بعدما كانت كتباً بين أيديهم.

يُضاف إلى الشروح والحواشي مؤلفات أبدع فيها أصحابها وابتكروا، في علوم عدّة، وما يهمنا منها في العنصر المتحدث عنه ما يتعلق بالنحو، نذكر منها على سبيل المثال:

[1] عمر بن بحر ابو عثمان الجاحظ: رسائل الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1964م، ج2، ص383.

1- "**وقاية المتعلم من اللحن المثلم**" للشيخ محمد بن بادي الكنتي.

2- "نظم معاني الحروف السبعة" للشيخ ابن ابَّ المزمري.

3- "ألغاز نحوية" للشيخ ضيف الله بن محمد بن اب المزمري أواخر (ق. 12هـ)، وهي منظومة سلك فيها طريق والده في عرض بعض المباحث النحوية في شكل ألغاز.

4- "غاية المقدم على وقاية المتعلم من اللحن الملثم"، للشيخ محمد بن بادي (1388م) مؤلَّف نثري شرح فيه مؤلِّفه مؤلَّفه.

5- " نظم حول المواضع التي تكون فيها كان زائدة" للشيخ الحاج عبد الرحمن حفصي، بين فيه حكم كان لما تكون زائدة والشروط لزيادتها كم بين المواضع التي تأتي فيها على ذلك الحال، يقول:

فإن تزد كان فليس من عملْ لها وزيدها بشرطين اكتملْ

الَاول منهما بأن تجيئ بلفظ فعل مضي مجيئا

والثاني بين متلازمين تلازما يدوم دون مين

في تسعة من المواضع تلي .....[1]

6- " **منظومة في إعراب "الغياث الغياث"**، للشيخ محمد بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم البلبالي(ت.1375هـ) [2].

7- " منظومة نحوية"، للشيخ امحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن الحاج أحمد الجبيب (ت.1319هـ)[3].

---

[1] المنظومة بخزانة الشيخ محمد باي بلعالم بأولف، ولاية أدرار، الجزائر.

[2] عبد القادر بقادر: جهود علماء توات في الدرس اللغوي من خلال الشروح، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية، جامعة باتنة، 2013، ص 79.

[3] المرجع نفسه، ص77.

8- " منظومة أسماء الإشارة"، للشيخ البكري بن عبد الرحمن التنيلاني[1].

9- " نظم في إعراب تسبيحٍ يُتلى بعد التراويح[2]"، للشيخ محمد بن أُبَّ المزّمري.

ويظهر من خلال ما سبق اهتمام المتأخرين بالتآليف مع احتفاظهم بالمنهج المتبع في التأليف عن طريق النظم.

ثانياً- التأليف في الصرف:

أما "العلاقة بين الصرف والنحو؛ فهي كالعلاقة بين مادة البناء والبناء نفسه، ولا شك أن الهدف والمقصد الأسمى إنما هو البناء الذي يستطيع الإنسان أن يفيد منه إفادة مباشرة من إيواء ووقاية ومتعة كذلك"[3].

ولذلك، نجد لعلماء توات عناية بالصرف من خلال جهودهم التأليفية؛ فضلاً عن الجهود في التدريس. ومما وقفنا عليه من مؤلفاتهم في الصرف، نذكر منها:

1- "فتح الودود في شرح المقصور والممدود"، للشيخ المختار بن احمد الكنتي (1226هـ).

2- "منح العقال في شرح لامية الافعال"، للشيخ محمد الكنتي (ق 13هـ).

3- "روضة النسرين في مسائل التمرين" ، (أرجوزة في الصرف)، وهي نظم على الجزء المخصص لمسائل التمرين من شافية ابن الحاجب.

---

[1] المنظومة مخطوطة في خزانة العائلة البكرية بزاوية سيدي البكري.

[2] أحمد أبا الصافي جعفري: محمد بن أبَّ المزمري(1160هـ) حياته وآثاره، دار الكتاب العربي، الجزائر، ط1، 2004، ص63.

[3] شريفة شوشة: دور علم الصرف ومكانته ومعالم التكامل بينه وبين العلوم الأخرى، أعمال الملتقى الدولي الصرف العربي في الفكر اللساني الحديث، جامعة تيزي وزو، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر،2021، ص 541.

4- "شرح روضة النسرين في مسائل التمرين"، لابن أبَّ المزمري.

5- "منظومة في الصرف"، للشيخ محمد بن المختار بن أحمد الوافي الكنتي القرشي الملقب ببادي بن أحمد (ت.1388هـ) استهلها بقوله: وهي جزء من مؤلفه **زينة الفتيان** التي جمع فيها علوما عدّة:

العلم بالتصريف علم فيه عن أبنية الكَلِمِ يبحث وعن

صحتها إعلالها الاسم فعل مربع العين مثلث الفا حل[1]

6- "منظومة العلي القادر في نظم الأسماء المشتقة والمصادر"، للشيخ الحاج عبد الرحمن حفصي(ت.1438هـ)[2].

7- "نظم في الأفعال الثلاثية"، للشيخ الحاج عبد الرحمن حفصي(ت.1438هـ).

ثالثاً- التأليف في البلاغة:

إذا كان النحو يبين لنا العلاقة بين الكلمات إعراباً والصرف يدرس لنا ميزان الكلمات وبناءها؛ فإن البلاغة تبسط بين أيدينا أوضاع الكلام وأساليبه المختلفة والمعاني المتوخاة منها.

ومع أن كثيراً من الدراسات تنحو بالدّرس اللغوي إلى الجانب النحوي والصرفي، إلَّا أننا في هذه الدراسة ارتأينا أنه من الحيف فصل البلاغية عن عناصر الدّرس اللغوي عند العرب وإلاَّ متى كانت عناصر اللغة منفصلة عن بعضها؟.

[1] الصديق حاج أحمد: من أعلام التراث الكنتي المخطوط " الشيخ محمد بن بادي الكنتي، حياته وآثاره"، دار الغرب، ص74/41/34.

[2] من محتويات خزانة الشيخ الحاج عبد الرحمن حفصي، عمنات، آولف، ولاية أدرار، الجزائر.

لقد كانت نظرية النظم على يدي عبد القاهر الجرجاني حداً فاصلاً مهّد لمرحلة جديدة في الدّرس اللغوي، جعلت المستوى النحوي يرتبط بالمستوى البلاغي ويرتبط بالمستوى المعجمي والصوتي، وقطعت جدل اللفظ والمعنى، غير أن الدراسات اللغوية المتأخرة؛ وبسبب من إغراقها في الجانب التعليمي صعبت على المتعلمين إيجاد الوشائج الرابطة بين علوم اللغة، فلم يعودوا يرونها إلّا أشتاتاً لا يرتبط بعضها ببعض[1].

لقد اعتنى علماء توات بالبلاغة وقدّموها لطلبتهم في دروسهم من خلال تلك الروائع الأدبية الشعرية التي تناقلوها، فقد تلقى الشيخ بن بادي علوم المعاني والبيان والبديع عن شيخه باي بن عمر. ومن الكتب التي كانت مقررة في هذه العلوم الجوهر المكنون للأخضري، والجمان للسيوطي، والتبيان للطيبي[2].

كما طرزوا بها تآليفهم التي ما خلت من لفتات بلاغية، ونظرا لأهمية البلاغة في توضيح الأحكام والمعايير التي تحكم الأثر الأدبي، نجد ابن أب يقدم هذا الفن عرضا من خلال سياق الشرح، وقصده في ذلك تبصير المتعلمين بالأسس والأصول التي تقوم عليهما بلاغة الكلام وجودة الأسلوب، من حيث الجمال والقوة والوضوح وروعة التصوير[3].

ومن المؤلفات التي اعملت البلاغة مؤلف: "**الذخائر الكنزية في حل ألفاظ الهمزية**"، للشيخ ابن أُبَّ المزّمري، ويظهر من عنوانه عناية المؤلف بشرح معاني الكلمات

---

[1] حميد قبايلي: نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، دراسة في الأسس والمنطلقات، مجلة الأثر، العدد 29، جامعة ورقلة، ديسمبر 2017، ص ص 11-20..

[2] الصديق حاج أحمد: من أعلام التراث الكنتي المخطوط، ص44.

[3] امحمد مزايني: الذخائر الكنزية في حل ألفاظ الهمزية لمحمد بن اب المزّمري(ت.1160هـ)؛ تحقيق ودراسة، مذكرة ماجستير في الدراسات اللغوية والنحوية في العصر التركي، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، السنة الجامعية 2007-2008، ص51.

إلَّا أنه يقدم مادة ثرية وغنية يمتزج فيها النحو والصرف والبلاغة، وهذا غير مستبعد من عالم متمكن مطلع برَعَ في علوم عدة، يترجم ذلك كثرة مؤلفاته وتعدد تخصّصاتها.

ومما أشار إليه ابن ابَّ في الذخائر الكنزية من مباحث بلاغية:

- " فاستهوته في الأرض: السين والتاء هنا للطلب مجازا"[1].

- فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لاَنَتْ * صَخْرَةٌ مِنْ أَبَائِهِمْ صَمَّاءُ.

"وهذا من تشبيه المعاني بالأجرام، لأنه شبه إباءهم وتصميمهم على الكفر أولا بالصخرة الصماء، إذ لم يتأت له صلى الله عليه وسلم ما يريد منهم لمانع الإباء، كما لم يتأت لمعالج الصخرة ما يريد منها لمانع الصلابة، ثم شبه انقيادهم إلى الحق ثانيا بلين الصخرة وزوال صلابتها"[2]. والشرح عامر بالأساليب البلاغية؛ كالتنكير والحذف والاستعارة والكناية واللف والنشر والتورية.

ومن بواكير المؤلفات البلاغيةالتي عرفت لدى علماء توات مؤلف: "**مختصر تلخيص المفتاح**"، للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي[3]، وهذا تم تأليفه قبل القرن الثاني عشر للهجرة، أما في عصر الدراسة، فنجد إضافة إلى ما سبق مؤلف" **مختصر المفتاح**"، للشيخ محمد بن مالك الفلاني، الذي أتمه في عام 1209هـ.[4]

كما نجد في بعض خزائن توات مؤلفات بلاغية تصور لنا مدى اهتمامهم وعنايتهم بهذا العلم، إذ نجد على سبيل المثال لا الحصر: مخطوط شرح الجوهر المكنون

---

[1] محمد مزايني: المرجع نفسه، ص 87.

[2] المرجع نفسه، ص90.

[3] محمد بن عبد الكريم المغيلي: مصباح الأرواح، تح: رابح بونار، ص21. محمد باي بلعالم: الرحلة العلية إلى منطقة توات لذكر بعض الأعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، دار هومة، الجزائر، د.ط، د.ت، ج1، ص81.

[4] محمد باي بلعالم: إرشاد الحائر، مرجع سابق، ص 79.

إيبورك بن عبد الله بن يعقوب السملالي(ت.1058ه) بخزانة خزانة المرحوم مولاي علي بن مولاي مبارك قريشي[1]، ومخطوط شرح الجوهر المكنون للأخضري من نسخ القاضي محمد بن عبد الرحمن البلبالي بالمكتبة السابقة أيضاً، وشرح قصيدة في مسائل بلاغية لمؤلف مجهول، في خزانة سيدي عبد الرحمن بن أحمد العالم الأنصاري الزجلاوي.

وصفوة القول، فإن الدّرس اللغوي قد نال حُظوة واهتماما لدى علماء توات، فعنوا به وبمباحثة وخلفوا فيه آثارا تحكي جهودهم، وتنم عن تبحر ما ترجموه في مؤلّفات سارت على نهج التأليف المعروف في عصرهم وانطلقت من مقصد التعليم الذي انشغل به الكثير منهم فآثروا تأليف العلماء على تأليف الكتب.

لقد استحضر علماء توات تجربتهم في التدريس، فأكثروا تأليف المنظومات اللغوية لما أدركوه من قابلية تلقيها لدى المتعلم، ومن قدرتها على ترسيخ المعلومة لديه، ثم عمدوا إلى الشروح والمختصرات والحواشي والتعليقات تتميما لما أغفلته أو أبهمته المتون والنظوم.

وبين نظم ونثر في الدّرس اللغوي؛ حظي النحو بالإنتاج الأكبر عند علماء توات، ولم يكونوا بدعا في ذلك، ففي تاريخ الدّرس اللغوي كان النحو دائما هو المقدم، لأنه قانون العربية وميزانها، وبالمقابل كان التأليف في البلاغة قليلا؛ رغم ما تنبئ به مؤلفاتهم الشعرية والتفسيرية ورسائلهم ووصاياهم من تمكن شديد في علوم البلاغة وفنونها.

[1] ينظر: البوابة الجزائرية المخطوطات عبر الرابط الالكتروني: https://pam.univ-adrar.edu.dz

المبحث الثاني: الدّرس القرآني عند علماء توات بين القرنين 12 و 14 الهجريين.

كانت توات من الحواضر العلميّة البارزة على مَرّ التاريخ، ولقد بذل علماؤها جهودًا كبيرةً في الدّرس القرآني، وذلك بتعلُّم القراءات القرآنية وإقرائها، إنْ في توات أو عن طريق الرحلة والسفر لتلقِّي العلوم طلبًا للعلم في الحواضر العلمية الأخرى؛ داخل الجزائر وخارجها.

وكان لبعض علماء توات جهودٌ لا بأس بها في خدمة كتاب الله تعالى قراءة ورسمًا وضبطًا وتفسيرًا، وسنحاول في هذا المبحث الوقوف عند بعض جهود أعلام توات في القراءات القرآنية وما تعلّق بها من علوم، وأهم المؤلفات المؤلفة في هذا الفنّ في حواضر توات خلال الفترة مجال الدراسة.

المطلب الأول: التجويد والقراءات والرسم؛ أعلامها ومقرراتها.

لما كانت سنة الله في حفظ القرآن بأن يتناقله جيل عن جيل بالتواتر، وكانت المشافهة به من الوسائل المحقّقة لذلك، حرص علماء توات على تمكين وتمتين هذا التناقل، فأسّسوا المكاتب والزوايا والمدارس القرآنية، ليحصل بذلك مراد الله في حفظ قرآنه، "إذ المعول عليه في القرآن الكريم إنما هو التلقي والأخذ ثقة عن ثقة وإماماً عن إمام إلى النبي صلي الله عليه وسلم"[1].

ولذلك لم يقفوا عند تدريسه فقط، بل حسّنوه " وأعطوا الحروف حقوقها ورتبوها مراتبها وردوا الحرف من المعجم إلى مخرجه وأصله، والحقوه بنظيره وشكله

[1] محمد عبد العظيم الزرقاني: مناهل العرفان، ص227.

وأشبعوا لفظه ومكنوا النطق به على حال هيئته وبنيته من غير إسراف ولا تعفس ولا إفراط ولا تكلف"[1].

وحيث إنهم تعبّدوا الله من خلال القرآن الكريم بإقامته على هيئته، وفهم معانيه وإقامة حدوده؛ حافظوا على طريقة كتابته ورسمه، فكان من منهجهم في تعليم الصبية تعويدهم من أول ما يلتحقون بالكتّاب؛ بالطريقة الصحيحة لكتابة الأحرف والآيات، وجمعوا إلى جانب ذلك معرفة الوجوه التي تواتر بها القرآن ومذاهب القراء فيما نطقوا به؛ فكانت لهم عناية خاصة بالقراءات القرآنية، عرفوا من خلالها كيفيات أداء كلمات القرآن واختلافها بعزو الناقلة[2].

أولاً: عناية علماء توات بالرسم والتجويد والقراءات:

شكّلت دراسة القرآن وحفظه وتدريسه حيزاً كبيراً في إنتاج علماء توات ونشاطهم، لكونه كلام الله المنزل ودستور المسلمين، ولأهميته الكبرى في نشر تشريعاتهم وفي تربية النفس وتهذيبها وتقويمها وكبح جماح شهوتها، بنوا الكتاتيب وأقاموا المساجد وأنشأوا الزوايا والمدارس، بل وتسابقوا في ذلك، وفتحوها لطلبة العلم، وكعادة أهل بلاد المغرب اشتهرت عندهم قراءة نافع بن عبد الرحمن بن نعيم (ت.169هـ)[3].

وقد انتشرت قراءة الإمام نافع من رواية الإمام ورش، وأصبحت القراءة المتعارف عليها في المساجد، والتي دأب عليها الصبيان في حفظهم للقرآن، والقراء في قيامهم بالناس.

---

[1] بتصرف: عثمان بن سعيد أبي عمر الداني: التحديد في الاتقان والتجويد، تح: غانم قدوري الحمد، ط1، دار عمار، الأردن، 2000، ص68.

[2] محمد باي بلعالم: الرحلة العلية، ج01، ص348.

[3] أبو جعفر أحمد ابن الباذش: الإقناع في القراءات السبع، تح: عبد المجيد قطامش، ط01، دار الفكر، دمشق،1403هـ، ج1، ص55.

ومن العادات الحسنة التي دأب عليها التعليم في توات أن الطالب إذا أتقن فناً من الفنون العملية يُجَاز من طرف شيخه بمقتضى ذلك، وحيث أن سنة القراءة قراءة القرآن تلقيها من أفواه الرجال كانت هذه السنة سارية المفعول في المناطق التواتية ومتبعة بها[1]. فإذا ما حفظ الطالب القرآن الكريم واستظهره على شيخه، فإنه يمنحه الإجازة بالقراءة والإقراء بالأسانيد التي تلقاها عن مشايخه[2].

وفيما يلي نص الإجازة التي أجاز بها الشيخ حمزة بن الحاج أحمد القبلوي أحد تلامذته؛ يقول فيها" يقول كُويتبه[3] المذنب البائس الجاني حمزة بن الحاج أحمد الفلاني إن من مِنَنِ الله علي ومواهبه لدي أن وفقني لقراءة القرآن العظيم وحفظه وإتقانه بحمد الله بقرائتي نافع وابن كثير، وحصلت لي روايته عن عدة شيوخ، وأعلاها عن والدي رحمه الله عن والد عن الشيخ سيدي محمد بن سيدي عبد الرحمن بن عمر عن الشيخ المتبرك به الفاضل الأديب النبيل الأريب المشهور في أقطار الأرض على الطول منها والعرض السيد أحمد الحبيب السجلماسي اللمطي وعن شقيقه النبيه المشارك سيدي صالح بن محمد الغماري والد الشيخ سيدي محمد المكي السجلماسي من روايتي ورش وقالون عن نافع وروايتي البزي وقنبل عن ابن كثير وأخذاهما جميعاً عن جمع من المغاربة والمشارقة منهم العلامة شهاب الدين البناني الدمياطي.....

وقرأ قالون والأعرج والزهري عن سعيد بن المسيب وهو عن ابن عباس وأبي هريرة وهما

[1] ينظر: محمد باي بلعالم: إرشاد الحائر إلى معرفة قبيلة فلان في جنوب الجزائر، ط1، 1433هـ، ص67.

[2] صالح بوسَليم: المؤسّسات الثقافية...، مرجع سابق، ص230 وما يليها.

[3] تصغير للفظة "كاتبه"، وهذا من أخلاق التواضع التي عرف بها العلماء.

عن أبي بن كعب وهو عن سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم عن جبريل عن اللوح عن القلم عن رب العزة تبارك وتعالى والحمد لله رب العالمين"[1].

والناظر إلى هذه الإجازة بتمعن، يدرك مدى عناية علماء توات باتصال سندهم العلمي إلى معينه الأول، ولم يكن الشأن بالنسبة لروايات القرآن فحسب، وإنما كان عاما عندهم في كل العلوم؛ وفي المرويات والمسموعات وفي المؤلفات وما له صلة بالعلم النافع. وهذ الفعل يدل على "عناية التواتيين بأخذهم الإجازة من شيوخهم خارج توات، وهذا الفعل منهم يدل على الحرص على العلم وعلى الاستزادة منه، وعلى الاعتناء بالإجازة باعتبارها شهادة يتأهلون بها، ويحصل لهم شرف الاتصال بالعلماء ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام"[2].

لقد قامت بأرض توات مدارس ذاع صيتها وعلت شهرتها في مجال الإقراء على غرار مدرسة ساهل أقبلي[3]، التي أسّسها العلامة بابا سيد امحمد بن مالك (ت.1232هـ)[4]، والتي كان لعلمائها اهتمام كبير بعلم التجويد ومباحثه تأليفاً وتدريساً جعلها قبة القاصدين لنيل الإجازات فيه من كل أقاليم توات وحتى الأهقار.

واشتهرت مدرسة ساهل أقبلي ببراعتها وتقدّمها في علم التجويد والقراءات في سائر ربوع توات، فلقد كان القرآن الكريم فاتحة العلوم في كل المؤسّسات التعليمية التي

---

[1] محمد باي بلعالم: الرحلة العلية، ج1، ص 267.

[2] عبد السلام الأسمر بلعالم: الحياة الفقهية في توات، خلال القرنين 10 و13هـ، رسالة دكتوراه في العلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر –باتنة، الجزائر، 2016، ص 106.

[3] تقع مدرسة ساهل بأقبلي بمنطقة تيديكلت، والتي تعد بوابة توات على بلاد السودان الغربي، وهذا الموقع أهل مدرسة ساهل لأن تكون قطباً علمياً بامتياز، فبالإضافة إلى نبوغ علماءها في العلوم الإسلامية عموماً؛ كما هو المعهود عند كل علماء توات، وفقد كانت لهم عناية خاصة بعلم التجويد؛ وتفردوا بها عن مناطق توات عامة. ينظر: محمد باي بلعالم: الرحلة العلية، ج2، ص388 وما بعدها.

[4] وهو والد الشيخ أحمد بن بابا سيدي امحمد بن مالك، وجد الشيخ حمزة بن الحاج أحمد، يأتي ذكره ص 215.

قامت لأجل ذلك، ولا حظَّ من علوم الشريعة لمريد أو طالب إن لم يكن له حظ وافر من القرآن، وعليه نجد أن كل مشايخ توات إهتموا بالتجويد وعلوم القرآن بين مقل ومكثر منهم، ولما كان اختيار المذهب المالكي في الديار التواتية تبعته رواية ورش بفروعها وامتد تواتر القرآن بها جيلاً عن جيل[1].

وقد انتشرت قراءة الإمام نافع من رواية الإمام ورش، وأصبحت القراءة المتعارف عليها في مختلف المؤسّسات التعليمية بتوات على غرار الحواضر العلمية في الجزائر، والتي كانوا يُنشؤن عليها الصبيان في حفظهم للقرآن، والقراء في قيامهم بالناس.

ثانياً: من الأعلام الذين عُرفوا بالتجويد والقراءات خلال القرنين 12 و14هـ:

حظي حامل القرآن بمكانة بارزة بين العلماء والأقران في توات، إذ كان حمل القرآن وحفظه بالرواية المشهورة مفتاح العلم، فضلاً عن التمكّن من قراءاته المختلفة، ولما كان التجويد والقراءات من العلوم التي تُكتسب بالممارسة ويُتلقى من المهرة المجازين تلقي أداء؛ فقد حرص طلبة العلم والعلماء على العناية به، عملاً بالآيات الكثيرة الدالة على ذلك، ﴿ **ورتل القرآن ترتيلا**﴾ [سورة المزمل، الآية رقم 04]، وقوله تعالى: ﴿ **الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ**﴾[سورة البقرة، الآية رقم 121]، وقوله تعالى: ﴿ **وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً**﴾[سورة الفرقان، الآية رقم 32] ، وغيرها من الآيات ، وكما برع أهل توات في حفظ القرآن؛ فقد نبغ في قراءته وإقراءه أيضاً جملة من العلماء والقراء حفل الزمان بهم، نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

[1] محمد باي بلعالم: الرحلة العلية، مرجع سابق،ج01، ص ص292-299.

– الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنيلاني (ت.1189ه)

يقول الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنيلاني: "لما من الله تعالى عليَّ بحفظ كتابه العزيز وتحصيل ما تيسر من علومه كإعرابه وغريبه وبديعه وبيانه وكان من أجل ما ألف في هذه الفنون الكتاب المسمى بالدر المصون في علم الكتاب المكنون الذي ألفه الإمام العلامة شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف.... الشافعي الحلبي المشهور بالسمين ... لما وقفت عليه شغفت به ولم يمكنني تحصيله لكبر حجمه فاستعنت الله تعالى على اختصاره ليحصل لي الانتفاع به ولمن أراده من المسلمين واقتصرت على الفنون الثلاثة الأول لشدة الحاجة إليها وأسقطت الرابع لقلة من يتعاطاه من طلبة العصر واقتصرت أيضا في القراءات التي استوفاها فيه متواترها وشاذها على قراءة نافع التي رواها ورش وقالون عنه لأنها محفوظ غالب طلبة المغرب"[1].

– الشيخ المحفوظ بن محمد بن الحاج محمد التيماوي (من علماء القرن 12ه)

يعلمنا الشيخ المحفوظ بن محمد بن الحاج محمد التيماوي من خلال نص الإجازة التي أجازه إياها شيخه عبد الرحمن التنلاني؛ بعناية المدرسة التواتية بالإقراء على الروايات التي كانت متداولة في المنطقة وغيرها، يقول: " لقد من الله عليَّ بصحبة شيخ الإسلام وغيث الأنام ومصباح الظلام فريد عصره ووحيد دهره أبي زيد سيدي وأستاذي العلامة سيدي عبد الرحمن بن عمر التواتي وقرأت عليه كثيراً فمن ذلك رواية قالون من طريق أبي نشيط ورواية ورش من طريق الأزوق فلما كان ذات يوم طلبت منه سنده في ذلك المتصل بسيد الأولين فأعطانيه"[2].

[1] محمد باي بلعالم : الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمن التنلاني، دار هومة، 2014، ص54.

[2] المرجع نفسه، ص30.

ومما تدلنا عليه هذه الشهادة أيضاً الحرص على اتصال السند في طلب العلم، وقد حرصوا عليه وركبوا ظهور الرواحل لطلبه من الحواضر العلمية، كفاس وغيرها.

– الشيخ الحاج عبد الرحمن بن محمد التواتي التماوي (من علماء القرن 12هـ)

أورد الشيخ باي بلعالم في كتابه (الغصن الداني) أن الشيخ الحاج عبد الرحمن بن محمد التواتي التماوي من شيوخ عبد الرحمن التنيلاني، حيث يقول عنه: " كان آية في حفظ القرآن الكريم الحفظ المتقن، وكان يحفظ قراءة السبعة القراء على طريق الشاطبية، متقنا للرسم والضبط وصنعة الأداء، لا يتوقف فيها ولا يتلعثم، إلتقى به الشيخ المعرف به في بلدته بتوات فأخذ عنه مقرأ الإمام نافع على طريق الشاطبية وقرأ عليه الدرر اللوامع وصدراً من حرز الأماني وحضر إقراءه لمورد الظمئان واستفاد منه فوائد جمة"[1]. ويُستشف من هذه الترجمة جملة من المصادر في القراءات التي كانت متداولة في حواضر المنطقة؛ كالشاطبية وحرز اللأماني والدرر اللوامع.

– الشيخ عبد الرحمن بن محمد السكوتي الملايخافي (ت.1333هـ)

ولد الشيخ عبد الرحمن بن محمد السكوتي الملايخافي بساهل وتتلمذ على يد شيوخها ومنهم خاله الشيخ حمزة، عالم، فقيه، نحوي، فروضي، منطقي، عرف بنبوغه في العلوم الإسلامية والآداب والمنطق، له مؤلفات عدة منها ما دارت عليه أسنة الدهر فلم يصل إلينا، ومنها ما وصل بفضل جهود لاحقيه، له قصيدة رد بها على من أنكر التجويد وطعن في المغاربة من أجل ذلك؛ يقول فيها[2]:

فيا خرشـــــي الاصـــطفى قصر هديت إلى الرشاد عن اغتياب

[1] محمد باي بلعالم: الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمن التنلاني، دار هومة، 2014، ص25.

[2] القصيدة موجودة بخزانة الشيخ محمد باي بلعالم. محمد باي بلعالم: إرشاد الحائر إلى معرفة قبيلة فلان في جنوب الجزائر، ط1، 1433هـ، ص 45.

فإن لحـــــوم أهـــل الله سـم لأكلـــها ومجـــلبة العـذاب
وأهل الغرب قـــام الديـــن حقا بهم وحمـــوه من أهل التبـاب
وفي تفضيلـــهم قد جـــاء نصـا حديـــث مسند دون ارتيـاب
وذلك لـــن تزال من امتي أ مْـــ ـــمَة بالحـــق تقفوا للصـــواب
به مستمسكون فلـــم يضـــرهم مخالفهم إلى يـــــوم الحسـاب
فهجـــــوك بن ذا مـــا كان إلا كمثل طنـــين أجنحة الذباب
فما قسطوا ولكن أقسطـوا في الـ ـوقوف والابتداء على حسـاب
طريـــق السادة القـــراء كالهبطي إذ يرجون أضعـــاف الثـواب
فهـــم أهـــــل الإله بلا مـــراء مع الأملاك في حسن المـــآب
وسبك لا يضرهـــــم ولكـــــن يؤول عليك شـــــراً بالعتـاب
كفى جهـــلا وتوبيخـــا لمن لم يكن يدري لتجويـــد الكتاب
ورتـــل معْ لتقـــــراه على مكث دليـــــل ظاهـــر دون ارتياب
لأهل الحـــــق والانصـــاف طـراً ولم ينكـــــره إلَّا ذو حجـاب
وأهل الجهـــل فالإعـــراض عنـهم وتركهم أحـــق من الجـــواب

– الشيخ حمزة بن الحاج أحمد بن أمحمد القبلاوي الفلاني (ت.1335هـ)

ولـد حمـزة بـن الحـاج أحمـد بـن أمحمـد القـبلاوي الفـلاني بقصـر سـاهل بأقبلـي عـام 1256هـ، دخـل الكتـاب في سـن مبكـرة؛ فحفـظ القـرآن وتبحـر في علومـه، كانـت لـه ذاكـرة وقـادة مكنتـه مـن التحصـيل الجيـد والتمـير عـن أقرانـه حـتى عُـدَّ مـن أعـلام تـوات في عصـره، لـه مـن العلـم في النحـو والحـديث والعـروض واللغـة والحسـاب والفـرائض القـدر الكبـير، وبالجملـة كانـت لـه يـد طـولى في العلـوم الإسـلامية، تتلمـذ عنـه الشـيخ عبـد الـرحمن

السكوتي وآخرون، ولم تكن له عناية بالتأليف سالكاً سنه أجداده من قبل، فتفرغ للتدريس بمدرسة ساهل التي كان يؤمها الطلبة من كل الجهات[1].

– الشيخ أحمد بن محمد بن عبد القادر الفلاني (ت.1374ه)

ولد الشيخ أحمد بن محمد بن عبد القادر الفلاني بساهل مقر المدرسة، تتلمذ على يد الشيخ حمزة بن الحاج أحمد الفلاني والشيخ عبد الرحمن السكوتي وغيرهما، كان فقيهاً عالماً جليلاً، كان يجيد حفظ القرآن وله معرفة واسعة بالروايات وفن التجويد والأداء، سافر من مسقط رأسه إلى الأهقار ليؤسّس بها عملاً علميا أفادت منه المنطقة[2].

– الشيخ مولاي أحمد الطاهر بن عبد المعطي بن أحمد الحسني الادريسي السباعي(ت.1399ه)

هو الشيخ العالم العلامة مولاي أحمد المعروف بالطاهر بن عبد المعطي السباعي الإدريسي الحسني.ولد في قبيلة أولاد أبي السباع خلال عام 1328هـ.نشأ بمسقط رأسه وحفظ فيها القرآن الكريم على يد أخيه مولاي عبد الله وأجاد حفظه وأتقن جملة من فنون العلم وهو دون الرابعة عشر من عمره، بعدها غادر مسقط رأسه إلى شنقيط ليعلم بها خلال عام 1350ه, كما استقر به المقام بشنقيط لمدة سنين فتأهل فيها وعلم فيها وأفاد وتعلم منه العديد منهم، بعدها غادر شنقيط خلال عام 1358ه إلى أرض مالي ثم تمبكتو التي أقام فيها مدة يسيرة وذلك خلال عام 1363ه، ثم غادرها إلى أرض توات؛ فأقام أياما في قصر تاوريرت في شهر ربيع

[1] محفوظ بوكراع: الفرقد النائر، ص253 وما بعدها. محمد باي بلعالم: الرحلة العلية،ج02، ص144. رابح خدوسي وآخرون: موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، ص407.

[2] محفوظ بوكراع: المرجع السابق، ص251. محمد باي بلعالم، الرحلة العلية، ج02، ص144.

الأول سنة 1363هـ،ليستقر به المقام في سالي (من قصور توات) في تلك السنة، وبدأ يعلم بها بجد واجتهاد،حيث أسّس مدرسته الدينية الطاهرية التي نسبت إلى اسمه (الطاهر) بسالي في نفس السنة[1].

يذكر عنه أنه غادر أرض توات متوجّها لحج بيت الله الحرام مع بعض تلامذته، ثم بعدها انتقل إلى المغرب الأقصى ليواصل مسيرته التعليمية هناك سنة 1377هـ؛ أين عيّن مدرسا في مدرسة ابن يوسف بمراكش سنة 1379هـ، ثم عاد إلى مدرسته الطاهرية بسالي سنة1391هـ بنية الإقامة والتدريس، لكن شاء الله أن لا تطول مدته أكثر من شهرين. ليعود بعدها إلى المغرب فور ما نعي له أخوه وشيخه مولاي عبد الله في تلك السنة نفسها، فواصل فيها مسيرة التدريس ورسالته التعليمية، وأخيرا عاد إلى الجزائر ثم إلى توات بنية التفقّد والزيارة، فطاف في قصورها ومشاهدها وامتدت زيارته إلى تمنراست وإيليزي وورقلة وغرداية، ثم إلى بشار فوهران، وكان خلال هذه الرحلة- رحمه الله- يلقي الدروس في المساجد والبيوت ويفتي للناس في أمور دينهم ويحل لهم مشاكلهم، وذلك خلال سنة 1394هـ. توفي رحمه الله بعد عودته للمغرب يوم 18 ذي القعدة 1399هـ .

يقول عنه إبنه الشيخ مولاي عبد الله، ما نصّه:"كانت له يد ومقام جليل بين العلماء ببراعته في شتى العلوم، فكان نحوياً بليغاً، منطقياً، أصولياً، مفسراً، محدثاً، حسابياً، فرضياً، فقيهاً، ذا علم بالقراءات"[2]. وله مؤلفات عديدة، في مختلف العلوم المفيدة، نذكر منها:

[1] محمد باي بلعالم: الرحلة العلية،ج01، ص393-404.

[2] ينظر: أحمد الطاهري الإدريسي الحسني: فتوحات الإله المالك على النظم المسمى بأسهل المسالك، المطبعة العلاوية، مستغانم، 1994،ص07.

- فتوحات الإله المالك على نظم أسهل المسالك في فقه الإمام مالك
- العقد الجوهري على منظومة العبقري في أحكام السهو في الصلاة
- الدر المنظوم على مقدمة ابن جروم في النحو
- عقد الجواهر ألآلئ على منظومة أبي العباس أحمد الهلالي
- نسيم النفحات من أخبار توات ومن بها من العلماء الثقات

وله رسائل عديدة متنوعة، نذكر منها:

- رفع الحرج والملام، في أكل المال المشكوك بالحرام
- النحلة والتحلية في ما قيل في اللحية
- رسالة في الرد على ابن الهادي سماها (مورد الظمآن الصادي في الرد على ابن الهادي)
- رسالة في طرق حديث عبد الرزاق الصنعاني
- وله فتاوى عديدة في نوازل سديدة وهي مجموعة تحت هذا العنوان المذكور وهي بأيدي الطلبة ولم تطبع بعد إلى يومنا هذا
- كما له نصائح وكتابات عديدة، كلها تحمل علما وافرا، وتربية كبيرة، وخيرا كثيرا، كما أن كلامه كله بدون مبالغة مفيد نطقا وكتابة.

- **الشيخ محمد باي بلعالم (ت.1430هـ)**

ورد في ترجمة الشيخ محمد باي بلعالم أنه درس بالمدرسة الطاهرية التي أسّسها الشيخ مولاي أحمد الطاهري الحسني الإدريسي السباعي (ت.1399هـ) ، درس بها ما يربوا على السبع سنوات، تلقى خلالها جملة من العلوم، وقد أبان عن همة وعلو

كعب في التحصيل حاز به إجازة عامة من شيخه مولاي أحمد الطاهري رحمه الله وأعلى مقامه في الصالحين[1].

لقد نأت زوايا توات بنفسها أن تكون فقط منازل للسالكين وابن السبيل فاختطت لها خطة تزاوج بين الهدف الاجتماعي والهدف التعليمي، "لهذا حرصت كل زاوية على تأسيس مدرستها العلمية والقرآنية، فإن أعجزها الظرف على الإنفاق بالنسبة للأولى، فإن الثانية كانت في ازدهار كبير، ومن ثمة نشطت حركة حفظ القرآن الكريم والتفقّه في قراءاته"[2].

ويعود الفضل في انتشار علم التجويد والقراءات إلى وجود القُراء المَهَرَةُ الحُزَّاق المجازين عن شيوخهم، المتصل سندهم بالقراءة إلى منابعها الأولى، وكذا اهتمام العلماء وشيوخ الزوايا بتقرير القراءات في البرامج التدريسية المقدّمة للطلبة.

ثالثاً: المقرّرات الدراسية (الكتب المعتمدة في القراءات والتجويد):

بالرغم من عناية علماء توات بالتجويد والقراءات في الفترة ما بين القرنين الثاني عشر والربع الهجريين، إلّا أن خزائن الكتب والمخطوطات بالمنطقة لم تسعفنا بالكثير من مصنّفات علماء ومشايخ توات، كالشروح والمتون التي نظموها في شتى العلوم الدينية. وأما عن الكتب التي كانت تعتمد في مقرراتهم الدراسية بالمؤسّسات التعليمية من زوايا ومدارس دينية؛ فنذكر على سبيل المثال:

[1] ينظر: أحمد الطاهري الإدريسي الحسني: فتوحات الإله المالك على النظم المسمى بأسهل المسالك، المطبعة العلاوية، مستغانم، 1994، ص07.

[2] صالح بوسَليم: مؤسّسة الزوايا بإقليم توات...، مرجع سابق، ص114.

1- مَتْنُ الدُّرَرِ اللَّوَامِع في أَصْلِ مَقْرَإِ الإمَام نافع لابن بري[1]:

يقول المارغيني بعد أن بَيّن مكانة علمي التجويد والقراءات ومكانة قراءة نافع بين القراءات؛ يقول: " ومن أجلِّ ما ألّف فيها من المختصرات، التي أغنت عن كثير من المطولات، أرجوزة الإمام الفاضل، العامل الكامل ، القارئ المحقّق والمقرئ المدقّق، ذي العلوم الرائقة والمصنّفات الفائقة، أبي الحسن علي بن محمد بن الحسين الرباطي المشهور بابن بري وهي المسماة بالدّرر اللّوامع، في أصل مقرأ الإمام نافع، فقد ضمّنها قراءة نافع من روايتي قالون وورش، وبيّن الخلاف بينهما في الأصول والفرش، وأورد فيها ما أمكنه من الحجج والتوجيهات، مع الاختصار وقلّة التعقيد في العبارات، ولذلك اعتنى كثير من الناس بحفظها، واشتغلوا بقراءتها وفهم لفظها"[2].

ويكفينا من الدلالة على مكانتها ما نالته من حظوة بين الدارسين، قد لا نبالغ إن قلنا إنها فاقت أو كادت تفوق الشاطبية ومورد الظمآن، فكثر بذلك نقادها وشراحها والمقيّدون عليها والمستدركون لفائتها، وقد أشاد بمكانتها تلك كثير من العلماء أثنوا عليها وعلى مؤلفها وعلى محتواها.[3]

---

[1] هو أبو الحسن علي بن محمد بن علي بن الحسين التازي الرباطي المشهور بابن بري التازي (ت. 731هـ)، أخذ تعليمه الأولي على يد والده الذي كان من أهل العلم في بلده، استقر بتازة التي كانت مركزاً حضارياً وعلمياً هاماً بفضل ما أولاه المرينيون من عناية بها، اختلط بعلماء القراءات في عصره وأخذ عنهم، فأمكنه هذا الاحتكاك بهم من معرفة أصول القراءات وطرق تدريسها، وجمع إلى جانب تبحره في علوم القرآن والقراءات؛ الفقه والأدب والحديث ومباحث اللغة، فخلَّف آثاراً علمية ذات قيمة منها الدُّرر اللَّوامع موضوع حديثنا. ينظر: سعيد اعراب: القراء والقراءات بالمغرب: دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1990، ص22.

[2] إبراهيم المارغيني: النجوم الطوالع على الدرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1995، ص04.

[3] ينظر: محمد بن عبد المالك المنتوري القيسي: شرح الدرر اللوامع في أصل مقرأ الامام نافع، تح: الصديقي سيدي فوزي، د.د.ن، ط1، 2001، 27 وما بعدها. سعيد اعراب: القراء والقراءات بالمغرب: دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1990، ص28 وما بعدها..

تقع منظومة ابن بري في مئتين وثلاثة وسبعون بيتاً، بدأها بمقدمة ثم عرج إلى موضوعها قائلاً[1]:

وبَعدُ فاعْلم أن علم القرءان	أجمل مَا به تحلّى الانسان
وخَيـــرُ ما علّمه وعلَّمـــــه	واسْتعمل الفكر له وفهَّمه
وجاء فى الحديث أن المهرة	فى علمه مع الكرام السفرة
وجاء عن نبيّنـــــا الأوّاه	حملـــــة القرءان أهل الله
لأنـــــه كلامـــــه المرفع	و جـــــاء فيه شافع مشفّع
و قد أتت فى فضله آثار	ليست تفـــي بحمله أسفار
فلنكـتفي منها بما ذكرنا	ولنصرف القـــول لما قَصدنا
من نظم مقرإ الإمام الخاشع	أبـــي رؤيـــم المدنـي نافع

– عناية علماء توات بتدريس نظم ابن بري:

أولى علماء توات عناية كبيرة بنظم ابن بري، فالنظم طارت شهرته في كل ربوع بلاد المغرب بله توات، وتلقته الحواضر العلمية بالقبول فكان من أهم المتون العلمية التي تدرس في أهم المراكز العلمية، فممن كان يدرسها بتوات الشيخ أحمد بن محمد أول المعروف بالرقاد؛ كان يقرئ في علم التجويد الجزرية وابن بري[2].

وكان أيضاً الشيخ عبد الرحمن بن بعمر التنيلاني (ت.1189هـ) يدرس مقرأ الإمام نافع من طريق درر ابن بري، ولعله أخذها عن شيخه الشيخ صالح بن محمد الغماري اللمطي[3].والتي يكون أخذها عنه عبد الرحمن بن محمد التواتي[4].

---

[1] إبراهيم المارغيني: المرجع السابق، ص8-10.

[2] محفوظ بوكراع: مرجع سابق، ص 326.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص 181.

[4] محمد باي بلعالم: الجذور التاريخية لرواية ورش في بلاد المغرب الجزائر نموذجا، مجلة رسالة المسجد، س5، ع1، 2007، ص 29 وما بعدها.

وممن كان لهم وقوف على نظم الدرر شيخنا الحاج عبد الرحمن بن محمد التواتي التماوي الذي أخذ عنه الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنيلاني(ت.1189هـ) مقرأ الإمام نافع على طريق الشاطبية، وقرأ عليه الدّرر اللوامع وصدراً من حرز الأماني وحضر مجلس إقراءه لمورد الظمئان[1].

وممن جاء في ترجمتهم ذكر أخذهم لمتن ابن بري عن شيوخهم، الشيخ عبد الله بن عبد الكبير المطارفي (ت.1369هـ)، الذي اشتهر بفطنته وذكاءه، وتفوقه في علوم شتى[2].

2- متن مورد الظمآن في رسم القرآن لمحمد بن محمد الشريشي الخراز[3]:

لما فتح الله على الخراز، وكانت له مُكْنَة وملكة في الشعر والنثر، ولأنه كان يُعلِّم الصبيان؛ تهيّأ له أن يستفيد من تجربته في الإقراء، ولاحظ ما يحتاجه طالب العلم وكيف يحصل له التمكن؛ فاهتدى إلى نظم أرجوزتة مورد الظمآن في رسم أحرف القرآن، وهي أحد مؤلفاته التي ألفها حول القرآن وعلومه من قراءات ورسم، فقد نظم عمدة البيان وهي في الرسم، وألف شرحاً على الدّرر اللّوامع في أصل مقرأ الإمام نافع لابن برّي، وألف أيضاً شرحاً على القصيدة الحصرية لعلي بن عبد الغني أبو الحسن الحصري، وعلى قصيدة الشاطبي عقيلة أتراب القصائد[4].

يقول الخراز في مطلع نظمه المطول الذي ضمّنه 608 أبيات:

الحمدُ لله العظيمـــــِ الْمِنَنِ ومرسلِ الرُّسْلِ بأهدى سَنَنِ

---

[1] محمد باي بلعالم: الغصن الداني...، ص25.

[2] محفوظ بن ساعد بوكراع: مرجع سابق، ص435.

[3] المرجع نفسه، ص435.

[4] ينظر: محمد احمد ابو زيتحار: لطائف البيان في رسم القرآن شرح مورد الظمآن، مطبعة محمد على صبح وأولاده، مصر، ط2، ص04.

ليُبْلغُوا الدَّعـــــوة للعباد ويُوضِحـــوا مَهايِع الإرشادِ
وختم الدَّعـــــوةَ والنُّبوءَهْ بخير مُرسَـــــلٍ إلى البريه
محمدٍ ذِي الشَّرف الأَثيـــل صلَّى عليـــهِ اللهُ مِن رسولِ
وآله وصحبهِ الأعـــــلامِ ما انْصَدَع الفجرُ عنِ الإظلاَمِ
وبعدُ فاعلم أن أصل الرَّسْمِ ثَبتَ عن ذَوي النُّهى والعلمِ
جَمَعه في الصُّحف الصِّدِّيقُ كما أشـــار عُمَرُ الفاروقُ
وذاك حين قَتَلـــوا مُسَيلِمهْ وانْقَلَبتْ جيوشـــه مُنهَزِمه

ذاعـت أرجـوزة مـورد الظمـآن وطـارت شـهرتها شـرقاً وغـرباً، وزاحمـت أمهـات المؤلفـات الـتي كـان النـاس يتـداولونها في تعلـيم القـراءات ويعولـون عليهـا في تعلـيم الصـبيان والولـدان، يقـول ابـن خلـدون عنهـا في مقدّمتـه: " نظـم الخـراز مـن المتـأخرين بالمغـرب ...أرجـوزة زاد فيهـا علـى المقنـع خلافـاً كثـيراً وعـزاه لناقليـه، واشـتهرت بالمغـرب، واقتصـر النـاس علـى حفظهـا وهجـروا بهـا كتـب أبي داوود وأبي عمـرو والشـاطبي في الرسـم"[1]. ولمـا كانت بهذه المكانة حظيت بعديد التآليف والشروح.

– مكانة مورد الظمآن عند علماء توات:

لقـد كـان مـن ثمـرة شـهرة أرجـوزة مـورد الظمـآن أن انتشـرت عنـد العلمـاء في عمـوم المغـرب، ولمـا كانـت لعلمـاء تـوات رحـلات لطلـب العلـم عـبر تلـك الحواضـر مثـل فـاس وتلمسـات والقـرويين كـان لهـم اطـلاع علـى تلـك الأرجـوزة ومـا أُلـف حولهـا، حـتى أن كثـيراً منهم أجيز فيها وكانت له مصدراً من مصادر العلم والتدريس بعد ذلك.

كتـب الشـيخ عبـد الـرحمن بـن عمـر التـنلاني– وكـان مـن الـذين رحلـوا إلى فـاس لتحصيل العلم– وذكـر مـا أُجيـز فيـه مـن كتـب مـن لـدن شـيخه سـيدي محمـد بـن علـي بـن

[1] ابن خلدون: المقدمة، تح: عبد الله الدرويش، دار البلخي، دمشق، ط1، ج2، ص174.

محمد بن إبراهيم الدرعي ذكر فيها إجازته في كتب عدّة جمعت علوماً شتى منها كتاب مورد الظمآن[1].

ولم تكن علاقتهم مع مورد الظمآن من خلال الإجازات فقط، فهذا الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنلاني كان يعقد حلقات تدريسية متخصّصة يقرئ فيها كتباً في القراءات منها مورد الظمآن[2].

3- مَتْنُ الشاطِبِيةِ المعروف بـ "حِرْز الْأَمَانِي وَوَجْه التَّهانِي" في القراءات السبع للإمام الشاطبي[3]:

يُعدّ متن الشاطبية من أوائل القصائد التي نظمت في علم القراءات إن لم تكن أولها على الإطلاق، والتي استبطنها معاني كتاب التيسير لأبي عمرو الداني (ت.444هـ)[4]، كما تعرف باللامة والشاطبية الكبرى[5]، أبياتها ألف ومئة وثلاثة وسبعون بيتاً، ابتدأ كتابتها ببلده شاطبة، وأكملها بمصر بعد رحيله إليها، وتعتبر من أحسن المؤلفات المنظومة في علم القراءات على كثرتها، حيث جمعت القراءات السبع وهي قراءة كل من: نافع وابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي.

---

[1] ينظر: محمد باي بلعالم: الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمن التنلاني، مطبعة دار هومه، 2004، ص39.

[2] عبد الرحمن التنيلاني: الفهرس، ص4 وص27 و.ظ.

[3] هو القاسم بن فيرة بن خلف بن أحمد الرعيني الأندلسي الشاطبي، نسبة إلى شاطبة بشرق الأندلس، ولد بها أواخر سنة 538هـ، تعلق بالعلم منذ نعومة أظفاره وجَدَّ في طلبه من أفواه علماء شاطبة، فتتبع علمائها ومقرئيها ومحدثيها حتى أجرز منهم العلم الغزير، قرأ القراءات وأتقنها، تفنن في قراءة القرآن والقراءات وهو حَدَثٌ، وقرأ عليه الناس في بلده. ينظر: الذهبي؛ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز: سير أعلام النبلاء، دار الحديث القاهرة، 2006، ج 15، ص 401-403. ابراهيم محمد الجرمي: الإمام الشاطبي سيد القراء، دار القلم دمشق، ط1،2000، ص18 وما بعدها.

[4] ينظر: محمد بن عبد المالك المنتوري القيسي: شرح الدرر اللوامع في أصل مقرأ الامام نافع، تح: الصديقي سيدي فوزي، د.د.ن، ط1، 2001، ص09.

[5] في مقابل الشاطبية الصغرى، وهي منظومته: عقلية أتراب القصائد في أسنى القصائد.

قال الذهبي يصف مبلغ شهرتها: " ولقد سارت الركبان بقصيدته حرز الأماني وعقيلة أتراب القصائد اللتين في القراءات والرسم، وحفظهما خلق لا يحصون، وخضع لها فحول الشعراء، وكبار البلغاء، وحُذاق القراء، فلقد أبدع و أوجز وسهَّل الصعب؛ وأخلص النية"[1].

ولا تأتي أهمية الشاطبية من كونها إحدى أهم وأشهر مصادر علم القراءات؛ بل أيضا من جهة كونها " من عيون الشعر بما اشتملت عليه من عذوبة الألفاظ ورصانة الأسلوب وجودة السبك وحسن الديباجة وجمال المطلع والمقطع وروعة المعنى وسمو التوجيه وبديع الحكم وحسن الإرشاد"[2].

– مكانة الشاطبية عند علماء توات:

بعد أن استقر الشاطبي بمصر تصدر للإقراء بها مواصلاً حضوره العلمي الذي كان له في بلده، وطارت شهرته في ذلك، وما إن أتم منظومته حتى بدأ يقرئ بها، فتناقلها طلبة العلم وانتشرت في ربوع كثيرة، ومما ساهم في انتشارها وقوع مصر في طريق الحج، فبلغت إلى المراكز العلمية المعروفة بالمغرب على غرار بجاية وفاس والجزائر وتلمسان وتوات، وصارت العمدة في ضبط القراءات السبع بها.

وممن درسوها بتوات عبد الرحمن بن محمد التواتي التماوي، ذكر ذلك الشيخ باي بلعالم حين ذكره لشيوخ عبد الرحمن بن عمر التنلاني؛ قال:" فأخذ عنه مقرأ

[1] الإمام الذهبي: معرفة القراء الكبار على الطبقات والاعصار، تح: طيار آلتي قولاج، إستانبول، 1995، ص1112.

[2] فتحي بودفلة و قواسم أحمد: مظاهر توحيد مقررات علم القراءات في التراث العلمي الجزائري من القرن السادس الهجري إلى غاية الاستقلال، مجلة رسالة المسجد، س04، ع04، 2016، ص94.

الإمام نافع على طريق الشاطبية وقرأ عليه الدرر اللوامع وصدراً من حرز الأماني، وحضر إقراءه لمورد الظمئان واستفاد منه فوائد جمة"[1].

والشيخ عبد الرحيم بن محمد التيماوي (ق12هـ) كان من حفاظ القراءات السبع مع تمكّنه من قراءة نافع من طريق الشاطبية، وكان يقرئ من كتاب حرز الأماني[2]. وقد ترجم له أحد الباحثون بقوله: "فقيه لغوي، حفظ القرآن الكريم بالقراءات السبع وحفظ تحفة الحكام في فترة قصيرة ... رحل إلى فاس وهو صبي ولازم حفظ القرآن ...توجه للحج ولقي بالقاهرة الإمام المقري المسن سيدي أحمد البقري أخذ عنه السبع على طريق الشاطبية، بعدها رجع إلى فاس ومنها إلى بلاده"[3].

4- المقدمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه لابن الجزري:

- تعريف موجز بابن الجزري:

هو محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري ويكنى أبو الخير المتوفى سنة 833هـ، ولد بدمشق ونشأ بها، أخذ عن أبيه وغيره وسمع القراءات الإثنتي عشرة، وتصدر للتدريس، أفرد القراءات على الشيخ أبي محمد عبد الوهاب بن السلار وغيره من قراء زمانه، جلس للإقراء بالمسجد الأموي، وتولى المشيخة الكبرى للقراء خلفاً لشيخه السلار، ألف في التفسير والحديث والفقه والعربية ونَظَم كثيراً من العلوم، نظم غاية المهرة في الزيادة على العشرة، ونظم طيبة النشر في القراءات العشر،

---

[1] محمد باي بلعالم، الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمن التنلاني، ص25.

[2] عبد الرحمن الجوزي: ذاكرة الماضي، ص75. الدرة الفاخرة، نسخة خزانة الشيخ محمد باي بلعالم: 05 ظ. عبد الرحمن التنيلاني: الفهرس، ص4 و ص27 و.ظ.

[3] رابح خدوسي وآخرون: موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، ج1، ص606.

والجوهرة، والمقدمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه، وغيرها كثير.[1] يقول في المقدمة:

يَقُولُ رَاجِي عَفْوِ رَبٍّ سَامِعِ مُحَمَّدُ بْنُ الْجَزَرِيّ الشَّافِعِي
الْحَمْدُ لِلَّهِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِيِّهِ وَمُصْطَفَاه
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِه وَمُقْرِئِ الْقُرْآنِ مَعْ مُحِبِّه
وَبَعْدُ إِنَّ هَذِهِ مُقَدِّمَه فيماَ عَلَى قَارِئِهِ أَنْ يَعْلَمه
إِذْ وَاجِبٌ عَلَيْهِمُ مُحَتّمُ قَبْلَ الشُرُوعِ أَوَّلاً أَنْ يَعْلَمُوا
مَخَارِجَ الْحُرُوفِ وَالصِّفَاتِ لِيَلْفِظُوا بِأَفْصَحِ اللُغَاتِ
مُحَرِرِي التَّجْوِيدِ وَالمِوَاقِف وَما الَّذِي رُسِّمَ في المصاَحِفِ
مِنْ كُلِّ مَقْطُوعٍ وَمَوْصُولٍ بِهَا وَ تَاءِ أُنْثَى لَمْ تَكُنْ تُكْتَبْ بِ :هَا

ولما كان اهتمام علماء توات بالجانب التعليمي شديداً؛ كان أخذهم لطريق النظم التعليمي واحداً من أهم الوسائل التي اتبعوها لذلك، نظراً للقبول الذي يلقاه النظم والسهولة التي يحظى بها لدى الطلاب، ولذلك نجد سيطرة المنظومات على ما ساد عند علماء توات في درس القراءات، وربما كان ذلك في شتى العلوم.

المطلب الثاني: التفسير وعلوم القرآن:

يعتبر علم التفسير من أهم العلوم وأحظاها بالتقديم، وذلك لارتباطه الوثيق بالقرآن الكريم، وتأتي بعده سائر العلوم الإسلامية؛ لأنها خادمة له؛ فعلم الفقه للوقوف على أحكامه وتشريعاته، وعلم النحو والصرف لضبط رسمه ومعرفة معانيه، وعلم البلاغة لكشف بلاغته وأسلوبه واعجازه، وهكذا سائر العلوم الإسلامية.

[1] ينظر: محمد ابن الجزري: المقدمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه: تح: أيمن رشدي سويد، دار نور المكتبات، السعودية، ط4، 2006، المقدمة. الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ج2، 2006، ص217 وما بعدها. خير الدين الزركلي: الأعلام، ج7، ص45.

ويُعرّف التفسير في اللغة على أنه الإبانة وكشف المغطى، أو كشف المراد من اللفظ المشكَّل، على أنه من الفَسْرِ وهو البيان ومنه التفسير[1]، ومنه جاء المعنى الاصطلاحي الذي نجده يتنوع ويتعدّد عند العلماء، غير أننا نختار تعريفاً للزركشي إذ يقول إن التفسير: " علم يفهم به كتاب الله المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة ةالنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات ويحتاج لمعرفة اسباب النزول والناسخ والمنسوخ"[2].

كما عرّفه أبو حيان بقوله: "التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب وتتمات لذلك"[3]. وما اختيارنا لهذين التعريفين مع غزارة التعريفات التي أفاد بها العلماء إلّا لشمولهما الرسم وطريقة النطق والمعاني والأحكام، وأضاف الزركشي العلوم التي يحتاج إليها المفسر.

وقد خطا علم التفسير خطوات كبيرة لتظهر عناية المسلمين به؛ أو نقول إن القوم لم يشتغلو به كثيراً لكون الرسول صلى الله عليه وسلم كان المرجع لهم، ولكونهم عرباً خلصاً يدركون معانيه لنزوله بلغتهم، لكن بعد انفتاح الدولة الإسلامية ودخول العجم إلى الإسلام وظهور اللحن من الوافدين على الدولة الإسلامية كان لزاماً أن يساير التفسير هذه المرحلة؛ فاتسعت دائرته شيئاً فشيئاً واشتغل به الصحابة

[1] ينظر: جمال الدين ابن منظور: لسان العرب، ج5، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ، ص55.

[2] بدر الدين الزركشي: الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ج1، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، ط1، 1957م،ص13.

[3] أبو حيان التوحيدي، تفسير البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت، ج5 ص185.

والتابعون، فخلفوا ثروة هائلة من التفاسير التي تعج بها المكتبات على امتداد العالم الإسلامي وحتى المكتبات العالمية بلغات غير العربية.

وقد تزايدت عناية المسلمين بالقرآن وتفسيره، منذ البعثة إلى اليوم دون إدراك لغايته أو وقوف عند منتهاه، فمن مفسر لبعض سوره إلى جامع بتفسير كل سوره، ومن لغوي في اتجاه تفسيره إلى بلاغي إلى فقهي، ومن مفسر بالمأثور إلى مفسّر بالرأي إلى تفسير علمي؛ تعدّدت المناهج في استخراج معاني القرآن من عصر إلى عصر ومن مصر إلى مصر، فلا تأتي على عصر إلّا ووجدت فيه منْ همم حب الاطلاع على معاني القرآن، فهو الذي لا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد ولا يشبع منه العلماء.

وبفعل الفتوحات الإسلامية، حمل الفاتحون معهم الدين الإسلامي والعلوم الدينية والمؤلفات في شتى العلوم إلى البلاد التي فتحوها، ومع مرافقه العلماء والحفاظ للجيوش في فتوحاتهم؛ كانت اللغة العربية تحط مع الإسلام أينما حط وفي كل ربع نزل، ذلك أن القرآن واللغة العربية متلازمان لا يكونا إلّا معا ﴿ **إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ** ﴾ سورة يوسف: الآية 02، ولم يكن الفضل للفتوحات فقط في نشر الإسلام وإنما إلى جانبه رحلات التجار المسلمين، الذين كان لهم الفضل بأخلاقهم وتعاملاتهم الإسلامية أن استطاعوا إدخال الإسلام إلى عديد الربوع.

وانبرى الدعاة والعلماء في توات إلى تفقيه الناس وتعليمهم أمور الدين وتعليمهم العلوم العربية والإسلامية فكانت عنايتهم بالقرآن تفوق عنايتهم بكل العلوم الأخرى، ولا أدلّ على ذلك من المؤسّسات التعليمية التي لا تتخلف واحدة منها عن تحفيظ القرآن وتدريس أحكامه على اختلاف درجتها.

أولا: اهتمام علماء توات بالتفسير والعلوم المساعدة عليه:

لقد عني علماء الجزائر بالتفسير عنايتهم بالقرآن الكريم وعلومه، وتشهد كتب التراجم بالفضل لثلة من العلماء كان لهم قصب السبق في تفسير القرآن تدريساً او تأليفاً، وتفيد بعض المصادر أن من أقدم المؤلفات في التفسير عبر القطر الجزائر مؤلف في التفسير لعبد الرحمن بن رستم مؤسس الدولة الرستمية[1]. وتفسير لهود بن محكم الهواري[2].

وبحكم تأخر دخول الإسلام إلى الأراضي التواتية عنها عن أراضي الشمال الجزائري فإننا نجد علماء حواضر الجزائر العاصمة وبجاية وتلمسان وقسنطينة لهم سبق في مجال التفسير والعناية به.

ومع ذكر المصادر التاريخية لبواكير الاهتمام بالتفسير والتأليف فيه، إلَّا أن تعاطيه ظل يسير بخطى ضعيفة تنامت في العصور التي تلت، ورغم المحاولات الجادة التي قام بها عديد العلماء، إلا أن معالم التفسير لم تتّضح كثيراً، ولم تتجل في إسهامات علماء الجزائر، لأسباب نذكر منها[3]:

– تنامي ظاهرة التقليد والجمود الفكري والتبعية للمشرق، فكما امتدت جزور الإسلام إلى أرض المغرب؛ امتدت معه أيضا أُولى المؤلفات وأمهات الكتب التي ألفت في شتى العلوم، فاكتفى الكثير بالوقوف على هذه المؤلفات المشرقية الوافدة موفق الدارس؛ الفاك لبعض رموزها الشارح لغامضها والحافظ لما فيها أحيانا أخرى.

[1] بابا عمي موسى وآخرون: معجم أعلام الإباضية (قسم المغرب)، منشورات جمعية التراث، المطبعة العربية، غرداية/الجزائر، ط1، 1420هـ/1999م، ترجمة رقم 544.

[2] رابح خدوسي وآخرون: موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، ج2، ص685.

[3] عبد الخالق قصباوي: تفسير القرآن في المخطوطات الجزائرية من ق10 إلى 12هـ إقليم توات نموذجا ، مجلة مجلة الحضارة الإسلامية، مج 16، ع27، ص ص 277-291.

– السير على الطريقة التقليدية في التدريس، حيث تسود في الزوايا، والمساجد طريقة الحفظ و التلقين فالمعلم وحده الذي يدير العملية التعليمية يلقي ويشرح و يحلل ما يحتاج إلى تحليل، و المتعلمون عليهم أن يتقبلوا ما يقوله المعلم في معظم الأوقات، فالتلقين ساد في تعاطي كل العلوم ما أدى إلى عدم الالتفات إلى التدوين والاكتفاء بالمشافهة في المجالس. يقول أبو القاسم سعد الله " ومن الذين تناولوا التفسير تدريساً عبد القادر الراشدي القسنطيني[1]، ورغم شهرة الراشدي في وقته فإن حياته ما تزال غامضة لدينا ... والذي يهمنا هنا ليس هو حياته وإنما مساهمته في تفسير القرآن الكريم"[2].

أما بخصوص عناية علماء توات بالتفسير، فإن الكتب والمخطوطات تشهد لهم بالعناية والبراعة فيه، وقد سجلت تراجم العلماء قبل القرن الثاني عشر للهجرة اهتمامهم بهذا الفن، فقد وجدنا في القرن التاسع للهجرة عدد من تآليف الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي العالم في التفسير وعلوم القرآن، نذكر منها على سبيل المثال: "البدر المنير في علم التفسير"، و" تفسير سورة الفاتحة"[3].

وتُعدُّ من المؤلفات المفقودة للشيخ المغيلي، ويظهر من خلال عنوانه تطرقه إلى مباحث التفسير وأنواعه وما يتعلق بها. ويكفي من المؤلفات عناوينها التي تبيّن توجه القصد والنية إلى علم التفسير سواء أصولاً أو معانٍ.

---

[1] "ولد بقسنطينة وقرأ على والد وبها تخرج ثم ورد إلى تونس والجزائر ومكث بهما مدة وأخذ عن علمائها، وعاد إلى بلده فدرَّس ونفع الطلبة، وكان ممن يميل إلى طريقة السلف، توفي سنة 1194هـ". ينظر: محمد مرتضى الزبيدي: المعجم المختص، تح: نظام محمد صالح يعقوبي و محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط1، 2006، ص431.

[2] أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب، ط1 ،1998، ج2، ص14.

[3] أحمد بابا التنبكتي: نيل الأبهاج بتطريز الديباج، اشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله االهرامة، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط1، 1989، ص 577.

وقد تصدر لتدريس التفسير عدد لا بأس من العلماء بتوات، فالباحث في كتب السير والتراجم يجد أنهم تلقوا علم التفسير والعلوم الدينية الأخرى[1]، وتبوأوا مجالس العلم والقضاء، وأنشأوا الزوايا ومدارس العلم. ومما نجده في سيرهم مثلا: أنه كان عالماً نحوياً مفسراً، وغيرها من الأوصاف والنعوت التي تنبأنا عن علمهم وإن لم يخلِّفوا لنا آثاراً تَحْكي جهودهم.

لقد اعتنت المؤسّسات التعليمية بتوات أيما عناية بالعلوم التي يُحتاج إليها في فهم القرآن الكريم، وما ذلك إلَّا لعلمهم بالضرورة الملحة والحاجة الأكيدة إلى فهم القرآن لاستخراج أحكامه الفقهية وتعاليمه الدينية التي يُصلح بها المسلم دينه ودنياه، وإن كان الدافع الأول لبحث الموضوع في هذه الدراسة هو دحض الاعتقاد السائد – من خلال غزارة وطغيان المؤلفات الفقهية– بأن علماء توات كانوا بعيدين عن الدّرس القرآني، والحقيقة أنهم وإن لم يَبينوا عن تآليف عديدة وبارزة في علوم القرآن والتفسير إلَّا أن المتمعن في تأليفهم الفقهية يدرك أن ما كتبوه لا يمكن أن يصدر إلَّا عن متمكن من كل العلوم المتعلقة بالقرآن، الكاشفة لمعانيه.

لقد أولى شيوخ توات وعلماؤها اهتماما بالغا بعلوم القرآن، يكشف عذ هذا الكم الهائل من المخطوطات التي حوتها خزائنهم، تناولت أغلب الفروع من تفسير وغريب و قراءات وغيرها من المواضيع المتعلقة بالقرآن.

فمن الكتب التي عنيت بمواضيع الدّراسات القرآنية في خزانة الشيخ: سيدي عبد الرحمن بن أمحمد الأنزجميري: مؤلف تضمن مواطن الحذف في القرآن الكريم وقد نسخه الشيخ أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن يوم السبت 07 شوال

[1] لا نكاد نجد زاوية من الزوايا بتوات لا تدرس النحو والصرف والبلاغة والقراءات، وكلها علوم آلة لا يستقيم التفسير إلَّا بها.

1382هـ بحسب ما ذكره الناسخ بنفسه ولم يصَدَّر بداية المخطوط بذكر عنوان له[1]؛ وافتتحه بقوله:

يقـــول من لنفسه أسيـــر وقلبـــه مرجـــو به كسيـــر
المرتجي العفو من الرحمـان تفضلا نجل على الجكـــــاني
وبعد قصدي بـذا الكتاب تسهيل حفظ الحذف للطلاب

إلى أن يقول:

سبحـــن مطلقا والحمدون والحفـــظ ما عـــدا يحافظـــــون
في سورة الانعـــام والفلاح وســـورة المعـــارج الصحـــاح"[2]

ويظهـر مـن خـلال الأبيـات أن المؤلَـف وُضـع في الرسـم القـرآني لتسـهيل حفـظ المـواطن الـتي يكـون فيهـا حـذف بعـض الحـروف وإن كانـت ظـاهرة في النطـق، إضـافة إلى كيفيـة كتابـة بعـض الحـروف، وهـذا عنايـة بالرسـم القـرآني الـذي يختلـف عـن الرسـم الإملائي.

ومـن إسـهامات علمـاء تـوات في إثـراء الـدّرس اللغـوي علـى وجـه العمـوم والـدّرس النحـوي علـى وجـه الخصـوص، نجـد أرجـوزة " جُمَانَـةُ القـرّاء أرجـوزة في الرّسـم القـرآنيّ "للشـيخ الحـاج عبـد الـرحمن حفصـي[3]، ورغـم أن موضـوعها في الرسـم إلَّا أنهـا تُحيلنـا علـى القراءات والتفسير وعلى غريب القرآن، وقد أوضح ذلك في نظمه قائلاً:

الحمد لله الذي قـــــد فتّقا قلوب أرباب الحجا ذوي التُّقى
وعلـــــم الإنسان مالم يعلم عليـــه أسبغ جزيـــل النّعم

[1] عبد القادر قصباوي: دراسة وصفية لخزانة الشيخ: سيدي عبد الرحمن بن أمحمد الأنزجميري- قراءة في مؤلفه شبكة القناص، مجلة رفوف، عدد 03، ديسمبر 2013، ص52.

[2]

[3] محمد بن عبو: جُمَانَةُ القرّاء أرجوزة في الرّسم القرآنيّ، من نظم الحاج عبد الرّحمن حفصي.(دراسة وصفيّة)، مجلة الذاكرة، مج06، ع02، مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، جامعة ورقلة ، جوان 2018، ص ص 24-31.

على النّبيّ القرشـــيّ العربـــيّ الهاشمـــــــيّ العدنانيّ اليثربيّ
وآله وصحبه فخـــر الدّجـــى .....
نظمتهـــــا للسهل من تفسير غرائب القـــــــــرآن والتذكير

كمـا لـه تأليـف "الأُترجَّـة الجنيَّـة في الناسـخ والمنسـوخ"، عـالج فيهـا مبحـث الناسـخ والمنسوخ في علوم القرآن.

ويظهـر أن مصـطلح علـوم القـرآن مـن خـلال مـا يظهـر مـن تعـاملهم مـع العلـوم؛ شمـل كـل مـا لـه علاقـة بالقـرآن الكـريم مـن رسـم وناسـخ ومنسـوخ وأسـباب نـزول، وتقسـيمات القـرآن وفضـائله وغيرهـا، ويظهـر إقلالهـم في التـأليف فيـه؛ لأنهـا مباحـث يتعرضـون إليهـا مـن خـلال تدارسـهم للتفاسـير، ومـن خـلال تعـاملهم مـع النصـوص الشـرعية في الأحكـام؛ إذ لابـد مـن معرفـة دقيقـة بالآيات ناسـخها ومسـوخها للوقـوف على الأحكام والاستدلال بالآيات.

ثانيا – مجالس التفسير عند علماء توات:

يقصـد بمجـالس التفسـير تلـك الحلقـات العلميـة الـتي تعقـد لتـدارس كتـاب الله وتـدبر معانيـه وآيـه وأحكامـه عمـلا بقـول الرسـول صـلى الله عليـه وسـلم: " **مـا اجتمَـعَ قـومٌ في بيـتٍ مـن بيـوتِ اللَّهِ يتلـونَ كتـابَ اللَّهِ ، ويتدارسـونَهُ فيمـا بيـنَهم إلَّا نزلَـت علـيهِم السَّـكينةُ ، وغشِـيَتهُمُ الرَّحمـةُ ، وحفَّـتهُمُ الملائكَـةُ ، وذكـرَهُمُ اللَّهُ فـيمَن عنـدَهُ** "[1].

[1] رواه مسلم،كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، رقم: 2699، ج4، ص 2074.

و قد حثّ الحديث على استحباب الاجتماع عَلَى تلاوة القرآن في حلقة تدارس، وذلك بتدبر معانيه لتحدث به غاية البلاغ والإنذار والتبيان والهدى والرحمة والبشرى والشفاعة لأصحابه يوم القيامة.

وتختلف هذه المجالس في محتواها باختلاف روادها، فقد تكون للعامة لتقريب المعاني القرآنية إليهم من خلال الوعظ والإرشاد وبيان ما فيه من قصص وعبر ومواعظ، لتحقيق المعاني التربوية وترسيخها في نفوس المتلقين، وقد يكون للخاصة للوقوف على دقائق معانيه وخاصة أحكامه وفنون أساليبه، لتحقيق التدبر الكاشف لأغوار القرآن الكريم.

لقد كان من عناية علماء توات بالتفسير وشتى العلوم الأخرى أنهم كانوا يتلقونها جملة واحدة غير منفصلة عن بعضها، فيبتدئ الطالب بحفظ القرآن وينتهي إلى الإجازات عن المشايخ في القرآن وعلومه والفقه والحديث والعربية والفرائض، هذه العلوم التي كانت تشكل القاعدة المشتركة عند علماء توات[1].

لذلك؛ فلا عجب أن نجد في تراجم علماء توات أنهم تلقوا ودرسوا القرآن وعلومه والتفسير وغيرها من العلوم، وهذا ما يعطينا صورة واضحة على أن مشايخهم الذين أخذوا عنهم كانوا يعقدون مجالس للتفسير إن من المقررات السائدة آنذاك أو من شروحاتهم وتآليفهم.

والناظر إلى هذه مجالس التفسير عند علماء توات، يجدها ثابتة بشقيها في تراجمهم وسيرهم، فقد تلقوا التفسير ودرَّسوا التفسير وألفوا فيه، ومعروف عن هؤلاء العلماء المشايخ إشرافهم من ناحية على الزوايا بالتدريس فيها تبعاً للمقررات الدراسية، وإشرافهم من ناحية أخرى على المساجد التي تتهيأ لهم لإلقاء الدروس للعامة في مبادئ اللغة والفقه والسيرة والقرآن.

[1] محمد باي بلعالم: الرحلة العية، ج01، ص ص 292-298.

وإن لم تسعفنا المصادر ببواكير تلك الحلقات العلمية في التفسير، إلّا أننا ندرك العلاقة الوطيدة بين القرآن والتفسير، فهما يسيران جنباً إلى جنب، لا يتخلف أحدهما عن الآخر، ولا تتخلف معاني القرآن عن آياتها في مباحث اللغة، أو في مباحث الفقه، أو في السيرة، أو أي علم من العلوم الإسلامية التي كان علماء توات يتداولونها. وقد أسعفتنا بعض المصادر بمجلس التفسير الشفوي الذي كان يعقده الشيخ مولاي سليمان بن علي، مؤسس أول زاوية في الإقليم، والذي يمكن عده باكورة المجالس التفسيرية في توات، ويظهر من المعطيات التي أحاطت بالشيخ أن هذا التفسير كان موجها للعامة وللخاصة أيضاً لأسباب عدّة، نذكر منها[1]:

– أن الزاوية كانت الأولى في الإقليم، وقد قامت على فكرة تأدية كل الأدوار من تعليم وضيافة وإيواء، ولم تتبلور فكرة الزوايا حينها بشكلها الحالي كمؤسسات تعليم عالي متخصص.

– أن الحركة العلمية وقتها لم تبلغ مبلغاً كبيراً فكان على المشايخ والعلماء دور ترقية أفراد المجتمع وتعليمهم، وإشاعة الوعي وحب العلم فيهم.

– أن التفسير كان أول جهد يُتبعه لطلبته بعد حفظ القرآن الكريم لحاجتهم إليه في الفقه خصوصاً والخطابة والعلوم الأخرى.

ومما يمكن ذكره؛ مجلس الشيخ الحاج أحمد من مالك الفلاني، ويستخلص ذلك من خلال الإجازة التي أَقرَّها ابنه، من أنه قد أجازه في كتب الصحيحين وغيرها من كتب الحديث والفقه والنحو والتفسير، في إجازة ذكر فيها أسانيد كل الكتب التي أجيز فيها[2].

[1] عبد الخالق قصباوي: تفسير القرآن في المخطوطات الجزائرية...، مرجع سابق، ص281.

[2] محمد باي بلعالم: الرحلة العلية، ج1، ص 267.

و المجالس العلمية للشيخ عبد الرحمن بن باعمر التنيلاني، والتي كان يعقدها في بيته لطلبة العلم، ضمنها علوماً عدة؛ كالفقه واللغة والتفسير والبلاغة وغيرها، على عادة العلماء الفطاحل في الاستطراد في شتى العلوم[1].

ومن مجالس التفسير في فترة الدراسة حلقة شرح تفسِّير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للإمام البيضاوي للإمام عبد الرحيم بن إبراهيم التواتي (ت.1160هـ)، والتي ذكرها له تلميذه المفسر التنلاني في إجازته، وكذا حلقة الشيخ عبد الرحمن الجنتوري[2].

ومجلس الشيخ محمد بن أمحمد الزجلاوي(ت. 1212هـ)؛ مؤلف الفية غريب القرآن، وقد كانت عادة علماء توات الاعتماد على مؤلفاتهم في دروسهم، والإشارة والإحالة عليها في مدارساتهم مع الطلبة.

ومن المجالس التفسيرية أيضاً مجلس الشيخ الجنتوري؛ وقد ذكر الشيخ عبد الرحمن التنيلاني إجاز الشيخ سيدي محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم من بني القاضي الدرعي له في كتب عدة منها تفسير الجلالين.[3]

وكذا إجازته من شيخه الإمام الجنتوري في تفسير البيضاوي[4]. وذكر أيضاً أنه بعد حفظه للقرآن عمد إلى الدُّر المصون في علم الكتاب المكنون ولخص مباحثه واستفاد منه[5].

ومن تلك المجالس؛ حلقة للشيخ محمد بن أب، وحلقة الشيخ امحمد بن عبد الله الونقالي، وحلقة الشيخ سيد الحاج محمد البلبالي (ت.1244هـ)، وأخرى لابنه الشيخ مجمد عبد العزيز البلبالي (ت.1261هـ)، ومثلها للشيخ محمد الحسن بن

[1] عبد الرحمن التنلاني : الفهرس الورقة 08 وجه

[2] محمد باي بلعالم، المرجع نفسه، ج1، ص 34.

[3] محمد باي بلعالم: الغصن الداني، ص39.

[4] المرجع نفسه، ص 34.

[5] المرجع نفسه، ص53

سعيد البكري، وحلقة محمد العالم بن السيد محمد الجزولي (ت.1305هـ) [1]،حيث كانت لهم في تلك المجالس وقفات على التفسير وما يتعلق به.

ومن الذين اعتنوا بالتفسير تدريساً في القرن الرابع عشر للهجرة الشيخ عبد الرحمن حفصي(ت.1440هـ) إمام ومدرس بمنطقة آولف بتيديكلت، قرأ على يد الشيخ مولاي أحمد الطاهري الإدريسي الفقه والحديث واللغة والحديث والتفسير وكُتُب أخرى، رافق الشيخ باي بلعالم في مسيرة التدريس بمنطقة آولف، ودرس عنه الموطأ والبخاري وصحيح مسلم، قام على التدريس بمسجد عمنات، وكانت له حلقات تدريسية في الفقه من أسهل المسالك، وفي اللغة من ملحة الإعراب والألفية والآجرومية، وفي التفسير من تفسير القرطبي[2].

وذكر الشيخ باي بلعالم في كتاب (الرحلة العلية) أنه انتقل إلى مدرسة الشيخ أحمد بن عبد المعطي السباعي الادريسي، ومكث فيها سنوات قرأ فيها الفقه والنحو والفرائض والحديث والتفسير، وفي برنامج تدريسه بمدرسة مصعب بن عمير التي أسّسها وأشرف على التأطير بها؛ حلقة تدريسية في التفسير من مؤلف محمد حسن خان " فتح البيان" أيام الأسبوع عدا الخميس والجمعة، ضمن مجموع دروس في الفقه والحديث والتفسير[3]، وقد بين أيضاً الشيخ اعتماده على تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن.

وكان للشيخ محمد بن أحمد المطارفي(ت.1215هـ) الفقيه المفسر حلقات في التفسير، أخذ عنه ابن أخيه أحمد أبو العباس بن عبد القادر بن أحمد بن أحمد

[1] عبد الرحمن بن باعمر التنلاني: الفهرس، الورقة 20 ظهر، محمد عبد العزيز البلبالي: الغنية نسخة المطارفة، الورقة 02 ظهر، عبد الحميد بكري: النبذة ص 97 و 166 و 170.

[2] ينظر: محفوظ بن ساعد بوكراع: الفرقد النائر، ص 473.

[3] ينظر: محمد باي بلعالم، المرجع نفسه، ج2، ص378-384. محمد باي بلعالم: إرشاد الحائر، ص 74.

الراشدي؛ إمام وفقيه ومفسر[1]، ويقول عنه صاحب الدرة الفاخرة: " إن العلامة سيدي محمد بن عبد الله بن العلامة الشيخ سيدي عمار بن عبد الرحمن التنلاني كان إماماً عالماً في الفقه والتفسير، وأخذ عن شيخه سيدي محمد بن أحمد المطارفي، وأذِن له في الإجازة، كان مجتهداً في البحث والنظر والتدريس"[2].

ويمكن القول بأن العناية السابقة بالتفسير قبل القرن الثاني عشر مهدت للتفسير أثناء الحركة العلمية بين القرنين الثاني عشر والرابع العشر للهجرة، فجهود الشيخ المغيلي في التفسير، وجهود الشيخ سليمان بن علي وغيرها مما لم يصلنا، كانت بحق لبنات قام عليها الدّرس التفسير عند علماء توات اللاحقين.

ثالثا – المؤلفات المقررة في علم التفسير عند علماء توات:

– "فتح البيان في مقاصد القرآن" لمحمد صديق حسن خان القنوجي[3] (ت.1307هـ):

وهو من التفاسير المتأخرة تاريخا، غير أنه أحرز قبولاً لدى العلماء؛ لما بث فيه مؤلفه من المعارف وما دبجه به من حلل العلوم، جمع المؤلف خبرة المفسرين قبله،

---

[1] رابح خدوسي وآخرون: موسوعة العلماء والادباء الجزائريين، ص 43، محفوظ بن ساعد بوكراع، الفرقد النائر في تراجم علماء أدرار المالكية الأكابر، دار الكتب العلمية، ص 168.

[2] محمد باي بلعالم: الرحلة العلية، ج2، ص185.

[3] أبو الطيب صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري القِنّوجي الهندي، سليل عائلة عرفت بالعلم وتوارثته أبا عن جد، ولد ببلدة "بريلي" بالهند سنة 1248هـ ، ثم جاءت به أمه من " بريلي" إلى "قِنوج" بالهند موطن آبائه الكرام، توفي بالهند عام 1307هـ، تربوا مؤلفاته عن المائتين، شروحاً وتآليف ونظوم، وكانت له يد طولى في إحياء كثير من علوم الكتاب والسنة وسائر الفنون، فقهاً وحديثاً وتراجم ولغة وتفسير وعلوم قرآن وغيرها؛ منها تفسيره فتح البيان في مقاصد القرآن. ينظر: صديق بن حسين القنوجي: فتح البيان في مقاصد القرآن، مراجعة: عبد الله بن ابراهيم الانصاري، المكتبة العصرية، بيروت، ج1، 1996، ص3-8. الأعلام الشرقية، ص385-387.

واستفاد من كل العلوم الإسلامية، فـ " كتب تفسيراً خالياً من الإسرائيليات والخرافات التي يقوم الدليل على بطلانها. وكذلك الجدل المذهبي والمناقشات الكلامية، فجمع بين الرواية والدراية مع تحديد ما طال به العهد وقصر للطالبين فيه الجد والجهد إيقاظاً للنائمين وتحريضاً للمتثبطين"[1]. ولعل اختيار الشيخ باي بلعالم هذا الكتاب للتدريس لما وقف عليه من النزعة السلفية الخالية من التعصب والاسرائيليات والمذهبيات.

وعن تميز هذا التفسير وتفرد اختياراته وتصيده للمعاني الصحيحة، يقول رشيد رضا في المنار تعقيبا على تفسير الزمخشري الركون بالميل اليسير؛ بعد نقولٍ كثيرة، يقول: " أختم هذه النقول بما أورده السيد محمد صديق حسن خان ... في تفسيره فتح البيان في مقاصد القرآن الذي أودعه تفسير أستاذه القاضي الشوكاني المسمى بفتح القدير وزاد عليه، فكان ما أورده عنه مغنيًا عن أصله"[2]. وهذا الركون من صاحب المنار إلى معنى محمد صديق حسن خان في تفسيره اعتراف بمكانته وقدر هذا التفسير.

- **"أنوار التنزيل وأسرار التأويل" البيضاوي[3] (ت.685هـ):**

يُعد تفسير أنوار التنزيل من التفاسير التي تلقاها العلماء بالقبول شرقاً وغرباً، وتلقفته أقلام الكتاب فكثرت شرحوه وأقيمت عليه عديد الحواشي، سماه البعض

[1] صديق بن حسين القنوجي: المرجع نفسه، ج1، ص2.

[2] . المرجع نفسه، ج1، ص 02-03.

[3] هو ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن محمد بن محمد بن محمد بن الشيرازي الشافعي البيضاوي الفارسي البغدادي، ولد بالمدينة البيضاء بفارس قرب شيراز، كان إماماً مبرزاً جمع العلوم العقلية والنقلية، ألف العديد من الكتب في الفقه والنحو والمنطق والأصول والإعراب والتفسير والحديث والتصوف، منها تفسيره "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" المعروف بتفسير البيضاوي، توفي بتبريز سنه 685هـ. ينظر: سير أعلام النبلاء، ص2446.

مختصر الكشاف لاعتماده في منهجه التأليفي تهذيب تفسير الكشاف، ولما كان ذا دراية وعلم جمع إلى تفسيره التأويل وفق قواعد اللغة.

وترجع قيمة تفسير البيضاوي؛ في جمعه لتفاسير سابقيه؛ كالكشاف كما أسلفنا، وتفسير مفاتيح الغيب للرازي، وتفسير الراغب الأصفهاني، إجتمعت فيه عصارة معانيهم مع ما أعْمَلَهُ فيه من تفسير بالرأي، جعل منه حلقة الوصل بين تلك التفاسير، إضافة إلى ما تضمنه من آراء أهل السنة، فحظي باهتمام الدارسين وشروحهم من أقصى الهند إلى المغرب الأقصى[1].

لقد جمع البيضاوي إلى جانب العلوم الإسلامية علوم العربية، فكانت له منها حظوة ومُكْنَة أفادته في أن يصوغ ما جمعه من آراء ومعاني وأفكار في لغة موجزة غير مخلة بالمعاني، رائقة راقية تميل أرباب البيان إليها، بسيطة غير متوعرة، تُبينُ دون بيان لقارئيها؛ وهو ما بسط لتفسيره القبول وجعله مورد المفسرين المتأخرين.

- **" الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمن من السنة وأحكام الفرقان" للقرطبي(ت.671هـ)[2]:**

يظهر من خلال مسمى الكتاب أن القرطبي قصد إلى الاهتمام بآيات الأحكام دون غيرها من آيات القرآن، رغم إلْفَ المفسرين والدارسين هذا النوع من التآليف، كأحكام القرآن لأبي بكر ابن العربي، إلَّا أن تفسير القرطبي جاء متفرداً

[1] يوسف بن زيدان السلمي: الاستنباط عند القاضي البيضاوي من خلال تفسيره أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ص 65.

[2] هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرْح الانصاري القرطبي، الملقب بشمس الدين والمكني ابو عبد الله ولد بقرطبة بالأندلس وعاش بها شبابه ايام عزها، فاستفاد من الحركة العلمية والثقافية بها أيما استفادة، عرف من صغره بحبه للعلم وطلبه، تعلم القرآن الكريم وعلومه وألم بالفقه والقراءات والعربية والنحو، خلَّف عدة مؤلفات من أشهرها تفسيره الجامع لأحكام القرآن، توفي بمصر سنة 671هـ. ينظر: القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج1، ط1، 2006، ص5.

متميزاً، يقول الصفدي عن شهرته وتميزه؛ " وقد سارت بتفسيره الركبان، وهو تفسير عظيم في بابه "[1].

لقد حرك تفسير القرطبي همم العلماء، وفتح عقولهم على منهج علمي رصين يميز المفيد من العلوم، ويُعيِّن ما يجب أن يُوفق عليه، فكان عملياً في طرحه ومناقشاته للأقول، يصف منهجه ابن فرحون قائلا: " جمع- القرطبي- في تفسير القرآن كتابًا كبيرًا في اثني عشر مجلدًا، سماه: "كتاب جامع أحكام القرآن، والمبين لما تضمن من السنة وآي القرآن"، وهو من أجلِّ التفاسير وأعظمها نفعًا، أسقط منه القصص والتواريخ، وأثبت عوضها أحكام القرآن، واستنباط الأدلة، وذكر القراءات، والإعراب، والناسخ والمنسوخ"[2]، فهو بذلك بيَّن قصده وطريقه جيداً وابتعد من أسلوب النقل دون تمحيص ولا تدقيق.

[1] صلاح الدين الصفدي: الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط و تركي مصطفى، ج2، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1 ، 2000، ص87.

[2] الديباج المذهب، ج2، ص309

- **"تفسير الجلالين"لجلال الدين المحلي(ت. 864هـ)[1] وجلال الدين السيوطي(ت. 911هـ)[2]:**

لم يشأ الله لجلال الدين المحلي أن يتم مشروعه في تفسير القرآن وحال دون ذلك أجله، لكنه خلف تلميذاً ورث عنه علمه وهمته في طلب العلم ومنهجه في التأليف، لقد كان من وفاء السيوطي لشيخه أن أكمل مسيرته وأتم من تفسيره ما نقص؛ متتبعا آثار شيخه، فعرف بتفسير الجلالين لمَّا التقى فيه جهد الشيخ وتلميذه.

إن مما ميز تفسير الجلالين أن اجتمعت فيه همتان لشيخين عرفا ببراعتهما في العلوم العقلية والنقلية، من حديث وفقه ولغة وأصول وتفسير وعلوم أخرى، وقد سلك السيوطي نهج المحلي الذي كان يميل إلى الاختصار، فجاء التفسير مختصرا بـ" ذكر ما يفهم به كلام الله تعالى، والاعتماد على أرجح الأقوال، وإعراب ما يُحتاج إليه وتنبيه على القراءات المختلفة المشهورة على وجه لطيف وتعبير وجيز، وترك التطويل بذكر أقوال غير مرضية، وأعاريب محلها كتب العربية"[3].

---

[1] هو محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلي الشافعي، جلال الدين، فقيه أصولي مفسر، كان آية في الذكاء والفهم، برع في فنون العلوم فقهاً وأصولاً ونحواً ومنطقاً وغيرها، عرف في زمانه بسلوك نهج السلف في الصلاح والورع، تولى التدريس وكان قليل الإقراء، ألّف كتباً تضرب لها أعناق المطايا لاختصارها وتنقيحها وسلامة عبارتها، ولد بمصر وتوفي بها سنة 864هـ. ينظر: طبقات المفسرين، تح: لجنة من العلماء، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1983، ص84.

[2] هو عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي، جلال الدين، ولد يتيما بمصر، وتيتم وهو صغير، تفوق في علم الحديث فكان اعلم اهل زمانه به، تفوق ايضا في عدة علوم عقلية ونقلية كالفقه والعربية والاصول والتاريخ والتفسير، عد من العلماء المكثرين في التصنيف لما تذخر به المكتبات من مؤلفاته في شتى الفنون، توفي بالقاهرة سنة 911هـ.

[3] جلال الدين المحلي و جلال الدين السيوطي: تفسير الجلالين، تح: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2003، ص2.

ومن النكت فيما ذكر عن تفسير الجلالين أن أحد علماء اليمن عد حروفه وطابقها مع حروف القرآن فوجدها متساوية إلّا في مواضع فاقت حروف التفسير حروف القرآن، فبنى على هذا حكماً بجواز حمله على غير وضوء[1]، إن اختصاراً كهذا يشد إليه أنظار طلبة العلم لما يسهل عليهم من جمع المسائل المتعددة في اللفظ اليسير.

وبالنظر إلى المؤلفات السابقة؛ ندرك سر اعتماد علماء توات لهذه المؤلفات وتلقيها بالقبول وتقريرها في مجالسهم التفسيرية، فمن خلال ما شرحنا نجد انها:

- حظيت بانتشار بين في كل الاقطار الإسلامية شرقاً وغرباً، وأثنى عليها العلماء وتواصوا بدراستها، إما تدريساً لها أو تعليقاً وشرحاً عليها.

- تلك المؤلفات تعتبر من نوادر عصرها، فكانت الزبدة الصافية، جمع فيها مؤلفاها جهود سابقيهم، فأغنت عن كثرة مطالعة لجملة من المؤلفات في التفاسير.

- جمعت تلك التفاسير بين طياتها علوماً عدة، فبالإضافة إلى تفسير المعاني عرجت على القراءات، والإعراب، والنحو وعلوم القرآن، وهذه العلوم تعد من مقاصد المتعلمين الرامين إلى التفقه في أمور الدين.

ولما كانت العلوم الإسلامية تتداخل فيما بينها ويخدم بعضها بعضا، لم تقتصر جهود علماء توات على الدّرس التفسيري، فقد جمعوا إلى جانبه علوم القرآن وما يلحق بها من علوم خادمة للتفسير.

[1] خليفة حاجي: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تح: محمد شرف الدين يالتقايا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، مج1، 1940، ص 445.

رابعاً–مؤلفات علماء توات في علم التفسير:

لم يُعرف في فترة الدراسة على المستوى العام نشاط كبير في علم التفسير، وظل النشاط التفسيري عند علماء الجزائر محصوراً في شرح التفاسير المشهورة، وقلة من العلماء الذين أمكنهم إتمام تفاسيرهم الشفهية، والتي كتبت بعدها؛ كتفسير ابن باديس، لكن للأسف لم يحفظ بل ضاع منه الكثير، وبعض التفاسير الأخرى.

ولم يقف علماء توات على التأليف في التفسير بصورة مباشرة، بل ألفوا في بعض معانيه وأجزاءه أو خلطوه بغيره من مباحث العلوم الأخرى، وقد يتضح لنا منهجهم في التعامل مع علم التفسير من خلال منهجهم في تدريسه، فـ" بعد أن يحفظ الطالب القرآن العظيم في المدرسة القرآنية (الكتاتيب) يلتحق بالمدرسة الدينية لتلقي العلوم فيتابع متون العقيدة الإسلامية والفقه والنحو والصرف والفرائض، بحفظها ثم يدرس تفسيرها ومعانيها على الأستاذ المدرس المتخصص ... وبعد إتقان العلوم السالفة الذكر ينتقل الطالب لعلوم الحديث ثم التفسير إلى أن يتخرج من المدرسة...."[1].

ويظهر من مرتبة علم التفسير في التدرج العلمي توجّه علماء توات أكثر إلى العلوم الفقهية والعقدية واللغوية. وعلى ذلك نجد جُملة من المؤلفات التي عنيت بمعاني القرآن الكريم ومباحثه ولغته أحياناً، والتي يمكن عُدها بهذا الاعتبار من المؤلفات التفسيرية؛

فقد ألف الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنيلاني (ت.1189هـ) كتابه المسمّى "مختصر الدر المصون للسمين في إعراب الكتاب المبين"، وهو مختصر كتاب السمين

[1] محمد باي بلعالم: الرحلة العلية، ج01، ص 325.

الحلبي (ت. 756هـ)[1]، يقول عنه: " لما وقفت عليه شغفت به ولم يمكني تحصيله لكبر حجمه فاستعنت الله تعالى على اختصاره ليحصل الانتفاع به ولمن أراده من المسلمين"[2].

وقد بين الشيخ عبد الرحمن في فاتحة مختصره منهجه في الاختصار؛ وفق ما يلي[3]:

– الاقتصار على القراءات الواردة في مؤلف السمين المتواترة والشاذة على قراءة نافع التي رواها ورش وقالون، وقد كان له هذا الاختيار لتعم فائدة المختصر، لجري أغلب القراءات بهما وغلبتها على محفوظ أهل البلد.

– إسقاط التوجيهات التي يبين فيها المؤلف مراده وقد عبر عنها بالإرادات، وهي التي يَرِدُ فيها قوله" وأردت بكذا كذا" وغيرها من الألفاظ الدالة على نفس المعنى.

– الاكتفاء بالأوجه الإعرابية المقبولة التي صرَّح بها السمين، أما الأوجه الضعيفة والنادرة التي ذكرها السمين تبياناً وتوضيحاً لضعفها فلم يوردها التنيلاني، تحقيقاً للغرض المتوخى من الاختصار.

– بيان ما له محل من الاعراب وما ليس له من الجمل مع ذكر المحل.

كما ألّف الشيخ سيدي محمد بن العالم الزجلاوي (ت.1212هـ) (محمد بن أمحمد بن احميد) المعروف بمفتي الأنام الأنصاري الزجلاوي، تلميذ الشيخ عبد الرحمن –السالف الذكر– منظومة في "تفسير غريب القرآن"، تتكون من ألف بيت، نالت

[1] أحمد بن يوسف بن عبد الدايم الحلبي، أبو العباس، شهاب الدين المعروف بالحلبي: مفسر، عالم بالعربية والقراءات، الحلبي نسبة إلى حلب إلّا أنه استقر واشتهر في القاهرة، من مؤلفاته: تفسير القرآن، القول الوجيز في أحكام الكتاب العزيز، الدر الصون في إعراب القرآن، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ. الزركلي: الأعلام، ج1، ص274.

[2] محمد باي بلعالم: المرجع السابق، ج1، ص 269.

[3] محمد باي بلعالم: الغصن الداني...، مرجع سابق، ص53–54.

ثناء معاصريه وقبولهم، ويمكن عدّها من مباحث التفسير لوقوفها على معاني الكلمات في سياقها، وقد بانت نية مؤلفها بإلحاقها بالتفسير في بدايتها قائلا:

الحمد لله الذي قد شرفا مباحث التفسير فما عرفا

وجعل انتحاله في الأجر مثل الشهادة النفيس الذخر

قال عنها الشيخ عبد الكريم بن بابا حيدا التمنطيطي:

إذا رمت ذوقا كالعسل حلاوة عليك بنظم كالجواهر رصعا

وهذا على التقريب والحق انه من الشهد والياقوت قد بان انفعا

وكيف وقد أبداه فكر ابن عالم بالشرح فبين لبه بالشرح تبرعا

وقد استمال اللب إلى صنيعه بألفية الغريب لا زلت مولعا

فلله دره وعليه أجره وبالله ارقيه لعافية اودعا

قسَّم بن العالم الزجلاوي ألفيته إلى ثلاثة أقسام:

- **القسم الأول**: في الغريب المكرر في القرآن مرتبا على الحروف الهجائية على سنة المغاربة في الابتداء بالألف والانتهاء بالياء، ضمنه ثلاثمئة بيت منها –على التمثيل– :

وقوله سبحانه حصورا[1] ممتنعا من النسا تطهيرا

اما حصير[2] فمكان الحصر وحصرت[3] ضاقت بهم في الامر[4]

- **القسم الثاني**: في القواصر اي غريب السور، مشتملا على ثلاثمئة وواحد وخمسين بيتا، يقولا مثلا:

---

[1] من قوله تعالى ﴿ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾ آل عمران، 39

[2] من قوله تعالى﴿جَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً ﴾ الاسراء، 8.

[3] من قوله تعالى ﴿ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُواْ قَوْمَهُمْ﴾ النساء، 90

[4] محمد باي بلعالم: ضياء المعالم، ج1، ص25-26.

فطوعت[1] له من المطاوعة أي شجعته النفس بالمتابعة

فزينت وسهلت تقتيلا وقوله نقيبا[2] أي كفيلا[3]

- **القسم الثالث**: في الوجوه والنظائر مرتبا وفق حروف المعجم، نذكر منها:

والربوة[4] اسم للمكان المرتفع وربت[5] الارض انتفاخها وسع

ورابيا[6] وصف بمعنى العالي رابية[7] شديدة النكال[8]

وقد كان الشيخ الزجلاوي ألف منظومة " ألفية الغريب" فإشارة عليه شيخه سيدي عبد الرحمن بنظم ألفية في التفسير جردها عن الغريب، قال له شيخه أبو زيد سيدي عبد الرحمن هذه ينتفع بها كل أحد من عوام الطلبة وتلك مخصوصة بالفقهاء.[9]

وقد ألّف عليها الشيخ باي بلعالم شرحاً أسماه "ضياء المعالم شرح على ألفية الغريب لابن العالم"، بسط فيها شواهد الألفية وشرح الآيات وبين معانيها، وهي مطبوعة، يقول: " ولما كانت هذه ألفية في غاية من الفصاحة والبلاغة، تشتمل على لغة القرآن، وتقتضي دراستها فهم القرآن، ولم تحظ بشرح علماء المنطقة ولا غيرها،

---

[1] من قوله تعالى ﴿ فطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ المائدة 30.

[2] من قوله تعالى ﴿ وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً ﴾ المائدة 12.

[3] محمد باي بلعالم: ضياء المعالم، ج1، ص160.

[4] من قوله تعالى ﴿ مَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾ البقرة 265.

[5] من قوله تعالى ﴿ إِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ الحج 05.

[6] من قوله تعالى ﴿ فاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَّابِياً﴾ الرعد 17.

[7] من قوله تعالى ﴿ فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴾ الحاقة 10.

[8] من قوله تعالى ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيماً ﴾ المزمل 12.

[9] ينظر: محمد باي بلعالم: الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمن التنلاني، دار هومة، الجزائر، 2014، ص 28. محمد باي بلعالم: ضياء المعالم، مرجع سابق، ج1، ص14.

قمنا بشرحها"[1]، وواضح من خلال ما أورد الشيخ باي ما وقفت عليه هذه الألفية من معان تخدم فهم القرآن.

وللشيخ محمد بن المحفوظ بن محمد الوشاني[2] مؤلف بعنوان " تفصيل القرآن الكريم" ، ويظهر من خلال العنوان "تفصيل"، وهو عكس الإجمال أن المؤلف قصد في تأليفه إلى تفصيل وشرح آيات من القرآن، إذ لم يرد ذكر المخطوط في التفاسير الكاملة التي شملت القرآن كله ضمن مصادر البحث في المنطقة.

ويوجد مؤلف آخر بعنوان " شرح كلمة الإخلاص"، لمحمد الصافي بن البركة الأدغاغي[3]، ووردت في بحوث أخرى بعنوان:" تفسير سورة الإخلاص"، ويذكر سليماني علي[4] أن أصل التأليف؛ إجابة طلب بعض المهتمين بعلم التفسير، فأخذ الشيخ على عاتقه تفسير القرآن، ويبدو أن الشيخ لم يتم تفسير القرآن كله أو أنه أتمه ولم يصلنا منه إلَّا تفسير سورة الإخلاص[5].

[1] محمد باي بلعالم: الرحلة العلية، ج1، ص 269.

[2] الوشاني: نسبة إلى أولاد أوشن(أشن، وشن) بأدرار،لم تطلعنا المصادر على معلومات عنه، وذكرت الباحثة حليمة كحلاوي ترجمة والده سيدي المحفوظ بن سيدي محمد " ولد بقصر أولاد وشن، واشتهر بالنسخ مما خلف مؤلفات عديدة نسخها وألفها بيده،كما خلف شيخه عبد الرحمن بن باعمر في التدريس منذ 1233هـ، توفي يوم 14 ذو الحجة 1249هـ". حليمة كحلاوي: الحياة الثقافية بتوات الوسطى خلال القرنين(12هـ-14هـ/18م-20م)، مذكرة ماجستير، جامعة ادرار، السنة الجامعية 2015-2016، ص 195.

[3] أحد فقهاء وعلماء قصر أدغاغ، بعد حفظه القرآن وهو في سن الثالثة عشر، جمع العلم من خلال تنقله بين زوايا ومدارس إقليم توات، وعاد بعد تحصيل إلى مسقط رأسه ليؤسس مدرسة بالمسجد الكبير، له مؤلف تفسير سورة الإخلاص ورحلة من أدغاغ إلى تيدكلت. حليمة كحلاوي: المرجع نفسه، ص195

[4] من أحفاد مولاي سليمان بن علي، المشرف على خزانة سيدي محمد الصافي بقصر آدغا بأدرار.

[5] علي سليماني: زاوية مولاي سليمان بن علي، بحث غير منشور.

وذكرت لنا المصادر مؤلف بعنوان " تفسير آية الكرسي "، للشيخ صالح بن محمد بن أبي بكر العضوي الدراوي التواتي (ت. 1140هـ)[1]، والتواتي نسبة إلى توات، وهي ثابتة له في عدة مصادر، إلَّا أنه من خلال ما توفر لدينا من مراجع ودراسات لم ترد أي إشارة لنشاطه العلمي بتوات أو زيارته إليها أو إقامته بها.

وفذلكة القول، فإن الدّرس القرآني قد نال نصيبا وافراً عند علماء توات، فأقاموا للتجويد والإقراء مكانة تنم عن فهم للأهمية التي تكتسيها تلك العلوم في المحافظة على تواتر القرآن، فتخصّصت فيه مدارس إقرائية، كانت مضرب المثل في الديار التواتية؛ كمدرسة ساهل بأقبلي، كما نبغ فيه أعلام على امتداد الإقليم، وعلى هذه الأهمية الملتمسة لديهم في علمي التجويد والقراءات إلَّا أن التأليف فيهما يكاد ينعدم؛ وبالمقابل كانت المقررات المعتمد عليها منتقاة من عيون المؤلفات المشهورة والمثنى عليها من قبل العلماء.

وكان لمجالس علم التفسير انتشارا واسعاً عند علماء الإقليم، تناولوا فيه بالدراسة التفاسير التي طارت شهرتها وتلقت قبولاً في بلاد المشرق والمغرب الإسلاميين وكان نتاج تلك المجالس أعلام برزوا في علم التفسير، وكان لبعضهم اجتهادات في هذا المجال ضاع منها الكثير.

[1] محمد بن رزق بن طرهوني: التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، دار ابن الجوزي، السعودية، ط1، 1426هـ، ج1، ص221.

خاتمـــــــــــة

خاتمـــة:

توصّلنا في ختام هذه الدراسة إلى جملة من النتائج، يمكن حصرها في الآتي:

– يُعـدُّ إقلـيم تـوات مـن أهـم الحواضـر العلميـة الـتي أدّت دورا هامـا في إثـراء الحيـاة الثقافيـة والعلميـة بالمغـرب الإسـلامي في العصـر الحـديث، فقـد شـكّل علـى مـدى تاريخـه الضـارب في القـدم، منطقـة ربـط بـين حواضـر شمـال المغـرب الإسـلامي العتيقـة وحواضـر إفريقيـا جنـوب الصـحراء الإفريقيـة ، ونتيجـة لـذلك عـرف الإقلـيم حركيـة علميـة نشـطة، ترجمهـا الكـم الهائـل مـن المخطوطـات الـتي شـكّلت ميراثا علميـا ومخـزونا تراثيـا يظـل شـاهدا علـى ثقـل الإقلـيم العلمـي والثقـافي وكثـرة علمائـه الـذين تصّـدروا حلقـات الـدرس وألفـوا الكثير من المصنّفات، أغنوا بها الخزائن التواتية آنذاك.

– أكّـدت الدراسـة مـدى الالتـزام الـديني عنـد علمـاء تـوات وتعلّقهـم بالقـرآن واللغـة العربيـة وبكـل مـا يخـدمهما، وشـاهدهم في ذلـك الجهـود والاسـهامات الـتي مـا فتـأت تُظهـر نيـة صـادقة في التوجـه إلى القـرآن وخدمتـه، إذ بنـوا المسـاجد والكتاتيـب، وأسّسـوا الـزوايا والمـدارس القرآنيـة وفـوق ذلـك؛ أوقفـوا لهـا أمـوالهم وأوقـاتهم، وسـخَّروا أنفسـهم لخدمتها.

– تُعـدُّ المؤسّسـات الثقافيـة بإقلـيم تـوات الدعامـة الرئيسـية الـتي سَـنَدت الـدّرس اللغـوي والقـرآني وأسّسـت قواعـده علـى تقـوى مـن الله ورضـوان، فهيّـأت لـه علمـاء نـذروا أوقـاتهم وجهودهم، وطلبة شحذوا هممهم وبروا أقلامهم طلباً للأجر؛ تعلماً وتعليما.

– تعتمد أغلب الزوايا والمدارس القرآنية في توات تقاليد الدّرس النحوي من خلال المقررات التي انتهى إليها تدريس النحو العربي، كما يُعتمد الحفظ للنصوص (قواعد ومسائل)، مع التركيز على دور كل من الشيخ في التدريس، والطالب في التحصيل، وقيام الطلبة بأدوار تربوية كالمذاكرة، وتسهيل توصيل المعارف مراعاة لاختلاف المستويات. وإذا كان الحفظ أساس العملية التربوية،

فإن الفهم هو القصد المنشود، والتطبيق والتوظيف هو الهدف التربوي الذي تقوم عليه كامل التجربة المعرفية التي ورثت هذا الرصيد الهائل؛ خدمة للغة العربية كمقدمة لفهم النصوص الدينية من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

– تأكّد من خلال البحث بأن مناهج التدريس في توات رغم المآخذ والعيوب المسجلة عليها، لا يمكن إنكار الآليات والمناهج المتّبعة في سبيل تيسير اكتساب اللغة العربية وعلومها، وذلك من خلال:

– اعتمادهم على مبدأ التدرج في التلقين، وذلك من السهل إلى الصعب، ويتمثل ذلك في طريقة تعليم الحروف الهجائية؛

– التدرج في تنمية المهارات اللغوية لدى الطفل، بدءا بتعليم النطق، ثم الكتابة فالقراءة؛

– التدرج في تلقين علوم اللغة فالأجرومية أولا ، ثم ملحة الإعراب ثانيا، ثم ألفية ابن مالك ثالثا، ثم لامية الأفعال رابعا...؛

– اعتماد طريقة القراءة ثم الشرح ثم المذاكرة ثم التحصيل، وهي المعمول به لدى علماء حواضر المغرب الإسلامي في شتى أصناف العلوم المتداولة آنذاك.

– قامت المؤسّسات التعليمية في على علاقة تكاملية تخدم الجانب التعليمي للدّرس اللغوي والقرآني، فكانت المقررات تتدرج بحسب المستوى من الكُتَّاب إلى الزاوية والمدرسة.

– لم يكتف علماء توات ومشايخها بحفظ القرآن وتلاوته، وإنما جعلوه اللبنة الأولى التي تقوم عليها باقي اللبنات الآخرين، فكانت شواهدهم اللغوية في دروسهم من القرآن، وكانت أحكامهم الفقهية معلله بالقرآن ، وكانت المعاني في حلقاتهم التفسيرية من القرآن، لأنه يفسر بعضه بعضا، فاستدعى ذلك أن يقام للقرآن وزنه في العملية التعليمية.

– إن ما عرفناه من تميّز لدى علماء توات أهَّلهم للتأليف والكتابة في فنون اللغة وعلوم القرآن؛ إنما هو نِتَاج سياسة رشيدة وحكمة بالغة للمشرفين على الزوايا والمدارس القرآنية، ونتاج المناهج والمقررات التعليمية التي سارت عليها.

– كان لعلماء توات توجه بارز وتفوق ملحوظ وعناية شديدة بعلوم اللغة، يظهر ذلك من خلال الحجم الكبير الذي حظيت به في التدريس والتأليف؛ باعتبارها الآلة لفهم القرآن.

– على الرغم من قلة التأليف في علوم القرآن، إلا أن إدراك أهميتها لدى علماء توات كان واضحاً، وعلى ذلك كانت لهم نظرات في التفسير مبثوثة في المباحث التي تناولوها بالتأليف؛ كغريب القرآن، وشواهد النحو والبلاغة وحتى في مؤلفاتهم الفقهية، كما اعتنوا بالتجويد والقراءات.

– حظي التفسير عند علماء توات بمجالس مثّلت ثمرة وعصارة جهد أقاموه لفهم القرآن وتفهيمه، إلا أن التأليف في التفسير كان على العكس تماما من تلك المجالس، فلا تُحصى فيه إلا تآليف قليلة.

– أولى علماء توات عناية خاصة بتحفيظ القرآن الكريم وعلمي التجويد والقراءات خصوصا من القرن 11هـ إلى القرن 14هـ، اعتناءً تَمَثَّل في تعلُّمِ هذَيْن العِلْمَيْن وتدريسهما والتنقيب عنهما، إلا أنَّ أكثر جهودهما في هذه الفترة تركّزت في جانب التدريس أكثر منه في جانب التأليف.

– لم يكن علماء توات بمعزل عن الحركة العلمية التي سادت أقطار المغرب الإسلامي، إذ انخرطوا فيها بالتدريس والتأليف وفق ما عرف من مناهج التأليف في عصرهم؛ من نظم وشرح وتحشية واختصار، وكانت لهم مؤلفات بلغت شهرتها آفاق الإقليم وذاع صيتها إلى الحواضر العلمية المجاورة، كمؤلفات ابن ابَّ المزمري والشيخ باي بلعالم.

– حفظت لنا السير جهداً مشكوراً لعدد كبير من علماء توات انشغلوا بالتدريس؛ فتخرج على أيديهم ثلة من الطلبة والعلماء الذين واصلوا مسيرتهم، كما حفظت العديد من المؤلفات في الدّرس اللغوي والقرآني لعلماء توات جهدهم وإسهامهم في الحركة العلمية من خلال تلك التآليف، والتي حظيت العديد منها بدراسات أكاديمية في مستويات مختلفة.

– إن ما حوته خزائن المخطوطات بتوات على اختلاف موضوعاتها وعلى اختلاف مؤلفيها؛ لينم بشكل واضح على الثقافة اللغوية والثقافة القرآنية الواسعة لديهم، كما ينم وجود أمهات الكتب التي حظيت بالقبول شرقاً وغرباً في خزائن المخطوطات؛ ينم على ذائقة علمية أصيلة لديهم.

–يُعدُّ الشيخ ابن أبّ بحق عالما علامة متفنّنا في علوم العربية نحوا وصرفا وأديب زمانه، فقد ساهم في إثراء الحركة الأدبية شعرا ونثرا، وله قصائد متعدّدة في شتى الأغراض الشعرية، وشعره متأثر بالمعاني الدينية ولم يجعل لنفسه منهجا معينا يتّسم به. وقد أفنى حياته لخدمة اللغة العربية وصيانتها بحفظ رجالها وتعليم نشئها.

– يُعدُّ الشيخ محمد باي بلعالم(ت.1430هـ) من النّحاة الجزائريين الذين ساهموا في تيسير الدّرس النحوي من خلال مؤلفاته النّحوية العديدة، وخاصّة منظومته على الآجرومية الموسومة بـ:" الدرّ المنثور في نظم منثور ابن آجرّوم."

– يعد الشيخ الزجلاوي مؤلف منظومة " ألفية الغريب" أحد أبرز الذين عرجوا على التفسير يشكل غير مباشر إذ جرد الكلمات الغريبة وبيَّن معانيها وأيضا من خلال ألفيته الثانية في التفسير التي أشار بها شيخه لتكون لعامة الناس.

وعلى ضوء ما تقدّم من نتائج للبحث، يمكن عرض بعض **الآفاق** المستقبلية للبحث في الموضوع؛ نذكر منها:

– عَنيت العديد من الدراسات الأكاديمية بدراسات حول الإقليم، تنوعت مواضيعها واختلفت فتراتها الزمنية، كما انخرطت في هذا المسعى المخابر العلمية بالجامعات، وهذا يفتح أفقا لجمع تلك الجهود وإخراج موسوعات علمية للمؤلفات والمؤلفين التواتيين أو معاجم لأعلامه تكون قواعد ببليوغرافية سيتفيد منها الطلبة في الجامعات والباحثين.

– كان لعلماء توات رحلات وهجرات إلى بلاد السودان الغربي وإلى تونس وإلى المغرب الأقصى، وإلى غيرها من البلاد الإسلامية، والعالم يحمل علمه معه أينما حلّ وارتحل، و لعل هذا يحيلنا إلى استقصاء إسهامات وجهود علماء توات تعدّت حدود إقليم توات ؛ مما يستدعي دراسته وبَحَثَة من قبل الباحثين ؛ لاستقصاء تلك الجهود التي قد تكون غفلت عنها كثير من الدراسات.

– لا تزال الكثير من المخطوطات قيد الانتظار لتحقيقها، ولا تزال الكثير من الخزائن تبدي من مكنوناتها القليل، والعبء في ذلك على الباحثين وعلى المشرفين على هذه الخزائن في التعريف بمحتوياتها.

– تحتاج العديد من أعمال الفهرسة التي مسّت أكثر زوايا الاقليم، إلى المراجعة، فلا تزال بعص المخطوطات مجهولة المؤلف مثلا، ومع تطور وسائل البحث العلمي يمكن حصر أمثال تلك المخطوطات بعرضها على ما هو مرقمن من كتب متاحة على محركات البحث، فالعمل على حملات فهرسة جديدة للخزائن مطلوب في ظل التطور العلمي.

– إن واجب الوفاء للتراث يقتضي الاحتفاء بما هو موجود من إنتاج في الدّرس اللغوي والقرآني بإبرازه وإعلانه وإعلائه؛ من خلال تناوله بالدراسة والتحليل واستعماله ضمن المراجع والمصادر للبحوث والمقالات والمطبوعات وغيرها من أعمال.

وبعـد هـذه الجولـة العلميـة مـع جهـود علمـاء تـوات في الـدّرس اللغـوي والقـرآني ومـا تعلّـق بهمـا مـن علـوم، تتجلَّـى لنـا المكانـة العلميـة للمدرسـة التواتيـة في هـذا المجـال، والـتي ظهـرت مـن خـلال أعلامهـا الكبـار، أمثـال: الشـيخ الإمـام أبـو عبـد الله محمـد بـن عبـد الكـريم المغيلـي(ت. 909 هـ)، والشـيخ عبـد الكـريم بـن محمـد البكـري التمنطيطـي (ت. 1042هـ)، والشـيخ محمـد بـن أب المزمـري (ت. 1160هـ) ، والشـيخ عبـد الـرحمن الجنتـوري (ت. 1160هـ) ، والشـيخ سـيدي محمـد بلعـالم الـزجلاوي (ت.1212هـ)...الخ، ومـن خـلال مصـنفاتهم البديعـة في هـذا العلـم، ومـن خـلال استفادة العلمـاء مـن كتبهم ومصـنفاتهم، ولعـلّ هـذه الجولـة تفـتح الأفـقَ لمزيـد بحـث وعنايـة بهـذه الجهـود، ومـدى تأثُّرِهـا وتأثيرهـا في مسـيرة الـدّرس اللغـوي والقـرآني وتاريخهمـا، كمـا تَلْفِـتُ البـاحثين للعنايـة بسِـيَرِ هـؤلاء الأعـلام ودراسـة جهـودهم في هـذا الفـنّ، وكـذا الالتفات إلى دراسة هذه المصنّفات، خاصّةً المركزية منها، وتحقيق المخطوط منها.

تلـك أهـم النتـائج الـتي توصّـلت إليهـا في هـذه الدّراسـة، والـتي كنـت فيهـا مجـرد باحـث لا مؤلـف ولا مبـدع، ولقـد بـذلت قُصـارى جهـدي وعصـارة فكـري، فـأرجوا أن أكـون قـد ألقيـت شـيئا مـن الضـوء علـى موضـوع الأطروحـة، هـذا ومـا كـان مـن توفيـق فمـن الله ومـا كـان غـير ذلـك فحسـبي أني أخلصـت النيـة في هـذا العمـل، ونأمـل أن تتيح لنا الأيام تلافي ما أمكن من ذلك.

والحمـد لله أولا وأخـيرا، ومـن جعـل الحمـد خاتمـة النعمـة جعلهـا الله فاتحـة المزيـد، نساله تعالى التوفيق والسداد.

الملاحـــــــــق

الملحق رقم:01 خريطة توضّح الطرق الشمالية التي تمر عبر توات[1].

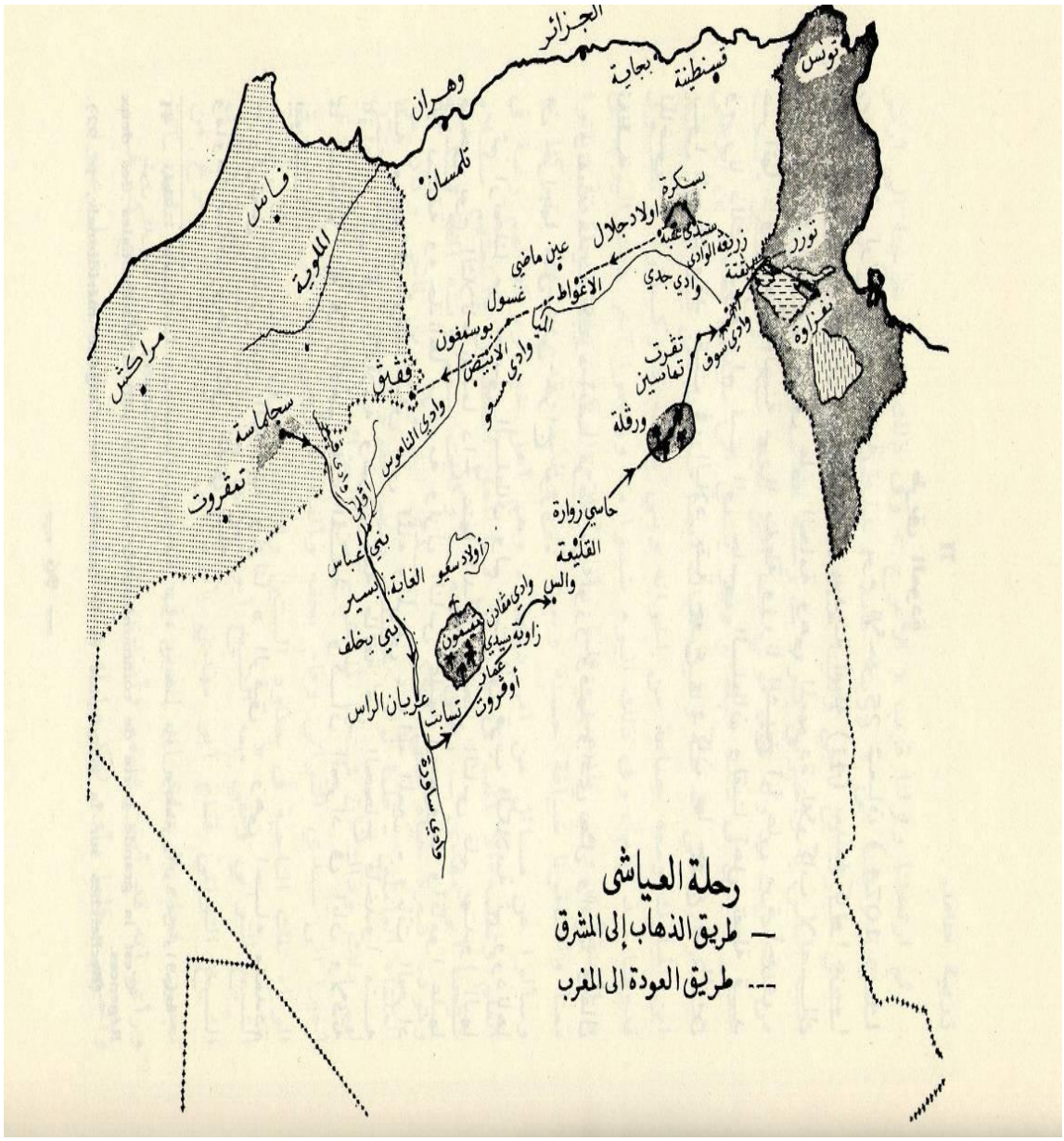

[1] مولاي بالحميسي: الجزائر من خلال رحلات المغاربة...، المرجع السابق، ص95 .

.**الملحق رقم: 02**. الورقة الأولى من مخطوط: مختصر الدر المصون في إعراب القرآن[1].

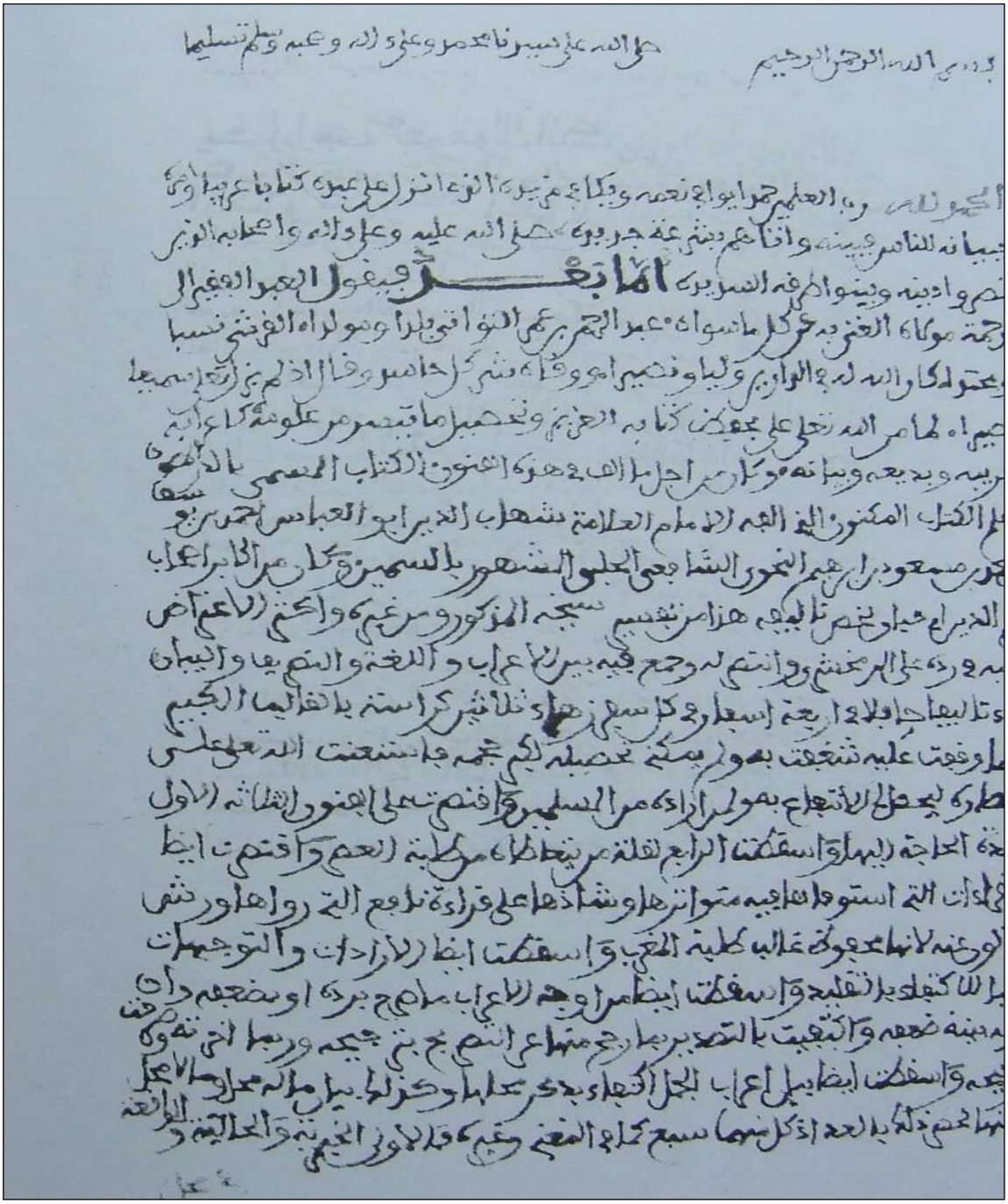

[1] مختصر السمين في إعراب القرآن،" لعبد الرحمن بن عمر التينيلاني، سمّاه "الدر المصون في إعراب القرآن"، ص03.

الملحق رقم: 03 الورقة الأولى من فهرسة عبد الرحمان بن عمر التنيلاني[1].

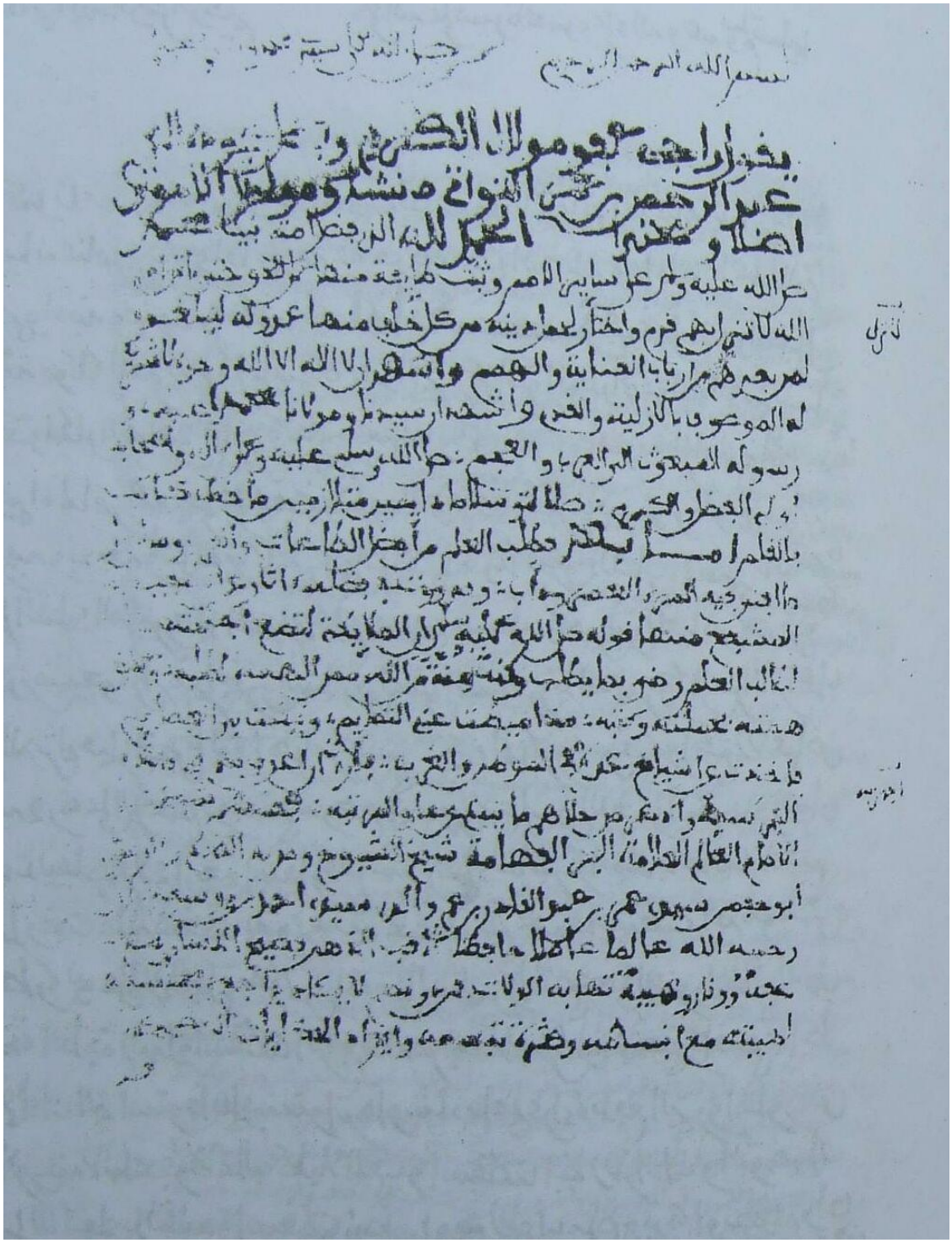

[1] عبد الرحمان بن عمر التنيلاني: الفهرسة، المصدر السابق، ص01.

ملحق رقم (04): جدول يبيّن أهم خزائن المخطوطات في توات[1].

الرقم	اسم الخزانة	مكان التواجد	اسم البلدية	اسم المؤسّس	تاريخ التأسيس	اسم المشرف الحالي
01	خزانة ع /عقباوي	قصر الزاوية	بلدية أقبلي	سيدي بونعامة	**652هـ**	عائلة عقباوي
02	خزانة أركشاش	قصر أركشاش	بلدية أقبلي	محمد التهامي	**ق. 07 هـ**	؟
03	خزانة الشيخ محمد بن مالك	قصر ساهل القديم	بلدية أقبلي	محمد بن مالك	**ق. 08 هـ**	بن مالك عبد الكريم
04	خزانة ملوكة	قصر ملوكة	بلدية أولاد أحمد	البلباليون	**قبل القرن 9 هـ**	بلبالي عبد الرحمان
05	خزانة لمطارفة	قصر لمطارفة	بلدية لمطارفة	الحاج محمد بن أحمد الراشيدي	**ق. 09 هـ**	عائلة بن ع الكبير
06	خزانة سيد الحاج بلقاسم	قصر زاوية سيد الحاج بلقاسم	بلدية تيميمون	سيدي الحاج بلقاسم	**ق. 10 هـ**	أحفاد الشيخ سيد الحاج بلقاسم
07	خزانة الشيخ المغيلي	قصر زاوية الشيخ	بلدية زاوية كنته	الشيخ المغيلي	**ق. 10 هـ**	أحفاد الشيخ المغيلي
08	خزانة تبلكوزه	قصر تبلكوزه	بلدية تينركوك	سيد الحاج أبو أمحمد	**ق. 10 هـ**	بولغيتي باحمود

[1] **المصدر**: موقع ميراث توات للأستاذ الباحث أحمد جعفري، جامعة أدرار، الرابط الإلكتروني:
https://adjaafri.univ-adrar.edu.dz/index.php

09	خزانة زاوية الدباغ	قصر زاوية الدباغ	بلدية تينركوك	سيدي محمد الدباغ	ق. 10 هـ	الدباغي أحمد بن محمد
10	خزانة فاتيس	قصر فاتيس	بلدية تينركوك	سيدي محمد بن عبد الله	ق. 10 هـ	باسيدي أحمد بن العربي
11	خزانة بادريان	قصر بادريان	بلدية تيميمون	سيد الحاج الصوفي	ق. 11 هـ	الصوفي محمد السالم
12	خزانة سيدي عومر	قصر زاوية سيدي عومر	بلدية أوقروت	الشيخ سيدي عومر بن أحمد	ق. 11 هـ	الحاج أقرابو
13	خزانة الشيخ الرقاني	قصر زاوية الرقاني	بلدية رقان	مولاي عبد الله الرقاني	ق. 11 هـ	السي محمد الرقاني
14	خزانة أنزقمير	قصر أنزقمير	بلدية أنزقمير	؟	ق. 11 هـ	عبد الرحمان بن عبد الكريم
15	خزانة زاوية سيدي حيدة	قصر زاوية سيدي حيدة	بلدية بودة	سيدي حيدة	ق11هـ	أبا سيدي جعفري
16	خزانة زاوية كنته	قصر زاوية كنته	بلدية زاوية كنته	الكنتاويون	ق. 11 هـ	كنتاوي الحاج أمحمد
17	خزانة تنيلان	قصر تنيلان	بلدية أدرار	سيدي أحمد بن يوسف	ق. 11 هـ	بن حسان أحمد
18	خزانة زاقلو	قصر زاقلو	بلدية زاوية كنته	؟	ق. 13 هـ	محمد العالمي
19	خزانة مولاي علي بن م/ اسماعيل	قصر زاوية كنتة	بلدية زاوية كنتة	الشيخ مولاي علي	ق13هـ	سيدي محمد بن سيدي حمادي

20	خزانة الشيخ سيدي أحمد ديدي	قصر تمنطيط	بلدية تمنطيط	سيدي أحمد ديدي	ق. 14 هـ	البكري الحاج أحمد
21	خزانة م/ إسماعيل بن م/المهدي	قصر زاوية كنتة	بلدية زاوية كنتة	مولاي إسماعيل	ق 14هـ	ابنه سيدي محمد
22	خزانة م/سالم بن م/إسماعيل	قصر زاوية كنتة	بلدية زاوية كنتة	مولاي سالم	ق 14هـ	أخوه م الناجم
23	خزانة كوسام	قصر كوسام	بلدية أولاد أحمد	محمد بالعالم	ق 14هـ	شاري الطيب
24	خزانة تيلولين	قصر تيلولين	بلدية أنزقمير	الحاج محمد بن سيدي جعفر	ق14هـ	الحاج عبد الرحمان جعفري
25	خزانة سالي	قصر سالي	بلدية سالي	مولاي أحمد الطاهري	ق. 14 هـ	مولاي عبد الله طاهري
26	خزانة باعبد الله	قصر باعبد الله	بلدية أدرار	بن الوليد	ق. 14 هـ	بن الوليد وليد
27	خزانة الحاج عبد القادر المغيلي	الحي الغربي ادرار	بلدية ادرار	الحاج عبد القادر المغيلي	ق 14 هـ	محمد السالم بن ع الكريم
28	خزانة الشيخ باي بلعالم	قصر الركينة	بلدية أولف	محمد باي بلعالم	ق. 14هـ	الشيخ باي بلعالم
29	خزانة أولاد إبراهيم	قصر أولاد إبراهيم	بلدية أولاد أحمد	؟	ق. 14 هـ	مولاي قريشي
30	خزانة باحو	قصر باحو	بلدية سالي	؟	ق14هـ	بلحبيب ع الرحمان

31	خزانة سيدي محمد الصدوق	قصر تمنطيط	بلدية تمنطيط	سيدي محمد الصدوق	ق. 14 هـ	؟
32	خزانةبني تامر	قصر بني تامر	بلدية أولاد أحمد	؟	ق 14هـ	مبدو بي أمحمد
33	خزانة فاعون	قصر الحاج قلمان	لدى أولاد سعيد	محمد الطاهر	؟	أباحيا الطيب
34	خزانة الشيخ إبراهيم	قصر أولاد سعيد	بلدية أولاد سعيد	؟	؟	إبراهيم بن عبد القادر
35	خزانة أولاد سعيد	قصر أولاد سعيد	بلدية أولاد سعيد	؟	؟	الجوزي عبد الرحمان
36	خزانة الشيخ بختي	قصر زاوية حينون	بلدية أولف	؟	؟	الشيخ أبختي امبارك
37	خزانة الشرفاء	قصر زاوية كنته	بلدية زاوية كنته	الشرفاء	؟	عائلة اسماعيلي
38	خزانة بني مهلال	قصر بني مهلال	بلدية تيميمون	؟	؟	بزكار بلقاسم
39	خزانة أولاد المليابي	قصر تمادنين	بلدية رقان	سيدي محمد بن علي بن زكريا	961هـ	مليابي عابدين
40	خزانة وجلان	قصر وجلان	بلدية تسابيت	؟	؟	؟
41	خزانة برينكان	قصر برينكان	بلدية تسابيت	؟	؟	باعربي عبد القادر
42	خزانة/ز سيد البكري	قصر زاوية سيدي البكري	بلدية أولاد أحمد	؟	؟	بكراوي محمد بن سالم

43	خزانة البلباليين	قصر أولاد ونقال	بلدية أدرار	عائلة البلباليين	؟	بلبالي الطاهر
44	خزانة آدغا	قصر آدغا	بلدية أدرار	؟	؟	سليماني علي
45	خزانةأ.علي بن موسى	قصر تمنطيط	بلدية تمنطيط	؟	؟	محجوبي عبد العزيز
46	خزانة سيدي سالم	قصر تمنطيط	بلدية تمنطيط	؟	؟	البكري الجازولي
47	خزانة أولاد سيدي وعلي	قصر تمنطيط	بلدية تمنطيط	؟	؟	بكراوي الحاج أحمد
48	خزانة تمنطيط	قصر تمنطيط	بلدية تمنطيط	؟	؟	صديقي بومدين
49	خزانة عباني	قصر عباني	بلدية فنوغيل	؟	؟	سالم سالم
50	خزانة تيلولين	قصر تيلولين	بلدية أنزقمير	محمد بن سيدي جعفر	؟	عبد الرحمان جعفري

ملحق رقم (05) جدول يبيّن أهم الزوايا والمدارس القرآنية في منطقة توات[1].

الرقم	اسم الموطن	مكان التواجد	اسم المؤسّس	تاريخ التأسيس
01	زاوية بني حماد	قصر زاقلو توات	بنو حماد	القرن 06هـ (550هـ)
02	زاوية مولاي سليمان بن علي	قصر أولاد وشن توات	مولاي سليمان بن علي	القرن 06هـ (581هـ)
03	زاوية محمد الطالب بن سليمان	قصر آدغا توات	قصبة محمد الطيب بآدغا	القرن 08هـ (780هـ)
04	زاوية سيد الحاج لحسن الشريف	قصر قنتور قورارة	الحاج لحسن الشريف	القرن 08هـ
05	مدرسة تمنطيط	قصر تمنطيط	سيد البكري	القرن 09هـ
06	زاوية سيدي موسى والمسعود	قصر تسفاوت قورارة	سيدي موسى والمسعود	القرن 09هـ
07	مدرسة بوحامد	قصر بوحامد توات	أبو حامد الجعفري	القرن 09هـ
08	زاوية مراقن	قصر مراقن توات	سيدي محمد السالم	القرن 09هـ (879هـ)
09	مدرسة الشيخ المغيلي	قصر بوعلي توات	الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي	القرن 09هـ
10	زاوية سيدي اعمر	تينكرام شروين	سيدي أحمد الغريب	القرن 09هـ
11	زاوية ميمون	قصر ميمون توات	الإدريسيون القادمون من تلمسان	القرن 10هـ (916هـ)
12	زاوية الشيخ عمر	قصر إقسطن قورارة	سيدي محمد بن عمر	القرن 10هـ

[1] ينظر : محمد باي بلعالم: الرحلة العلية، مرجع سابق،ج02، ص 418 وما بعدها .

13	زاوية الحاج بلقاسم	زاوية سيد الحاج بلقاسم	سيد الحاج بلقاسم	القرن 10هـ
14	زاوية سيدي باسيدي	قصر فاتيس قورارة	سيدي محمد بن عبد الله	القرن 10هـ
15	زاوية الدباغ	قصر ز/الدباغ قورارة	سيدي محمد الدباغ	القرن 10هـ
16	زاوية الحاج بو أمحمد	قصر تبلكوزة قورارة	سيد الحاج بو أمحمد	القرن 10هـ
17	زاوية سيدي عباد	قصر أولاد عيسى قورارة	سيدي عباد	القرن 10هـ
18	زاوية الواجدة	قصر الواجدة قورارة	سيدي إبراهيم	القرن 10هـ
19	زاوية بوشامية	بلغازي دلدول	سيدي بوشامية	القرن 10هـ
20	زاوية ودغاغ	قصر ودغاغ قورارة	سيدي محمد بن أبي بكر الودغاغي	القرن 10هـ
21	زاوية مولاي هيبة	بلدية تمقطن	سيدي أبو الأنوار مولاي هيبة	القرن (10هـ)
22	زاوية سيدي عومر	قصر زاوية سيدي عومر قورارة	سيدي عومر بن أحمد بن الصالح	القرن 11 هـ (1008هـ)
23	زاوية كنته	قصر زاوية كنته توات	عبد القادر بن عمر الكنتي	القرن 11 هـ (1012هـ)
24	زاوية بادريان	قصر بادريان	الحاج محمد الصوفي	(1033هـ)وقيل (1004هـ)
25	زاوية سيدي امحمد بن أحمد	أومراد أولاد سعيد	سيدي امحمد بن احمد	(1085هـ)
26	زاوية تنلان	قصر تنلان توات	سيدي أحمد بن يوسف	القرن 11هـ (1058هـ)
27	زاوية الهبلة	قصر الهبلة توات	سيدي علي بن بوبكر	القرن 11 هـ (1070هـ)

28	زاوية سيدي أمحمد بن أحمد	قصر أومراد قورارة	سيدي أمحمد بن أحمد	القرن 11هـ(1085هـ)
29	مدرسة انزجمير	قصر انزجمير	علماء انزجمير	القرن 11هـ
30	زاوية سيدي علي بن حنيني	قصر زاجلو توات	سيدي علي بن حنيني	القرن 11هـ
31	زاوية مولاي عبد الله الرقاني	قصر زاوية الرقاني توات	مولاي عبد الله الرقاني	القرن 11هـ
32	زاوية سيدي عبد الرحمان بن محمد	قصر اغزر قورارة	عبد الرحمان بن محمد بن علي	القرن 11هـ
33	زاوية سيدي زايد	قصر تبرغمين قورارة	سيدي زايد	القرن 11هـ
34	زاوية عين حمو	قصر عين حمو قورارة	سيد الحاج بولغيت	القرن 11هـ
35	مدرسة المطارفة	قصر المطارفة قورارة	الحاج محمد الصالح	القرن 11هـ
36	مدرسة كوسام	قصر كوسام	البلباليون	القرن 11هـ
37	زاوية بودة	قصر بودة توات	الشيخ محمد بن عمر	القرن 12 هـ (1100هـ)
38	زاوية الجديد	قصر الجديد توات	سيد المختار الكنتي	القرن 12 هـ (1112هـ)
39	زاوية سيدي عبد القادر	قصر ز/ع. القادر توات	سيدي عبد القادر بن عومر	القرن 12 هـ (1113هـ)
40	زاوية مهدية	قصر مهدية توات	سيدي عمر المهداوي	القرن 12 الهجري (1119هـ) وقيل (1207هـ)
41	زاوية سيد البكري	قصر زاوية سيد البكري توات	سيد البكري بن عبد الكريم	القرن 12 الهجري (1120هـ) وقيل (1109هـ)

42	زاوية شيخ الركب النبوي	قصر أقبلي تيديكلت	سيدي محمد بن عبد الرحمان	القرن 12 هـ (1137هـ)
43	زاوية تسفاوت	قصر تسفاوت توات	الحاج محمد لمجبري	القرن 12 هـ (1146هـ)
44	زاوية بودة	قصر بودة توات	الجعفري الملقب (صاحب7حجات	القرن 12 هـ (1161هـ)
45	زاوية سيدي احمادو	قصر زاجلو توات	سيدي احمادو	القرن 12هـ
46	زاوية سيدي أحمد بن سيدي باحمو	قصر زاجلو توات	أحمد بن سيدي باحمو	القرن 12هـ
47	مدرسة الشيخ سيدي محمد بلكبير	أدرار	الشيخ سيدي محمد بلكبير	القرن 12هـ
48	مدرسة مهدية	----	---	---

ملحق رقم (06) جدول يبيّن أهم الزوايا والمدارس القرآنية الحديثة في منطقة توات[1].

الرقم	اسم المدرسة	القصر	مؤسّس المدرسة
01	مدرسة الشيخ سيدي الحاج محمد بلكبير	أدرار	الشيخ سيدي الحاج محمد بلكبير
02	مدرسة الشيخ الحاج سيدي الحسان	لقصر الفوقاني أنزجمير	الشيخ الحاج سيدي الحسان
03	مدرسة الشيخ العالمي	قصر زاجلو المرابطين	الشيخ محمد العالمي
04	مدرسة الشيخ الحاج لكبير	لغمارة بودة	الشيخ الحاج لكبير بن لكبير
05	مدرسة الشيخ الطالب سالم بن ابراهيم	أدرار	الشيخ الطالب سالم بن ابراهيم
06	مدرسة الشيخ الحاج امحمد بكاري	بني مهلال تيميمون	الشيخ الحاج أمحمد بكاري
07	مدرسة الشيخ سيدي لحبيب	تاسفاوت فنوغيل	الشيخ سيدي لحبيب
08	مدرسة الشيخ الحاج الصالح أوكادو	تنقلين تيميمون	الشيخ الحاج الصالح أوكادو
09	مدرسة الشيخ خليلي	تيميمون	الشيخ الحاج أحمد خليلي
10	مدرسة الشيخ الحاج عبد القادر بكراوي	نومناس فنوغيل	الشيخ الحاج عبد القادر بكراوي
11	مدرسة الشيخ سيدي أحمد ديدي	تمنطيط فنوغيل	الشيخ سيدي أحمد ديدي
12	مدرسة الشيخ مولاي التهامي	أوقديم أدرار	الشيخ مولاي التهامي غيتاوي
13	مدرسة الشيخ الحاج عبد الكريم الدباغي	رقان	الشيخ الحاج عبد الكريم الدباغي
14	مدرسة الصحابي الجليل مصعب بن عمير	الركينة أولف	الشيخ محمد باي بلعالم
15	مدرسة الشيخ مولاي أحمد الطاهري	قصر العلوشية سالي	الشيخ مولاي أحمد الطاهري الإدريسي
16	مدرسة الشيخ الحاج محمد الدباغي	زاوية الدباغ تنركوك	الشيخ الحاج محمد الدباغي
17	مدرسة الشيخ الحاج عبد الكريم لحبيب	باحو سالي	الشيخ الحاج عبد الكريم لحبيب

[1] **المصدر**: موقع ميراث توات، للأستاذ الباحث أحمد جعفري، جامعة أدرار، الرابط الإلكتروني:
https://adjaafri.univ-adrar.edu.dz/index.php

18	مدرسة الشيخ الحاج محمد عبد الفتاح	لعياد تسابيت	الشيخ الحاج محمد عبد الفتاح
19	المدرسة الكنتية	زاوية كنتة	الشيخ عبد القادر بن عمر الكنتي
20	مدرسة الشيخ الحاج عبد القادر حلوات	برج باجي مختار	الشيخ عبد القادر حلوات
21	مدرسة الشيخ حماوي الحاج عبد القادر	أدغا أدرار	الشيخ حماوي الحاج عبد القادر
22	مدرسة الشيخ الحاج عبد العزيز سيدي عمر	مهدية أدرار	الشيخ الحاج عبد العزيز سيدي عمر
23	مدرسة الشيخ الحاج عبد القادر كنتاوي	قصر جديد تامست	الشيخ الحاج عبد القادر كنتاوي

فهرس الآيـــات والأحاديـــث

	السورة	رقم الاية	الآية	الصفحة
01	البقرة	121	الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاَوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ	210
02		265	كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ	245
03	آل عمران	39	وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِّنَ الصَّالِحِينَ	244
04	النساء	90	حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُواْ قَوْمَهُمْ	244
05	المائدة	12	وَبَعَثْنَا مِنهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً	245
06		30	فطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ	245
07	الانعام	82	الذين آمنوا ولم يلبثوا إيمانهم بظلم	132
08	الأعراف	145	وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ	116
09	يوسف	02	إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ	227
10	الرعد	17	واحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَداً رَّابِياً	245
11	الاسراء	8	وجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيراً	244
12	الكهف	21	وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَاناً رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِداً	121
13	طه	71	وَلأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ	190
14	الحج	05	فإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ	245
15	النور	14	لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ	190
16	الفرقان	32	وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً	210
17	لقمان	13	إن الشّرك لَظُلم عَظيم	132
18	الفتح	02	إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا	107
19	الحاقة	10	فَعَصَوْا رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً	245
20	الجن	18	وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً	120
21	المزمل	04	ورتل القرآن ترتيلا	210
22		12	إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيماً	245

	الحديث	الصفحة
01	" يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ احْفَظْ اللَّهَ يَحْفَظْكَ احْفَظْ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلْ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ"	104
02	" دخلت إمراة النار في هرة حبستها...	190
03	" ما اجتمَعَ قومٌ في بيتٍ من بيوتِ اللَّهِ يتلونَ كتابَ اللَّهِ، ويتدارسونَهُ فيما بينَهم إلَّا نزلَت عليهِم السَّكينةُ، وغشِيَتهُمُ الرَّحمةُ، وحفَّتهُمُ الملائكَةُ ، وذكرَهُمُ اللَّهُ فيمَن عندَهُ	132
04	" إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿إن الشّرك لَظُلم عَظيم﴾"	133

فهرس الأعلام والأماكن

العَلم ..... الصفحة

إراهيم بن عيسى الأولفي ..... 88.
ابن آجُرُّوم، ..... 91، 136،185، 188، 190، 194.
ابن الجزري ..... 225.
ابن الحاجب ..... 188، 202.
ابن الدين الأغواطي ..... 45.
ابن المجراد ..... 92، 86، 188،197، 193.
ابن بابا حيدة ..... 60.
ابن بري ..... 218، 220.
ابن بطوطة ..... 43.
ابن تيمية ..... 135.
ابن جني ..... 120.
ابن حوقل ..... 41.
ابن خلدون ..... 27، 44، 50، 72، 114، 162، 178.
ابن سيدة .... 120.
ابن عامر ..... 223.
ابن عباس .....105، 209.
ابن عطاء الله السكندري ..... 152.
ابن عقيل ..... 86، 138.
ابن فرحون ..... 240.
ابن كثير ..... 101، 209، 223.
ابن مالك ..... 86، 137، 188،138.
أبو القاسم الزياني ..... 43، 73.
أبو القاسم سعد الله ..... 72، 229.
أبو حيان التوحيدي ..... 22.
أبو سالم العياشي ..... 43، 50، 54، 75، 146، 149.
أبو محمد بن أحمد التملصوحي ..... 94.
أبو نشيط ..... 212.
أبو يحي المنياري ..... 58، 60، 61.

أبي الحسن علي باشا ..... 51.
أبي العباس، أحمد بن عبد العزيز، الهلالي، السجلماسي ..... 86.
أبي المكارم عبد الكريم بن أحمد التزدايني الجراري ..... 74.
أبي بن كعب ..... 210.
أبي ذر الغفاري ..... 135.
أبي زيد القيراوني ..... 152.
أبي سحنون ..... 152.
أبي عبد الله الخرشي ..... 166.
أبي عبد الله، الشريف، الغرناطي ..... 87.
أبي عمرو الداني ..... 223.
أبي مقرعة ..... 152.
أبي هريرة ..... 209.
أحمد أبو العباس بن عبد القادر بن أحمد بن أحمد الراشدي ..... 237.
أحمد البجائي .... 86.
أحمد البقري ..... 225.
أحمد الحبيب السجلماسي اللمطي ..... 209.
أحمد الحبيب اللمطي السجلماسي .... 79.
أحمد الرقادي الكنتي ..... 52، 149، 220.
أحمد الطاهري الإدريسي ..... 26، 30، 46، 80، 130، 145، 146، 215، 217، 236.
أحمد العماري ..... 27.
أحمد المجاص ..... 87.
أحمد المقّري التلمساني ..... 92.
أحمد النحوي. ..... 46.
أحمد بن أحمد بن محمد السجاعي ..... 86.
أحمد بن الحاج الأمين الغلاوي ..... 56.
أحمد بن الشيخ محمد الكنتي ..... 53.
أحمد بن صالح السوقي التكروري ..... 166.
أحمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الرحمن ..... 231.
أحمد بن عبد الله بن محمد البريشي الحسني القبلاوي الأزوادي ..... 80، 88.

أحمد بن محمد بن عبد القادر الفلاني ..... 215.
أحمد بن هاشم التواتي ..... 46.
أحمد بن هاشم العموري ..... 67.
أحمد بن يوسف ..... 95.
أحمد بن عبد الله بن أبي مَحَلّى السجلماسي ..... 92.
أحمد من مالك الفلاني ..... 235.
الأخضري ..... 204، 206.
الأزوق ..... 212.
الأشموني ..... 86.
الأعرج ..... 209.
الإمام مالك ..... .166.
أمحمد التواتي ..... 92.
أمحمد بن عبد الله الونقالي 236
أمحمد بن علي النحوي التمنطيطي ..... 75.
أمحمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن الحاج أحمد الجبيب ..... 201.
أمحمد عبد العزيز بن محمد بن الشيخ الحاج بلقاسم ..... 95.
أمحمد عبد الله بن عبد الكريم بن أحمد الجوراري ..... 86.
إياس بن معاوية ..... 170.
إيبورك بن عبد الله بن يعقوب السملالي ..... 205.
بابا سيد امحمد بن مالك ..... 210.
الباشا علي بن عبد القادر ..... 44.
باي بن عمر ..... 204.
البزي ..... 209.
البكري بن عبد الرحمن التنيلاني ..... 87، 198، 202.
البكري بن عبد الكريم ..... 78، 148، 149.
بلقاسم بن الحسين بن عمر الأوسيفي القوراري ..... 75، 95.
بلكبير ..... 130.
البيضاوي ..... 135، 235، 239،236.
التاجوري ..... 152.

الجاحظ ..... 200.
الجلاب ..... 62.
جلال الدين السيوطي ..... 134، 241.
جلال الدين المحلي ..... 134، 241.
جيرهاردر رولفس ..... 45، 58.
الحاج أبو محمد بن أحمد بن أبوبكر الجزولي ..... 95.
الحاج لحسن ..... 96.
الحريري ..... 138، 188، 196.
الحسن الوزان الملقّب بليون الإفريقي ..... 44، 45.
الحسن بن سعيد البكري ..... 149.
الحسن بن مسعود اليوسي، المراكشي، المالكي ..... 87.
حسين نصار ..... 65.
حمزة ..... 223.
حمزة بن الحاج أحمد بن أمحمد القبلاوي الفلاني ..... 80، 209، 213، 214، 215.
حوتية محمد ..... 124.
خالد بن عبد الله ابن أبي بكر الأزهري ..... 188.
خديجة بنت محمد الحسن ..... 80.
خلفان بن ناصر ..... 104.
داوود بن نصير الطائي ..... 105.
الدماميني ..... 92.
الذهبي ..... 223.
الرازي ..... 239.
الراغب الاصفهاني ..... 239.
رشيد رضا ..... 238.
الزجلاوي ..... 59.
زروق ..... 152.
الزهري ..... 209.
سالم بن محمد أبي بكر العصنوني التلمساني ..... 58، 63.
السعد ..... 152.

السعدي بن محمد الصالح بن البكري ..... 193.
سعيد بن المسيب ..... 209.
سعيد بن سعد بن محمد بن علي بن نبهان الحضرمي الشافعي ..... 196.
سعيد بن لحاج إبراهيم المشهور بقدورة الجزائري ..... 92.
السلطان أبي حمو موسى الأول ..... 120.
سليمان بن علي بن عمر الحسني ..... 60، 81، 234.
السمين الحلبي ..... 212، 244.
السنوسي .....152.
سيبويه ..... 51.
سيد أحمد الخليفة بن عمر بن الشيخ سيد أحمد الفيوم ..... 79.
السيوطي .....204.
الشاطبي .....223.
الشريف الإدريسي .....42.
الشريف الحاج يحي المنيعي ..... 95.
الشريف السليماني ..... 95.
شمس الدين الحجازي ..... 86.
شهاب الدين البناني الدمياطي ..... 209.
الشوكاني ..... 238.
الصالح بن البكري ..... 193.
صالح بن محمد الغماري اللمطي ..... 209، 220.
صالح بن محمد بن أبي بكر العضوي الدراوي التواتي ..... 248.
ضيف الله بن محمد بن ابَّ المزمري ..... 66، 93، 94، 201، 186.
الطاهر بن عبد المؤمن ..... 25.
الطيبي ..... 204.
عاصم ..... 22.
عباد بن أحمد ..... 95.
عبد الحاكم بن عبد الكريم بن أحمد الجراري ..... 87، 92.
عبد الحق بن عبد الكريم قاضي توات ..... 149.
عبد الرحمن السعدي ..... 24.

عبد الرحمن بن ابراهيم بن عبد الرحمن الجنتوري ..... 59، 77، 135، 235، 236.
عبد الرحمن بن أحمد التجاني ..... 99.
عبد الرحمن بن إدريس التنيلاني ..... 68، 213، 235.
عبد الرحمن بن أمحمد العالم الأنصاري الزجلاوي ..... 206.
عبد الرحمن بن عمر التنلاني التواتي ..... 46، 52، 65، 66، 68، 78، 134، 135، 165،
.....166، 169، 197، 199، 212، 220، 222، 224، 235، 244.
عبد الرحمن بن محمد التواتي التماوي ..... 220، 213.
عبد الرحمن بن محمد السكوتي الملايخافي ..... 213، 214، 215.
عبد الرحمن حفصي ..... 135، 188، 201، 203، 232، 236.
عبد الرحيم بن إبراهيم التواتي ..... 235.
عبد الرحيم بن محمد التيماوي ..... 224.
عبد السلام بوشارب ..... 100.
عبد القادر الراشدي القسنطيني ..... 229.
عبد القادر باجي ..... 91.
عبد القادر بن عمر التنيلاني ..... 46، 65.
عبد القادر بن عمر المهداوي ..... 69.
عبد القاهر الجرجاني ..... 203.
عبد الكريم البلبالي ..... 59.
عبد الكريم بن أمحمد التمنطيطي ..... 54، 57.
عبد الكريم بن امحمد بن أبي محمد التواتي ..... 74، 92، 193.
عبد الكريم بن بابا حيدا التمنطيطي ..... 245.
عبد الله ابن أبي بكر العصنوني .....52، 58، 63.
عبد الله الرقاني ..... 146.
عبد الله بن أحمد الفلاني ..... 67.
عبد الله بن عبد الكبير المطارفي ..... 220.
عبد الله بن محمد بن أحمد المنساوي ..... 65.
عبد الله بن محمد، الخزرجي، المالكي، الأندلسي، السكندري ..... 87.
عبد الله بن يعقوب ..... 95.
عبد الله بن يوسف، بن هشام ..... 86.

عبد الله محمد التواتي ..... 51.
عبد الوهاب بن السلار ..... 225.
عثمان بن عفان ..... 95، 129.
عقبة بن نافع الفهري ..... 26.
على بن الطيب ..... 25.
علي الأجهوري المصري ..... 92.
علي بن إبراهيم ..... 95.
علي بن أحمد الرقادي ..... 150.
علي بن حرزهم ..... 60.
علي بن حنيني ..... 93، 149.
علي بن عبد الغني أبو الحسن الحصري ..... 221.
علي بن مبارك قريشي ..... 206.
علي سليماني ..... 67.
عمار بابا بن محمد بن أحمد الفلاني ..... 88.
عمر ابن أحمد البكاي ..... 75.
عمر الشيخ الكنتي ..... 53.
عمر بن صالح الوجرتي ..... 149.
عمر بن عبد الرحمان بن يوسف التنيلاني ..... 69، 76، 77، 150.
عمر بن عبد القادر التنيلاني ..... 52، 166.
عمرَ بنِ مظفرِ بنِ عمرَ، أبي حفصٍ زينِ الدينِ ابنِ الوردي المعري الكندي ..... 196.
عمرو بن محمد بن عمرو الباز الأمريني التمنطيطي ..... 63، 72.
الغازي ..... 78.
قالون ..... 209، 212، 219.
القرطبي ..... 135، 240.
الكسائي ..... 223.
اللقاني ..... 75.
مارتن Martin ..... 27، 45، 67.
المارغيني ..... 218، 219.
ماندوفيل Mandeville ..... 27.

المحفوظ بن الجوزي ..... 86، 87.
المحفوظ بن محمد بن الحاج محمد التيماوي ..... 212.
محمد ابن مبارك ..... 26، 149.
محمد الإداوعلي ..... 78.
محمد البكري بن عبد الرحمن ..... 90.
محمد البلبالي ..... 236.
محمد التهامي الهقاري ..... 88.
محمد الحسن بن سعيد البكري ..... 236.
محمد الحسن بن محمد بن الحاج أحمد الفلاني..... 79، 194.
محمد الصافي بن البركة الأدغاغي ..... 247.
محمد العالم بن السيد محمد الجزولي ..... 236.
محمد الكنتي ..... 202.
محمد المختار بن سيد أحمد بن الفقيه سيد محمد بن سيد محمد العالم ..... 194.
محمد المكي السجلماسي ..... 209.
محمد باي بلعالم القبلوي الفلاني .... 33، 80، 126، 130، 134، 138، 187، 192، 193، 196، 217، 236، 245.....
محمد بن أب المزمري ..... 66، 77، 94، 185، 190، 196، 197، 201، 202، 203، 204، 213، 236.....
محمد بن أحمد المطارفي ..... 237.
محمد بن اسماعيل القراري ..... 75.
محمد بن المحفوظ بن محمد الوشاني ..... 247.
محمد بن المختار بن أحمد الوافي الكنتي القرشي الملقب ببادي بن أحمد..... 88، 190، 195، 201، 203، 204.....
محمد بن أمحمد الزجلاوي ..... 235.
محمد بن عبد الرحمان ..... 149.
محمد بن عبد الرحمان الملقب بأبي نعامة الكنتي ..... 56، 79، 158.
محمد بن عبد الرحمن البلبالي ..... 169، 206.
محمد بن عبد الرحمن بن سليمان الجزولي ..... 94.
محمد بن عبد القادر بلعالم ..... 80، 88.

محمد بن عبد الكريم المغيلي ..... 53، 61، 75، 91، 152، 174، 205، 230.
محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق البكراوي ..... 25، 46، 74.
محمد بن عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم البلبالي ..... 201.
محمد بن عبد الله الصوفي ..... 94، 95.
محمد بن عبد الله عمار بن عبد الرحمن التنلاني ..... 237.
محمد بن عبد الملك القرشي ..... 138.
محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم الدرعي ..... 134، 222، 235.
محمد بن عومر بن محمد بن المبرك البداوي الجعفري ..... 25، 26.
محمد بن قاسم الأنصاري الرصاع ..... 24.
محمد بن مالك الفلاني ..... 205.
محمد بن محمد الشريشي الخراز ..... 221.
محمد بن محمد العالم الزجلاوي الأنصاري ..... 93.
محمد بن محمد العالم الزجلاوي الأنصاري..... 244.
محمد بن محمد بن سيدي علي ..... 150.
محمد صديق حسن خان القنوجي ..... 134، 237، 238.
محمد عبد الحفيظ بن الشيخ سيدي الصالح بن سيدي محمد ..... 69.
محمد عبد العزيز البلبالي ..... 236.
محمد علي الوقروتي ..... 149.
محمد منير مرسي ..... 100.
محمود كعت ..... 44.
المختار الكنتي الكبير ..... 80، 194، 202.
مصعب بن عمير ..... 126، 134.
المغراوي ..... 87.
المقريزي ..... 120.
المهداوي ..... 78.
المهدي الشيعي ..... 25.
موسى القنتوري ..... 95.
مولى العندوس ..... 95.
ميمون بن عمرو بن الباز ..... 61، 87.

نافع بن نعيم ..... 208، 209، 211، 213، 218، 219، 223.
ورش ..... 209، 201، 212، 219.
الونشريسي ..... 152.
يحي بن يدير التدلسي ..... 61، 63.
اليعقوبي ..... 41.

المكان **الصفحة**

الأبيض سيدي الشيخ ....38.
أزفافين ....76، 96.
ازكر ....71.
الازهر ....121.
اغدامس ....38.
إفريقيا ....33، 36، 37، 45، 50، 51، 72، 93، 100.
أقبلي ....34، 56، 66، 79، 80، 82، 210، 214، 248.
أمقيدن ....28، 67، 95.
الأندلس ....75.
أوسيف ....75، 95.
أوقروت ....36، 146، 149.
أولاد سعيد ....36، 74، 86، 94، 95.
أولاد عمور ....67.
أولاد عياش ....95.
أولف ....35، 77، 80، 126، 130، 134، 135، 171، 236.
ايليزي ....216.
اينغر ....34.
بجاية ....72، 120، 224، 228.
بدريان ....94، 147.
بني عباس ....43.
بني يخلف ....43.
بودا، بودة ....35، 44، 130.
بوعلي ....66.
تادلا ....75.
تادمايت ....29، 34، 35، 36.
تاسفاوت / تسفاوت ....30, 35، 95، 130.
تافيلالت ....56، 78، 79.
تاونزا ....95.
تبلكوزة ....94.

تسابيت ..... 35، 36، 43، 44.
تقراف ..... 35، 66.
التكرور ..... 24، 63، 65، 79، 166.
تلمسان ..... 38، 51، 61، 63، 72، 92، 12، 124، 224، 228.
تمصلوحت ..... 95.
تمنطيط ..... 27، 29، 35، 37، 44، 54، 57، 58، 60، 61، 63، 64، 69، 87، 130، 148.
تنزروفت ..... 28، 30، 34.
توات الوسطى ..... 30، 34، 35، 64.
تونس ..... 51، 74، 100، 121.
تيجورارين / تيقورارين ..... 27، 35، 43، 44، 146.
تيديكلت ..... 27، 28، 29، 31، 34، 64، 80، 85، 126، 134، 145، 156، 158، 165، 188، 236.
تيط ..... 34.
تيمادنين ..... 66.
تيمي ..... 35، 36، 63، 135، 148، 150.
تيميمون ..... 29، 36، 95، 130.
تينركوك ..... 36، 94.
جامع القرويين ..... 72، 76، 121، 222.
الحجاز ..... 50، 51، 54، 69، 71، 73، 75، 77، 92، 149.
الدار الحمراء ..... 69.
دمشق ..... 225.
رقان ..... 30، 34، 35، 67.
زاجلو ..... 93، 165.
ساقية "ورملن" ..... 69.
سالي ..... 35، 66، 80.
سجلماسة ..... 27، 38، 41، 42، 43، 44، 50، 52، 65، 78، 79.
سوى ..... 71.
الشام ..... 75، 149.

شنقيط ..... 50، 78، 215.
العرق الشرقي الكبير ..... 28.
العرق الغربي الكبير ..... 28، 29، 35.
عمنات ..... 135، 236.
عين صالح ..... 29، 34، 69، 71.
غانا ..... 37.
غرداية ..... 38، 68، 216.
فاس ..... 51، 52، 60، 61، 63، 65، 74، 76، 80، 93، 98، 121، 163، 166، 213، 222، 224، 225.
فزان ..... 41.
فقارة الزوى ..... 34.
فلسطين ..... 74.
فنوغيل ..... 67.
قبصر اعباني ..... 78.
قسنطينة ..... 61، 120، 228.
قصر أركشاش ..... 34، 80.
قصر أولاد الحاج ..... 34، 35، 77.
قصر أولاد أوشن ..... 82.
قصر بني مهلال ..... 75، 96.
القيروان ..... 72، 121.
ليبيا ..... 38، 43، 50، 72.
ماسين ..... 95.
مالي ..... 24، 29، 36، 37، 38، 50، 77، 79، 80، 215.
متليلي ..... 68.
المدية ..... 68.
المدينة المنورة ..... 101، 121.
مراكش ..... 37، 87، 98، 216.
المستور ..... 67.

مصر ..... 38، 42، 43، 50، 51، 69، 71، 72، 73، 74، 75، .....77، 83، 121، 134، 166، 223، 224.
مطريون ....35.
المغرب .... 38، 51، 74، 77، 79، 90، 2016، 239.
مكة ....74، 77.
مكناس ....76، 98.
ملوكة ....169.
منطقة إيغرغارين ....34.
منطقة فقيق ....44.
المهدية ....69، 150.
موريتانيا ....38.
نومناس ....130.
هضبة مويدر ....28، 34.
الهقار / الأهقار ....100، 210، 215،
واد الساورة ....27، 30، 35، 43.
واد المایة ....28.
واد قير ....30.
واد مسعود ....27، 28، 30، 31، 35.
وادي زوزفانة ....30.
وادي قاريت ....28، 30، 34
وارقلان ، ورقلة ....38، 216.
ولات / ولاتة / ولاتن ....25، 56، 63.

ثبت المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.
- البخاري؛ أبو عبد الله محمد بن اسماعيلبن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه: صحيح البخاري، تح: جماعة من العلماء، الطبعة السلطانية، بولاف ، مصر، 1311هـ.
- الترمذي؛ محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك أبو عيسى: سنن الترمذي، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون، ط2، 1395هـ/1975م.
- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري؛ أبو الحسن: صحيح مسلم، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1374هـ/1955م.

أولا: المخطوطات:

- ابن أبَّ ضيف الله: رحلة إلى قبر الوالد، مخطوط، الخزانة البكرية بتمنطيط، أدرار، الجزائر.
- ابن أبَّ محمد بن أحمد بن عثمان المزمري التواتي: تحلية القرطاس بالكلام عن مسألة تضمين الخماس، مخطوط، مكتبة مولاي علي، أولاد إبراهيم، تيمي، أدرار، الجزائر.
- ابن أبي محلي أبو العباس أحمد بن عبد الله بن محمد العباسي السجلماسي: جواب ابن أبي محلي على سؤال في المعرفة بالله، مخطوط، خزانة سيدي أحمد ديدي البكرية، تمنطيط، أدرار، الجزائر.
- البكري البكري بن عبد الكريم: إعلام الإخوان بأخبار بعض السادة الأعيان، مخطوط بالخزانة البكرية، تمنطيط، أدرار، الجزائر.
- البكري عبد الحق بن عبد الكريم: غنية المقتصد السائل فيما وقع في توات من القضايا والمسائل، مخطوط بمكتبة محمد العالم بن عبد الكبير، المطارفة، أدرار، الجزائر.
- البكري عبد الكريم بن محمد التمنطيطي: الرحلة في طلب العلم، مخطوط بخزانة سيدي أحمد ديدي، تمنطيط، أدرار، الجزائر.
- البكري محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي: تقيد حول تاريخ تمنطيط، مخطوط بالخزانة البكرية بتمنطيط، أدرار، الجزائر.
- البكري محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي: تقييد حول تاريخ تمنطيط، مخطوط بالخزانة البكرية بتمنطيط، أدرار، الجزائر.

- البكري محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي: جوهر المعاني في من ثبت لدى من علماء القرن الثاني، مخطوط بخزانة مولاي سليمان بن علي، أدغاغ، أدرار، الجزائر.
- البكري محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق التمنطيطي: دُرَّة الأقلام في أخبار المغرب بعد الإسلام، مخطوط بخزانة شاري الطيب، كوسام، أدرار، الجزائر.
- البكري محمد بن عبد الكريم: دُرّة الأقلام في أخبار المغرب بعد الاسلام، مخطوط بخزانة المطارفة، أدرار، الجزائر.
- البلبالي محمد عبد الكريم بن عبد المالك: غاية الأماني في أجوبة أبي زيد التنلاني، خزانة مولاي سليمان بن علي، أدغاغ، أدرار، الجزائر.
- البلبالي محمد عبد الكريم بن عبد الملك: غاية الأماني في أجوبة إلى زيد التنلاني، مخطوط بخزانة فضيلة الشيخ الحاج محمد باي بلعالم، الركينة، أولف، أدرار، الجزائر.
- البلبالي محمد: الكتاب الجامع لفتاوى أبي زيد التنلاني، خزانة مولاي سليمان بن علي، أدغاغ، أدرار، الجزائر.
- بن سالم الطيب عبد الله: جريدة مختصرة في أنساب أصل تيمي، خزانة كوسام، أدرار.
- بن موسى أحمد: الرموز، مخطوط بخزانة كوسام ، أدرار، الجزائر.
- التينيلاني عبد الرحمن بن عمر: الرحلة الحجازية، خزانة باعبد الله، أدرار، الجزائر.
- التينيلاني عمر بن عبد القادر: الدّرة الفاخرة، مخطوط، بخزانة الوليد بن الوليد، بقصر با عبد الله، أدرار، الجزائر.
- الجعفري البوداوي محمد بن عمر بن محمد بن أحمد الحبيب بن محمد بن المبروك: نقل الرواة عن من أبدع قصور توات، خزانة المخطوطات بن حسان، زاوية تنلان، أدرار، الجزائر.
- الجنتوري أبو زيد عبد الرحمن بن إبراهيم: معونة الغريم، ببعض أحكام قضاء الغريم، خزانة أولاد القاضي، أولاد سعيد، تيميمون، أدرار، الجزائر.
- الجنتوري أبو زيد عبد الرحمن بن إبراهيم: نوازل الجنتوري، مخطوط، خزانة الوليد بن الويد، قصر با عبد الله تيمي، أدرار، الجزائر.

- العقباوي سيد البكاي بن سيدي عزيزي: تقييد حول حياة شيخ الركب النبوي، سيدي محمد بن أبي نعامة الكنتي، مخطوط بخزانة شيخ الركب النبوي، قصر الزاوية، أقبلي، أولف، أدرار، الجزائر.
- مجهول: تقييد في تاريخ الأخبار التواتية، خزانة سيدي عبد الله البلبالي، كوسام، أدرار، الجزائر.
- مجهول: تقييد في نسب ومناقب مولاي سليمان بن علي، مخطوط خزانة سليماني، قصر أدغا، أدرار، الجزائر.
- مجهول: تقييد فيما جرى من الشدائد بتوات، خزانة مولاي سليمان بن علي، أدغا، أدرار، الجزائر.
- المطارفي الحاج عبد الكبير: تقييد حول علماء الدغامشة وجرارة، خزانة كوسام، أدرار، الجزائر.
- المغيلي محمد بن عبد الكريم: رسالة المغيلي لأهل توات من السودان، خزانة بودة، أدرار، الجزائر.

ثانيا: الكتب المطبوعة:

- الإدريسي الشريف: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422هـ/2002م.
- الأسد ناصر الدين: مصادر الشعر الجاهلي المؤلف، دار المعارف، مصر، ط 07، 1988م.
- آعراب سعيد: القراء والقراءات بالمغرب: دار الغرب الاسلامي، لبنان، ط1، 1990.
- اعفيف محمد: توات؛ مساهمة في دراسة مجتمعات الواحات وتاريخها، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، د.ط، د.ت.
- آل ياسين محمد جسين: الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث الهجري، د.د.ن، ط1، 1980.
- الأنباري أبي بكر محمد بن القاسم بن بشار: إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، تح: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، 1971.

- ابن بابا حيدة: القول البسيط في أخبار تمنطيط، تح: فرج محمود فرج، ديوان المطبوعات الجامعية والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1977.
- باباعمي محمد بن موسى وآخرون: معجم أعلام الإباضية، لجنة البحث العلمي، قسم المغرب، ط1، منشورات جمعية التراث، المطبعة العربية، غرداية، الجزائر، 1420هـ/1999م.
- الباذش ابن الباذش أبو جعفر أحمد: الإقناع في القراءات السبع، تح: عبد المجيد قطامش، ط01، ج1، دار الفكر، دمشق،1403هـ.
- باري عثمان برايما: جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الأفريقي، ط1، دار الأمين، مصر، 2000.
- بالحميسي مولاي: الجزائر من خلال الرحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية، الجزائر، 1981م
- برايما باري عثمان: جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الأفريقي، دار الامين، مصر، ط1، 2000.
- بروفنسال ليفي: (الزوايا)، دائرة المعارف الإسلامية، تع: أحمد الشنتاوي وآخرين، المجلد 10، القاهرة 1933.
- ابن بطوطة محمد بن عبد الله اللواتي الطنجي أبو عبد الله: رحلة ابن بطوطة (تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الأسفار)، تح: محمد عبد المنعم العريان، دار احياء العلوم بيروت، ط1، 1987.
- بكري عبد الحميد: النبذة في تاريخ توات وأعلامها من القرن التاسع الهجري إلى القرن الرابع عشر، دار الغرب، الجزائر، ط2، 2007.
- بلعالم محمد باي: إرشاد الحائر إلى معرفة قبيلة فلان في جنوب الجزائر، ط1، 1433هـ.
- بلعالم محمد باي: الرحلة العلية الى منطقة توات لذكر بعض الاعلام والآثار والمخطوطات والعادات وما يربط توات من الجهات، دار هومة، الجزائر، 2005م.
- بلعالم محمد باي: الغصن الداني في ترجمة وحياة الشيخ عبد الرحمن التنلاني، دار هومة، 2004.

- بلعالم محمد باي: ضياء المعالم شرح على ألفية الغريب لابن العالم، مطابع عمار قرافي، باتنة، (د.ت).
- بلعالم محمد باي: فواكه الخريف شرح على بغية الشريف، مطابع عمار قرفي، باتنة، الجزائر، 1419هـ.
- بلعالم محمد باي: كفاية المنهوم شرح على اللؤلؤ المنظوم، مطبعة عمار قرفي، باتنة، د.ط، د.ت.
- بلعالم محمد باي: منحة الأتراب شرح على ملحة الإعراب، دار هومة، الجزائر، ط1، 2001.
- بليل رشيد: قصور قورارة وأولياؤها الصالحون في المأثور الشفاهي والمناقب والأخبار المحلية، مذكرات المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الانسان والتاريخ، ط1، وزارة الثقافة، الجزائر، 2008.
- بن طرهوني محمد بن رزق: التفسير والمفسرون في غرب إفريقيا، دار ابن الجوزي، ط1، 1426هـ.
- بن عبد السلام محمد بن عبد الملك القرشي الأموي، منحة الملك الوهاب بشرح ملحة الإعراب للحريري، تح: عبد اللطيف محمد محمد داود، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2018.
- بنعبد الله عبد العزيز: الموسوعة المغربية للإعلام البشرية والحضارة،"معلمة الصحراء"، مطبوعات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، المغرب 1976م.
- بوسَليم صالح: إقليم توات ودوره في تجارة القوافل التجارية، ط1، منشورات مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة غرداية، 2019.
- بوشارب عبد السلام: الهقار أمجاد وأنجاد، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والتوزيع، رويبة، 1995.
- بوعزيز يحي: أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ط01، ج01، دار الغرب الإسلامي، لبنان –بيروت،1995.

- بوكبوط محمد: مقاومة الهوامش الصحراوية للاستعمار 1830-1938؛ صفحات مجهولة من صمود أهل التخوم الشرقية من تافيلالت إلى واد نول، دار أبي رقراق، المغرب، 2005.
- بوكراع محفوظ بن ساعد: الفرقد النائر في تراجم علماء أدرار المالكية الأكابر، دار الكتب العلمية.
- بونابي الطاهر: التصوف في الجزائر خلال القرنين 6و7 الهجريين/12 و13 الميلاديين (نشأته-تياراته-دوره الاجتماعي والثقافي والفكري والسياسي)، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر 2004.
- التافتازاني سعد الدين: شروح التلخيص (والمغربي، السبكي والسعد)، ج1، جمع: فرج الله زكي الكردي، مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر،1937م.
- التجاني الطالب عبد الرحمن بن أحمد: الكتاتيب القرآنية بندرومة من 1900 إلى 1977، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.
- الترمذي الحكيم: الأمثال من الكتاب والسنة: تح: سيد الجميلي، دار ابن زيدون، لبنان، ط2، 1987.
- التنبكتي أحمد بابا: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، ط1، بيروت، دار ابن حزم، 2002.
- التنبكتي محمود كعت: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، تح: آدم بمبا، دار الرسالة ناشرون، 1435هـ/2014م.
- التونسي إبراهيم بن أحمد المارغني: دليل الحيران على مورد الظمآن في فني الرسم والضبط للخراز، ويليه تنبيه الخلان لابن عاشر باعتبار قراءة نافع، مطبعة النجاح، ليبيا، (د.ت).
- ابن تيمية أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام: اقتضاء الصراط المستقيم، ط2، تح: ناصر عبد الكريم العقل، دار اشبيليا، الرياض، 1998.
- الجاحظ عمر بن بحر أبو عثمان: رسائل الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1964م.
- جرجي زيدان: تاريخ التمدن الإسلامي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012.
- الجرمي إبراهيم محمد: الإمام الشاطبي سيد القراء، ط1، دار القلم دمشق، 2000.

- ابن الجزري محمد: المقدمة فيما يجب على قارئ القرآن أن يعلمه: تح: أيمن رشدي سويد، ط4، دار نور المكتبات، السعودية، 2006 .
- الجزري: غاية النهاية في طبقات القراء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2006.
- جعفري أحمد أبا الصافي: أبحاث في التراث، ط 1، منشورات الحضارة، الجزائر،2011.
- جعفري أحمد أبا الصافي: الحركة الأدبية في إقليم توات من القرن السابع الهجري حتى نهاية القرن الثالث عشر الهجري، ط1، منشورات الحضارة، 2009.
- جعفري أحمد أبا الصافي: الشيخ سيدي محمد إداوعلي (ق12هـ) حياته وشعره، مكتبة النهضة المصرية، (د.ط)، 2009.
- جعفري أحمد أبا الصافي: المخطوطات الجزائرية وأعلامها في المكتبات الإفريقية، إصدارات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، دار نور شاد، الجزائر، 2015.
- جعفري أحمد أبا الصافي: محمد بن اب المزمري(ت.1160هـ) حياته وآثاره، ط1، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2004.
- جعفري مبارك: العلاقات الثقافية بين توات والسودان الغربي خلال القرن الثاني عشر الهجري، ط1، دار السبيل، الجزائر، 2009.
- الجوزي عبد الرحمان: ذاكرة الماضي في حياة أولاد القاضي، (بحث غير منشور).
- الجيلالي عبد الرحمن: تاريخ الجزائر العام، ط2، مكتبة الشركة الجزائرية، الجزائر، 1965.
- حاج أحمد الصديق: التاريخ الثقافي لإقليم توات من القرن الحادي عشر الهجري إلى القرن الرابع عشر الهجري، ط2، منشورات الحبر، الجزائر، 2011.
- حاج أحمد الصديق: التّاريخ الثقافي لإقليم توات، منشورات مديرية الثقافة لولاية أدرار، 2003.
- حاج أحمد الصديق: من أعلام التراث الكنتي المخطوط" الشيخ محمد بن بادي الكنتي، حياته وآثاره"، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، الجزائر،2006.
- حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، تح: محمد شرف الدين يالتقايا، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1940.

- حجي محمد: الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، المغرب،1977.
- حركات إبراهيم: المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 2000.
- الحفناوي أبي القاسم محمد: تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانة، الجزائر، 1906.
- حمادة محمد ماهر: المكتبات في الإسلام؛ نشأتها وتطورها ومصائرها، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2، 1978.
- حميتو عبد الهادي: حياة الكتاب وأدبيات المحضرة، ط1، دار أبي رقراق، الرباط، 2006.
- حوتية محمد الصالح: توات والأزواد خلال القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة، جزآين، ط01، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2007.
- ابن حوقل أبي القاسم: صورة الأرض، ط2، دار صادر، بيروت، 1938.
- ابن حوقل: كتاب المسالك والممالك، مطبعة بريل، 1973.
- خدوسي رابح وآخرون: موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، منشورات الحضارة، 2014.
- ابن خلدون عبد الرحمن: العبر، وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج7، بيروت، لبنان 1967م.
- ابن خلدون عبد الرحمن: المقدمة، تح: عبد الله الدرويش، ط1، دار البلخي، دمشق،2004.
- ابن خلدون عبد الرحمن: تاريخ ابن خلدون، تح: خليل شحاتة، ج6، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، 2000.
- ابن خلدون عبد الرحمن: رحلة ابن خلدون، تح: محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004.
- ابن خلدون عبد الرحمن: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج7، بيروت، 1959م.
- ابن خلدون عبد الرحمن: كتاب العبر، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2004.

- الداني عثمان بن سعيد أبي عمر: التحديد في الاتقان والتجويد، تح: غانم قدوري الحمد، ط1، دار عمار، الأردن، 2000.
- دندش عصمت عبد اللطيف: دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب افريقيا، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1988.
- دونالد. ل. وايدنر، تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، تر: شوقي الجمل وآخرون، مؤسسة سجل العرب، 1976.
- الذهبي الإمام: معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تح: طيار آلتي قولاج، إستانبول، 1995.
- الذهبي؛ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز: سير أعلام النبلاء، دار الحديث القاهرة، 2006.
- الرصاع محمد بن قاسم: فهرست الرصاع، المكتبة العتيقة، تح: محمد العنابي، د.ت، د.ط.
- الريماوي حسين وآخرون: الجغرافيا الطبيعية والبشرية، مركز المناهج، فلسطين، د.ط، د.ت.
- زبادية عبد القادر: أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي؛ تقديم وتحقيق: عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974.
- الزبيدي محمد بن الحسن أبو بكر: طبقات النحويين واللغويين، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، (د.ت)
- الزبيدي محمد مرتضى: المعجم المختص، تح: نظام محمد صالح يعقوبي ومحمد بن ناصر العجمي، ط1، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 2006.
- الزرقاني محمد عبد العظيم: مناهل العرفان في علوم القرآن، ط1، دار الكتاب العلمية، لبنان 2002.
- الزركلي خير الدين: الأعلام، ج2، ط5، دار العلم للملايين، بيروت، 2002.
- الزواوي أبو يعلى: تاريخ الزواوة، ط1، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2005.
- الزياني أبو القاسم: الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور براً وبحراً، تح: عبد الكريم الفيلالي، دار نشر المعرفة، الرباط، 1991.

- أبو زيتحار محمد احمد: لطائف البيان في رسم القرآن شرح مورد الظمآن، ط2، مطبعة محمد على صبح وأولاده، مصر، (د.ت).
- السباعي مصطفى: من روائع حضارتنا، ط 01، دار الوراق، السعودية، 1999م.
- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج01، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998.
- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان 1998م.
- سعد الله أبو القاسم: مجموع رحلات (رحلة الأغواطي الحاج ابن الدين)، جمع وتحقيق المؤلف، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011.
- السعدي عبد الرحمن: تاريخ السودان، تح: هوداس، مكتبة امريكا والشرق، باريس، 1981.
- سعيدوني ناصر الدين: من التراث التاريخي والجغرافي للمغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1999م.
- السلاوي أحمد بن خالد الناصري: الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج3، القاهرة 1304هـ.
- أبو سهل الهروي محمد بن علي بن محمد: إسفار الفصيح المؤلف، تح: أحمد بن سعيد بن محمد قشاش، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط1، 1420هـ.
- سويد محمد نور بن عبد الحفيظ: منهج التربية النبوية للطفل، دار طيبة، مكة المكرمة، ط3، 2000.
- سيدي عمر محمد عبد العزيز: قطف الزهرات من أخبار علماء توات، دار هومة، الجزائر، 2002.
- السيوطى جلال الدين: الإتقان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، دار إحياء الكتب العربية، بيروت، 1957م.
- السيوطي جلال الدين محمد بن أحمد المحلي وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر: تفسير الجلالين، ط1. دار الحديث، القاهرة، 2001م.

- شحاته عيسى علي: الدراسات اللغوية للقرآن الكريم في أوائل القرن الثالث الهجري، دار قباء القاهرة، 2001.
- شقرون محمد: الإسلام الأسود، دار الطليعة، بيروت، ط1، 2007.
- الشكعه مصطفى: مناهج التأليف عند العلماء العرب، دار العلم للملايين، ط5، 2004م.
- الصاحبي أحمد ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، القاهرة، (د.ت)،
- الصادق حسن: أضواء على الثقافة العربية في افريقيا في العصر الحديث، منشورات معهد الدراسات الإفريقية- المغرب، 2012.
- الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك: الوافي بالوفيات، تح: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، ط1، دار إحياء التراث، بيروت، 2000.
- الصقلي محمد بن أبي محمد بن ظفر المكي: أنباء نجباء الأبناء، تح: لجنة إحياء التراث العربي، ط1، دار الآفاق الجديدة، 1980.
- الطاهري الشيخ مولاي أحمد الإدريسي الحسني: الدُّر المنظوم في شرح نظم مقدمة ابن آجروم، (د.ت).
- الطاهري الشيخ مولاي أحمد الادريسي الحسني: فتوحات الإله المالك على النظم المسمى بأسهل المسالك، المطبعة العلاوية، مستغانم، 1994.
- طبقات المفسرين، تح: لجنة من العلماء، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1983.
- الطيب محمد سليمان: موسوعة القبائل العربية- بحوث ميدانية وتاريخية، ط2، دار الفكر العربي، 1997.
- العربي اسماعيل: الصحراء الكبرى وشواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
- العروسي عبد العزيز العيادي: الأنصاص القرآنية رواية ورش بالسند المتصل، ط05، ج01، 1427هـ /2006م.
- عمر أحمد مختار: البحث اللغوي عند العرب مع دراسة لقضية التأثير والتأثر، ط06، عالم الكتب، القاهرة، 1988.

- العمراني عبد الغني محمد إسماعيل: أصول التربية، ط2، دار الكتاب الجامعي، صنعاء، 2014.
- عمورة عمار: موجز في تاريخ الجزائر، ط01، دار ريحانة، الجزائر، 2002.
- عويد محمد الساير ومحمود شاكر ساجت: ما تبقى من أدب العميان في الاندلس، دار الكتب العلمية، لبنان، 2013.
- العياشي عبد الله بن محمد أبو سالم: الرحلة العياشية (ماء الموائد)، تح: سعيد الفاضلي و سليمان القرشي، ط01، دار السويدي، الإمارات، 2006.
- أبو عيانة فتحي محمد: جغرافية السكان أسس وتطبيقات، ط4، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1993.
- الغرناطي أبو حيان: تفسير البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
- الغنيمان حسان بن عبد الله بن محمد: المنظومات النحوية وأثرها في تعليم النحو، كلية المعلمين، الرياض، (د.ت).
- الفراهيدي الخليل بن أحمد: كتاب العين، تح: عبد الحميد هنداوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2003.
- فرج محمود فرج: إقليم توات خلال القرنين 18و19م، ديوان المطبوعات الجامعية والمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1977.
- ابن فرحون ابراهيم بن علي بن محمد: الديباج المذهب في معرفة علماء أعيان المذهب، تح: محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للطبع والنشر، القاهرة، (د.ت).
- الفشتالي عبد العزيز: مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا، تح: عبد الكريم كريم، وزارة الأوقاف، المغرب،1972.
- فياض عبد الله: الإجازات العلمية عند المسلمين، ط1، مطبعة الإرشاد، بغداد، 1967م.
- قدي عبد المجيد: صفحات مشرقة من تاريخ مدينة أولف العريقة، د.د.ن، الجزائر، (د.ت).
- القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، تح: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج1، ط1، 2006.

- قصباوي عبد الخالق: المنهج التعليمي للمدارس والزوايا الدينية بحاضرة توات، أعمال الملتقى الدولي: الوسطية في الغرب الإسلامي وأثرها في نشر الإسلام في إفريقيا وأوروبا، جامعة الوادي، الجزائر، ديسمبر 2017.
- القنوجي صديق بن حسين: فتح البيان في مقاصد القرآن، مراجعة: عبد الله بن ابراهيم الانصاري، المكتبة العصرية، بيروت، 1996.
- قويدر بشار وحساني مختار: مخطوطات ولاية أدرار، المركز الوطني للبحوث في عصور ما قبل التاريخ وعلم الإنسان والتاريخ، 1999.
- القيسي محمد بن عبد المالك المنتوري: شرح الدرر اللوامع في أصل مقرأ الامام نافع، تح: الصديقي سيدي فوزي، د.د.ن، ط1، 2001.
- الكتاني عبد الحي: تاريخ المكتبات الإسلامية ومن ألَّفَ في الكتب، تعليق وضبط: أحمد شوقي بنبين و عبد القادر سعود، ط2، المكتبة الحسنية، الرباط ،2005.
- الكتاني يوسف: مدرسة الإمام البخاري في المغرب، ج1، دار لسان العرب، بيروت، (د.ت).
- كحالة عمر رضا: معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية، ط1، مؤسسة الرسالة، 1993.
- كروم عبد الله: الرحلات بإقليم توات؛ دراسة تاريخية وأدبية للرحلات المخطوط بخزائن توات، دار دحلب، الجزائر، 2007م.
- المارغيني إبراهيم: النجوم الطوالع على الدُّرر اللوامع في أصل مقرأ الإمام نافع، دار الفكر، بيروت، (د.ط)، 1995م.
- متز آدم: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، تر: محمد عبد الهادي أبو ريدة، ج1، المركز القومي للترجمة، القاهرة، 2008.
- المحلَّى جلال الدين: تفسير الجلالين، تح: فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان ناشرون، ط1، 2003.
- مخلوف محمد بن محمد: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المطبعة السلفية، القاهرة، 1349هـ.

- مرسي محمد منير: التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية، ط2، دار عالم الكتب، 1425هـ-2005م.
- المريني نجاة: شعر عبد العزيز الفشتالي، مكتبة المعارف- الرباط، 1986م.
- المغيلي محمد بن عبد الكريم: مصباح الأرواح، تح: رابح بونار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر، 1968.
- مقدسي جورج: نشأة الكليات (معاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب)، تر: محمود سيد محمد، ط 01، مدارات للأبحاث والنشر، مصر، 2015.
- مقدم مبروك مقدم: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني ودوره في تأسيس الإمارة الإسلامية بإفريقيا الغربية، ط01، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران،2006.
- مقدم مبروك مقدم: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي من خلال المصادر والوثائق التاريخية، ط01، مؤسّسة الجزائر كتاب للطباعة والنشر والتوزيع، تلمسان- الجزائر، 1422هـ/2002م.
- المقّري أحمد بن محمد التلمساني: روضة الآس العاطر الأنفاس في ذكر من لقيته من أعلام الحضرتين مراكش وفاس، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1983.
- المقّري أحمد بن محمد التلمساني: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إ عباس، دار صادر، 1388- 1968م.
- المقريزي تقي الدين أحمد بن علي: الذهب لمسبوك في ذكر من حج من الخلفاء والملوك، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2000.
- مقلاتي عبد الله و رموم محفوظ: دور منطقة توات الجزائرية في نشر الاسلام والثقافة العربية بإفريقيا الغربية، دار الشروق، 2009.
- المنتدى الإسلامي: المدارس القرآنية والكتاتيب وقفات تربوية، مؤسّسة المنتدى الإسلامي، 1986م.
- ابن منظور جمال الدين: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1414هـ.
- مؤنس حسن: المساجد، سلسلة كتب عالم المعرفة، الكويت، ع37، 1981م.
- ميقا أبوبكر: الرحلة العلمية والثقافية والاصلاحية في السودان الغربي، مكتبة التوبة، المملكة العربية السعودية، 1997م.

- مينورسكي م.ج.: الجغرافيون الرحالة المسلمون، تر: عبد الرحمن حميده، الجمعية الجغرافية الكويتية، يناير 1985م.
- نبهان كمال عرفا: عبقرية التأليف العربي، ط01، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، 2015م.
- نسيب محمد: زوايا العلم والقرآن بالجزائر، دار الفكر، الجزائر، 1989م.
- نصار حسين: أدب الرحلة، دار نوبار للطباعة, مصر, 1991م.
- النويري شهاب الدين أحمد عبد الوهاب: نهاية الأرب في فنون الأدب، تح: نجيب فوار وحكمت فوار، ج30، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2004.
- نويهض عادل: معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام إلى العصر الحاضر، ط2، مؤسسة نويهض، بيروت، لبنان، 1980م.
- الوزان الفاسي الحسن بن محمد (ليون الافريقي): وصف افريقيا، تر: محمد حجي و محمد الاخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م.
- الونشريسي أحمد بن يحي: كتاب الولايات ومناصب الحكومة الإسلامية والخطط الشرعية، نشر وتعليق: محمد الأمين بلغيث، مؤسسة لافوميك للنشر والتوزيع، الجزائر 1985م.
- اليعقوبي: البلدان، تح: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، (د.ت).
- يوسف نواب عواطف: الرحلات المغربية والأندلسية، مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين 07 و08 الهجريين، دراسة تحليلية مقارنة، مكتبة الملك فهد الوطنية، السعودية، 1996م.
- Martin, Alfred-Georges-Paul, Quatre Siècles d'Histoire Marocaine, au Sahara de 1504 à 1902, au Maroc de 1894 à 1912, Paris1923.
- Martin, Alfred-Georges-Paul, Les Oasis Sahariennes: (Gourara-Touat-Tidikelt), Alger, 1908. .

ثالثا: المذكرات والرسائل والأطاريح الجامعية:

- بعثمان عبد الرحمن: فهرسة عبد الرحمن بن عمرالتنلاني تحقيق ودراسة، مذكرة لنيل الماجستير في التاريخ الحديث، كلية الآداب واللغات والعلوم الإنسانية، جامعة بشار، السنة الجامعية: 2008-2009.
- بقادر عبد القادر: ألفية الغريب نظم الزجلوي المعروف بابن العالم (ت.1212هـ)؛ دراسة وتحقيق، مذكرة ماجستير، جامعة أحمد دراية بأدرار، السنة الجامعية: 2008-2009.
- بقادر عبد القادر: جهود علماء توات في الدّرس اللغوي من خلال الشروح (دراسة وصفية تحليلية)"، أطروحة دكتوراه في اللغة العربية، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر بباتنة، السنة الجامعية: 2013-2014.
- بكراوي محمد عبد الحق: المنهج الفقهي عند الشيخ سيدي محمد بن الكبير، أطروحة دكتوراه في العلوم الإسلامية، تخصّص: الفقه والأصول، جامعة الحاج لخضر باتنة1، السنة الجامعية: 2016-2017.
- بلعالم عبد السّلام الأسمر: الحياة الفقهية في توات، خلال القرنين 10 و13هـ، رسالة دكتوراه في العلوم الإسلامية، تخصّص: فقه وأصوله، جامعة الحاج لخضر باتنة1، الجزائر، السنة الجامعية: 2015-2016.
- بوسعيد أحمد: ركب الحج الجزائري في العهد العثماني دراسةٌ تاريخيةٌ من خلالِ الرِّحلات الحجازية، أطروحة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أدرار، السنة الجامعية: 2017-2018.
- بوسَليم صالح: المؤسّسات الثقافية بإقليم توات؛ دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية أثناء القرنين 12و13هـ/18و19، أطروحة مقدّمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة سيدي بلعباس، السنة الجامعية:2007-2008.
- جعفري مبارك: الحياة العلمية في إقليم توات وانعكاساتها على جنوب الصحراء خلال القرن الثامن عشر الميلادي، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، السنة الجامعية:2008- 2009.

- حاج أحمد الصديق: الدراسات اللغوية بتوات من بداية القرن 12هـ إلى نهاية القرن 14هـ، مذكرة ماجستير في تحقيق مخطوطات في اللغة وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، السنة الجامعية:2012-2013.
- حاج أحمد حسان: غنية المقتصد السائل فيما وقع في توات من القضايا والمسائل "المقدمة وباب الجامع" للشيخ محمد عبد العزيز البلبالي (ت.1261هـ)، رسالة ماجستير، جامعة أدرار، السنة الجامعية: 2014-2015.
- الحمدي أحمد: محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد النهضة الفكرية بتوات: عصره وآثاره(870-909هـ)، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، السنة الجامعية: 1999-2000.
- خليل كمال: المدارس الشرعية الثلاث في الجزائر؛ التأسيس والتطور (1850-1951)، مذكرة ماجستير في التاريخ، جامعة الإخوة منتوري بقسنطينة، السنة الجامعية: 2007-2008.
- خير الله فاطيمة: المنهج التعليمي عند الشيخ محمد باي بلعالم من خلال نماذج من كتبه، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه LMD في اللغة والأدب العربي، تخصّص: تعليمية اللغة العربية، قسم اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة أدرار، السنة الجامعية 2019-2020.
- سالمي زينب: الحركة العلمية في إقليم توات خلال القرون 08-10هـ، مذكرة مقدّمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب الإسلامي، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة تلمسان، السنة الجامعية: 2011-2021.
- سالمي كريمة: الأسرة البلبالية واسهاماتها العلمية في منطقة توات خلال القرنين 19 و20م: أطروحة دكتوراه، جامعة ادرار، 2020.

- سعيدي خير الدين: نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات ومن دفن فيها من الاولياء والصالحين والعلماء العاملين الثقات؛ دراسة وتحقيق، مذكرة ماجستير، جامعة قالمة، 2013/2012.
- – سويسي بن سويسي محمد: العمارة الدينية الإسلامية في منطقة توات تمنطيط نموذجا من القرن 6هـ إلى 13هـ/12م دراسة تاريخية وأثرية ومعمارية وعمرانية، ماجستير، معهد الآثار الإسلامية، جامعة الجزائر2، الآثار، جامعة الجزائر2، 2009.
- طموز عبد الكريم: فهرسة شيوخ الشيخ سيدي عمر بن الحاج عبد القادر التنلاني التواتي(1152هـ/1739م)، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري- قسنطينة، السنة الجامعية: 2010-2009.
- عبد الله عثمان عبد الرحمن سلطان: جهود المنتجب الهمذاني اللغوية من خلال كتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد، أطروحة دكتوراه، جامعة أم القرى، السعودية، 2000.
- عماري محمد: محمّد بن أُبّ المزّمري الجزائري التّواتي وجُهوده في النّحو، مذكرة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، تخصّص النحو العربي مدارسه ونظرياته، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة ورقلة، السنة الجامعية:2009-2010.
- غربي بغداد: العلاقات التجارية للدولة الموحدية، رسالة دكتوراه لنيل شهادة دكتوراه علوم في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران01، السنة الجامعية: 2014-2015.
- مزايني امحمد: الذخائر الكنزية في حل ألفاظ الهمزية لمحمد بن أُبّ المزّمري(ت.1160هـ)؛ تحقيق ودراسة، مذكرة ماجستير في الدراسات اللغوية والنحوية في العصر التركي، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف، السنة الجامعية: 2007-2008.

رابعا: المجلات والدوريات العلمية:

- بابا عبد الله: التواصل العلمي بين حاضرة توات والحواضر الجزائرية من القرن 10-12هـ/ 16-19م، مجلة رفوف، مج11، ع01، جامعة أدرار، جانفي2023.

- بايلك عبد الله، الصديق حاج أحمد: قراءة حول مخطوط تفريج الغموم على متن ابن آجروم للشيخ محمد حسن القبلاوي، مجلة آفاق علمية، مج:13، ع:04، جامعة تامنغست، 2021.
- بقادر عبد القادر: علماء توات وإسهاماتهم في حفظ التراث النحوي محمد باي بلعالم أنموذجا، مجلة الذاكرة ، مج 04، ع02، جامعة ورقلة، ماي 2016.
- بقادر عبد القادر: جهود علماء توات في الدّرس اللغوي خلال القرنين 12و13هـ (دراسة في الأنماط والأشكال)، مجلة الأثر، ع:19، جامعة ورقلة، 2014.
- بكراوي محمد عبد الحق وبكراوي محمد المهدي: الزاوية البكرية أعلام ومخطوطات الشيخ سيدي البكري بن عبد الرحمن أنموذجاً، مجلة رفوف، جامعة أدرار، ع02، 2013.
- بكراوي محمد عبد الحق: دور الزوايا البكرية التواتية في المحافظة على الهوية الوطنية الجزائرية، مجلة الحقيقة، ع25، جامعة أدرار، الجزائر.
- بلعالم محمد باي: الجذور التاريخية لرواية ورش في بلاد المغرب الجزائر نموذجا، مجلة رسالة المسجد، س5، ع1، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر 2007.
- بودفلة فتحي وقواسم أحمد: مظاهر توحيد مقررات علم القراءات في التراث العلمي الجزائري من القرن السادس الهجري الى غاية الاستقلال، مجلة رسالة المسجد، س04، ع04، 2016.
- بن خويا ادريس: خزانة الشيخ سيدي مولاي سليمان بن علي بأدرار ودورها في الحفاظ على المخطوطات، مجلة الذاكرة، مج 02، ع02، جامعة ورقلة، ديسمبر 2014.
- بن سعد محمد السعيد: الكتاتيب والزوايا والحلل بالجنوب الجزائري، مجلة الناصرية، مج2، ع1، جامعة معسكر، 2012.
- بن شيخ عباس وبولخراص كريمة: زاوية الشيخ سيدي أبي نعامة الكنتي بمنطقة تيديكلت جنوب الجزائر ودورها الثقافي والاجتماعي خلال القرنين 13-14هـ/19-20م، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، مج14، ع2، جامعة غرداية، نوفمبر 2021.

- بن عبو محمد: جُمَانَةُ القرّاء أرجوزة في الرّسم القرآنيّ، من نظم الحاج عبد الرّحمن حفصي؛ (دراسة وصفيّة)، مجلة الذاكرة، مج06، ع02، مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، جامعة ورقلة، جوان 2018.
- بن عبو محمد: متنان نحويان من منطقة تيديكلت: (تعريف وموازنة)، مجلة الذاكرة، مج04، ع02، مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، جامعة ورقلة، ماي 2016.
- بن قومار جلول: هاجس الأمن عند ركب الحجاج المغاربة من خلال الرحلات الحجية(ق17م-ق18م)، مجلة الحوار المتوسطي، مج 08، ع02، جامعة سيدي بلعباس، ديسمبر 2017، ص ص 11-23.
- بن ناصر خلفان: مبادئ التعليم في الكتاتيب بسلطنة عمان في ضوء الفكر التربوي الإسلامي، مجلة العلوم التربوية، ع2، 2015.
- بناهض عبد الكريم: التواصل الحضاري بين المشرق والمغرب العربي من خلال الرحلة العياشية (ماء الموائد)، في مجلة الذاكرة، ع10، مخبر التراث اللغوي والأدبي في الجنوب الشرقي الجزائري، جانفي 2018م.
- بوسعد الطيب: تربية وتعليم الصبيان في المغرب الإسلامي في فترة العصور الوسطى من خلال كتب التربية والتعليم، المجلة الجزائرية للطفولة والتربية، ع 11، 2016.
- بوسَليم صالح: أضواء على مراكز المخطوطات في الجنوب الجزائري؛ الواقع والآفاق، مجلة حوليات التراث، ع15، جامعة مستغانم، 2015.
- بوسَليم صالح: الحياة العلمية والثقافية في منطقة توات بالجزائر خلال القرنين 18-19م: مصادرها وبعض مظاهرها، المجلة التاريخية المغاربية، السنة الخامسة والثلاثون، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، ع131، تونس 2008م.
- بوسَليم صالح: مؤسّسة الزوايا باقليم توات خلال القرنين 12-13هـ/18-19م؛ بين الاشعاع العلمي والانتشار الصوفي، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع9، جامعة غرداية، جوان 2010.
- بوعزيز يحي: طرق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الأوربيون خلال القرن التاسع عشر، مجلة الثقافة، ع59، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1980.

- جعفري أحمد: العمارة الإسلامية في أقاليم توات (تاريخها، ونمط أشكالها، هندستها ومواد بنائها، مبادئها وأبعادها القِيَمِيَّة)، مجلة التراث، هيئة أبو ظبي للثقافة والإعلام، الإمارات العربية، ع 115، 2009.
- حاج أحمد الصديق: العلاقات الثقافية بين توات والحواضر المجاورة، مجلة الحقوق والعلوم السياسية، مج 02، ع02، جامعة الجلفة، جانفي 2009.
- حاج أحمد الصديق: الكتاتيب القرآنية بتوات (ولاية أدرار) ودورها في احتضان الدرس اللغوي، مجلة الحقوق والعلوم الانسانية، مج 03، ع01، جامعة الجلفة، جانفي 2010.
- حاج قويدر العيد، مصطفى حاج قويدر: الأنصاص القرآنية المتداولة في الكتاتيب والزوايا التواتية، ودورها في الحفاظ على الرسم العثماني، مجلة الاستيعاب، مج05، ع01، جامعة أبو بكر بلقايد – تلمسان، جانفي 2023.
- حامد لمين إبراهيم: الأسَر العلمية وأعلامها في منطقة آولف (ولاية أدرار) خلال القرن 13هـ/19م، مجلة روافد للبحوث والدراسات، مخبر الجنوب الجزائري للبحث في التاريخ والحضارة الإسلامية، ع 03، جامعة غرداية 2017.
- حينوني رمضان: معاملة الأجنبي بمنطقة الساورة في القرن 19(قراءة في مذكرات الرحالة الألماني غيرهارد رولف)، مجلة جيل العلوم الانسانية والاجتماعية، مركز جيل البحث، جامعة تمنراست، ع 42، 2018.
- خنفر يوسف: منهجية التأليف الصرفي عند الشيخ أبي عبد الله محمد التواتي (ت.1031هـ)، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، مج12، ع02، جامعة غرداية، ديسمبر 2019.
- زواوي أحمد: أثر القرآن الكريم في نشأة الدّرس البلاغي وتطوره، مجلة المنهل، مج 04، ع 01، جامعة الوادي،2018.
- ساقني عبد الجليل وساقني محمد: مناهج وآليات التعليم بالمدارس القرآنية بتيديكلت، مجلة آفاق علمية، المركز الجامعي تمنراست، مج 10، ع 03، 2018.
- السلمي عبد الله بن عويقل: المتون والشروح والحواشي والتقريرات في التأليف النحوي، مجلة الأحمدية، ع4، 1420هـ.

- السلوقي الهادي محمد: أعلام المخطوطات الجزائرية بليبيا" دراسة وصفية"، مجلة رفوف، مج01، ع01، جامعة أدرار، جوان 2013.
- شـاري دليلة: الطرق الميسـرة في تدريس اللغة العربية في الكتاتيب القرآنية في توات،مجلة الباحث في العلوم الإنســـانية والاجتماعية، مج11، ع04، جامعة ورقلة، ديســـمبر 2019.
- شاغة عيسى: منحة الأتراب" للشيخ محمد باي بلعالم التواتي" قراءة في منهج الشرح، مجلة مقامات للدراسات اللسانية والأدبية والنقدية، مج 05، ع01، جوان 2021.
- شاغة عيسى: أهمية المتون النحوية في البرنامج التعليمي للزوايا الجزائرية، مجلة العمدة العلمية الدولية في اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، ع1، ماي 2017.
- شوشة شريفة: دور علم الصرف ومكانته ومعالم التكامل بينه وبين العلوم الأخرى، أعمال الملتقى الدولي الصرف العربي في الفكر اللساني الحديث جامعة تيزي وزو، مخبر الممارسات اللغوية في الجزائر،2021.
- صـــلاح الـدين وانس: المـدارس القرآنيـة ودورهـا في الحفـاظ على الهويـة الوطنيـة، مجلـة الدراسات والبحوث الاجتماعية، ع: 05، جامعة الوادي،2014.
- طاهري عبد المالك، بوسعيد أحمد: الرحالة والمستكشفون الفرنسيون في توات خلال القرن التاسع عشر ودورهم في احتلال المنطقة، مجلة عصور الجديدة، مج10، ع04، جامعة وهران، ديسمبر 2020.
- عباس عبد الله: التأثيرات الحضارية لإقليم توات في بلاد السودان الغربي خلال العصر الوسيط، مجلة الحقيقة، مج 14، ع03، جامعة أدرار، سبتمبر 2015.
- عثماني عبد القادر: الزوايا والتعليم القرآني والديني بها، مجلة الدراسات الإسلامية، المجلس الإسلامي الأعلى، ع2، الجزائر، 2002.
- عماري عبد الله: إسهام منطقة توات في الدّرس النحوي، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مج01، ع01، المركز الجامعي تامنغست، ديسمبر،2012.
- عماري عبد الله: اهتمام علماء توات بتراث ابن آجروم الصنهاجي المغربي، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مج 04، ع01، المركز الجامعي تامنغست، ماي 2015.

- عماري عبد الله: اهتمام علماء توات بتراث ابن آجروم الصنهاجي المغربي، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، مج 04، ع01، المركز الجامعي تامنغست، ماي 2015.
- عوفي عبد الكريم: مراكز المخطوطات في الجنوب الجزائري؛ إقليم توات نموذجاً، مجلة آفاق الثقافة والتراث، ع34، مركز جمعة الماجد، دبي، 2001م.
- عومري عبد الحميد: التعليم الابتدائي في الجزائر بين المدرسة الفرنسية والكتاتيب القرآنية، مج02، ع05، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة الوادي، نوفمبر 2016.
- غانم عماد الدين: الرحالة الألماني رولفس وليبيا، مجلة البحوث التاريخية، ليبيا، مج1، ع1، 1979.
- قبايلي حميد: نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، دراسة في الأسس والمنطلقات، مجلة الأثر، العدد 29، جامعة ورقلة، ديسمبر 2017.
- قصباوي عبد الخالق: تفسير القرآن في المخطوطات الجزائرية من ق10 إلى 12هـــ إقليم توات نموذجا، مجلة مجلة الحضارة الإسلامية، مج 16، ع27.
- قصباوي عبد القادر: دراسة وصفية لخزانة الشيخ سيدي عبد الرحمن بن أمحمد الأنزجميري، مجلة رفوف، عدد 03، جامعة أدرار، ديسمبر 2013.
- محمدي محمد: المساجد والزوايا ببجاية ودورها في حفظ الدين والفكر الصوفي، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، ع13، 2013.
- مدني فضل محمد: الأبعاد الحضارية للغة العربية في الممالك الإسلامية التشادية، مجلة دراسات إفريقية، ع37.
- مدياني مصطفى: عناية علماء توات بعلمي التجويد والقراءات من القرن 11هـ إلى القرن 14هـ، مج11، ع01، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية،2018.
- مسعود العيد: حركة التعليم في الجزائر في العهد العثماني، في مجلة سرتا، ع3، السنة الثانية، قسنطينة، ماي1980.
- ميغا هارون المهدي: من هم الذين يسمون محمود كعت ومن منهم مؤلف "تاريخ الفتاش"، مجلة دراسات إفريقية، ع:24، 2015.

- نعمان محمد المختار: قراءة في مخطوط: بلوغ غاية المقدم على وقاية المتعلم من اللحن المثلّم، للشـــيخ: محمد بن بادي الكنتي (1388هـــــ)، مجلة آفاق علمية، مجلد:11 العدد:03، المركز الجامعي تامنغست، جويلية 2019.

خامسا: المواقع الإلكترونية

- موقع ميراث توات، للأستاذ الباحث جعفري أحمد، جامعة أدرار، الرابط الإلكتروني:

https://adjaafri.univ-adrar.edu.dz/index.php.

- البوابة الجزائرية للمخطوطات، لرابط الإلكتروني:https://pam.univ-adrar.edu.dz /

فهرس المحتويـــــــات

شكر وعرفان .....

إهداء.....

مقدمة: **05**

الفصل التمهيدي: الإطار الجغرافي والامتداد التاريخي لإقليم توات **23**

المبحث الأول: أصل تسمية توات وموقعها الجغرافي **24**

المطلب الأول: توات؛ المصطلح، المعنى والاصول..... **24**

المطلب الثاني: موقع إقليم توات..... **28**

المطلب الثالث: الخصائص الجغرافية لإقليم توات..... **29**

المبحث الثاني: الامتداد التاريخي لمنطقة توات **33**

المطلب الأول: قصور توات **34**

المطلب الثاني: منطقة توات بعد دخول الإسلام **36**

المبحث الثالث: منطقة توات في بعض كتابات الرحالة المسلمين والاجانب **41**

الفصل الأول: لمحـــة عن الحركة العلمية بتوات قبل القرن الثاني عشر للهجرة **48**

المبحث الأول: بوادر الحركة العلمية والثقافية في توات. **49**

المطلب الأول: توافد العلماء إلى إقليم توات: **52**

المطلب الثاني: العوامل التي أسهمت في جذب توات للعلماء: **55**

أ- وقوعها في طريق الحج: **55**

ب – طبيعتها وبساطتها المواتية للسكن: **56**

ج – احتفاء أهل توات بالعلماء: **58**

د – السعي إلى الالتقاء بعلماء توات ومدارستهم: **59**

المطلب الثالث: العلماء الذين زاروا منطقة توات. **59**

أ) – سيدي سليمان بن علي بن عمر الحسني **60**

ب)- أبو يحي المنياري **60**

ج)- يحي بن يدير التدلسي 61
د)- الشيخ ميمون بن عمرو بن الباز 61
هـ)- الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني 61
و)- عبد الله ابن أبي بكر العصنوني 63
ز)- سالم بن محمد أبي بكر العصنوني 63
ح)- عمرو بن محمد بن عمرو الباز الأمريني التمنطيطي 63
المطلب الرابع: أهم الرحلات في الفترة مجال الدراسة 65
1-رحلة عبد القادر بن عمر التنيلاني 65
2-رحلات عبد الرحمان بن عمر التنيلاني 65
3-رحلة ضيف الله بن محمد بن أب 66
4-رحلة مولاي أحمد بن هاشم العموري 67
5-رحلة عبد الله بن أحمد الفلاني 67
6-رحلة عبد الرحمان بن إدريس التنيلاني 68
7-رحلة لمؤلف مجهول 69
8- الرحلة الشوقية 70
المطلب الخامس: رحلات علماء توات إلى الحواضر العلمية المجاورة 72
أ- الشيخ أبي المكارم عبد الكريم بن أحمد التزدايني الجراري 74
ب- الشيخ عبد الكريم بن امحمد بن أبي محمد التواتي 74
ج- سيدي محمد البكري بن عبد الكريم 74
د- عمر ابن أحمد البكاي 75
هـ- الشيخ محمد بن اسماعيل القراري 75
و- الشيخ الحاج بلقاسم بن الحسين بن عمر الأوسيفي 75
ز- الشيخ سيدي عمر بن الحاج عبد القادر التنلاني التواتي 76
ح- الشيخ محمد بن أُبَّ المزّمري 77
ط- الشيخ أبو زيد عبد الرحمن بن ابراهيم بن عبد الرحمن الجنتوري 77

ي- الشيخ عبد الرحمن بن عمر التنلاني التواتي 78
ك- الشيخ سيدي محمد الإداوعلي 78
ل- الشيخ محمد الحسن بن محمد بن الحاج أحمد الفلاني 79
م- الشيخ محمد بن عبد الرحمان الملقب بأبي نعامة 79
ن- أحمد بن عبد الله بن محمد البريشي الحسني القبلاوي الأزوادي 80
س- الشيخ محمد باي بلعالم القبلوي الفلاني 80
المبحث الثاني: خزائن المخطوطات ودورها العلمي بإقليم توات 82
المطلب الأول: اهتمام علماء توات بالكتب وإنشاء المكتبات(الخزائن) 82
المطلب الثاني: خزائن المخطوطات بتوات 84
المطلب الثالث: حركة التأليف من قبل علماء توات 89
-الشيخ سيدي محمد بن عبد الكريم المغيلي 91
-الشيخ سيدي عبد الكريم بن أمحمد 92
-الشيخ سيدي علي بن حنيني 93
-الشيخ سيدي ضيف الله بن محمد بن أبّ المزّمّري 93
-الشيخ الحاج أبو محمد بن أحمد التملصوحي 94
-الشيخ سيدي الحاج بلقاسم بن الحسين القوراري 95
الفصل الثاني: المسار التعليمي للدّرس اللغوي والقرآني في المؤسّسات التعليمية بتوات من ق12هـ ال ق14هـ 97
المبحث الأول: الدّرس اللغوي والقرآني بالكتاتيب بإقليم توات 98
المطلب الأول: تعريف الكتاتيب وتاريخها 99
المطلب الثاني: مميزات الدّراسة بالكتاتيب 108
المطلب الثالث: دور الكتاتيب في التأسيس للدرس اللغوي والقرآني 112
1-أساليب التعليم في الكتاتيب القرآنية 113
2- **المقررات الدراسية المؤسِّسة للدّرس اللغوي والقرآني** 115
أ-مرحلة تعليم الحروف من الألف إلى الياء 115

ب– مرحلة تعلّم الكلمات والرسم القرآني **116**
المبحث الثاني: المدارس القرآنية وجهود علماء توات التعليمية اللغوية والقرآنية **120**
المطلب الأول: دور المساجد والمدارس في التعليم القرآني **120**
– تاريخانية دور المسجد **121**
المطلب الثاني: تعريف المدرسة القرآنية وتاريخانيتها بتوات **123**
المطلب الثالث: المدارس القرآنية ودورها التعليمي والاجتماعي في منطقة توات **127**
المطلب الرابع: الدّرس اللغوي والقرآني بالمدارس القرآنية عند علماء توات **130**
1–في مجال الدّرس القرآني **132**
2–في مجال الدّرس اللغوي **135**
المبحث الثالث: روافد الدّرس اللغوي والقرآني التعليمي بزوايا منطقة توات .. **140**
المطلب الأول: الزوايا بمنطقة توات؛ النشأة والانتشار **141**
أ–تعريف الزوايا وأنواعها..... **141**
ب–نشأة الزوايا بتوت وانتشارها..... **143**
ج–أنواع الزوايا **145**
المطلب الثاني: خصوصيات الزوايا التعليمية ومناهجها الدراسية **150**
1–مواد التدريس ومقرراته **151**
2–الهيكل التنظيمي للزوايا العلمية بتوات **155**
3– تموقع الزوايا العلمية بتوات..... **157**
4– الوسائل والمناهج والمقررات التعليمية لزوايا العلم **158**
أ–الوسائل التعليمية **159**
ب– المناهج المتّبعة في التدريس **160**
– التعلّم في حلقات جماعية **160**
– إعتماد المتون العليمة في التدريس **162**
– اعتماد طريقة التلقين **163**
– نظام الاجازات العلمية **164**

المطلب الثالث: الدّرس اللغوي والقرآني في زوايا منطقة توات 167
1- المواد التعليمية المعتمدة في التدريس 167
أ- علوم القرآن الكريم 168
ب- علوم اللغة والنحو 170
الفصل الثالث: الدّرس اللغوي والقرآني عند علماء توات من ق12هـ إلى ق14هـ.... 173
المبحث الأول: الدّرس اللغوي عند علماء توات من ق12هـ ق14هـ 175
المطلب الأول: منطلقات الدّرس اللغوي وتطوره..... 176
أولا: أثر القرآن في نشأة الدّرس اللغوي..... 176
ثانيا: نشأة الدّرس اللغوي بتوات وتطوره..... 179
المطلب الثاني: محاور التأليف في الدّرس اللغوي وأعلامه عند علماء توات 181
أولا: التأليف في النحو..... 183
أ- المنظومات النحوية 184
ب- الشروح والمختصرات النحوية 190
ج- الحواشي والتعليقات النحوية 198
د- التآليف النحوية 199
ثانيا: التأليف في الصرف..... 202
ثالثا: التأليف في البلاغة..... 203
المبحث الثاني: الدّرس القرآني عند علماء توات من ق12هـ الى ق14هـ ... 207
المطلب الأول: التجويد والقراءات والرسم؛ اعلامها ومقرراتها 207
أولا: عناية علماء توات بالرسم والتجويد والقراءات..... 208
ثانيا: من الأعلام الذين عرفوا بالتجويد والقراءات بين ق12 و14هـ..... 211
ثالثا: ا المقرّرات الدراسية (الكتب المعتمدة في القراءات والتجويد) 218
المطلب الثاني: التفسير وعلوم القرآن 226
أولا: اهتمام علماء توات بالتفسير والعلوم المساعدة عليه 228
ثانيا: مجالس التفسير عند علماء توات 233

ثالثا: المؤلفات المقررة في التفسير عند علماء توات..... 238
رابعا: مؤلفات علماء توات في التفسير..... 244
الخاتمة 250
الملاحق 257
فهرس الآيات والأحاديث 272
فهرس الأعلام والأماكن 275
ثبت المصادر والمراجع 290
فهرس المحتويات 315
الملخص 222

عنوان الأطروحة:

جُهود علماء منطقة توات في الدّرس اللّغوي والقرآني

من القرن الثاني عشر حتى القرن الرابع عشر للهجرة

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز جهود علماء منطقة توات في الدّرس اللغوي والقرآني من القرن الثاني عشر حتى القرن الرابع عشر للهجرة، مع التعريف بإسهاماتهم في مجال حفظ التراث اللغوي من جهة، وجهودهم في خدمة علوم القرآن من جهة ثانية.

وقد تناولت الدراسة تلك الجهود العلمية؛ فيما أبدعوا من منظومات نحوية وصرفية وشروح ومتون...الخ. مع الإشارة إلى أن البعض من تلك الجهود تمّ دراسته وتحقيقه والبعض الآخر لا يزال حبيس رفوف خزائن المخطوطات.

وخلصت الدراسة إلى جملة من النتائج التي تؤكّد ذلك من خلال خلفوا لنا من عديد المنظومات التعليمية والمصنّفات، إضافة إلى مجموعة من القصائد في أغراض شتى.

الكلمات المفتاحية: منطقة توات؛ الدّرس اللغوي؛ الدّرس القرآني؛ علماء توات؛ المنظومات التعليمية.

Les efforts des érudits de la région de Touat dans l'étude linguistique et coranique
Du XIIe siècle au XIVe siècle Hijri

Résumé:

Cette étude vise à mettre en lumière les efforts des savants de la région de Touat dans l'étude linguistique et coranique du XIIe siècle jusqu'au XIVe siècle hijri, avec la définition de leurs apports dans le domaine de la préservation du patrimoine linguistique d'une part. , et leurs efforts au service des sciences du Coran d'autre part.

L'étude portait sur ces efforts scientifiques; Au fur et à mesure qu'ils créaient des systèmes grammaticaux et morphologiques, des explications et des textes...etc. Et dans ce qu'ils ont traité du Coran, l'intonation et l'interprétation ; Enseignement et rédaction, notant que certains de ces efforts ont été étudiés et réalisés, tandis que d'autres sont encore enfermés dans les étagères de manuscrits.

L'étude s'est conclue par un certain nombre de résultats qui le confirment à travers ils nous ont laissé de nombreux systèmes et ouvrages éducatifs, en plus d'un groupe de poèmes à des fins diverses.

Mots-clés : région du Touat ; cours de langue; leçon coranique; érudits touats ; systèmes éducatifs.

.....

The efforts of the scholars of the Touat region in the linguistic and Quranic study
From the twelfth century until the fourteenth century Hijri

Abstract:

This study aims to highlight the efforts of the scholars of the Touat region in the linguistic and Qur’anic study from the twelfth century until the fourteenth century hijri, with the definition of their contributions in the field of preserving the linguistic heritage on the one hand, and their efforts in serving the sciences of the Qur’an on the other hand.

The study dealt with these scientific efforts; As they created grammatical and morphological systems, explanations and texts...etc. And in what they dealt with the Qur’an, intonation and interpretation; Teaching and authorship, noting that some of these efforts have been studied and achieved, while others are still locked up in the shelves of manuscripts.

The study concluded with a number of results that confirm this through they left us many educational systems and works, in addition to a group of poems for various purposes.

Keywords: Touat region; language lesson; Quranic lesson; Touat scholars; educational system

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان–

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم العلوم الإسلامية

جُهُوْدُ عُلَمَاء مَنْطِقَة تَوَات في الدَّرس اللُّغوي والقُرآني

من القرن الثاني عشر حتى القرن الرابع عشر للهجرة

أطروحة مُقدّمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في العلوم الإسلامية

تخصّص: اللّغة والدّراسات القرآنية.

إعداد الطالب:

عبـــــــاس بن شيخ

إشراف الأستاذة الدكتورة:

كريمـــــة بولخراص

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د. ماحي قندوز	أستاذ	جامعة تلمسان	رئيساً
أ.د كريمة بولخراص	أستاذ	جامعة وهران01	مشرفاً ومقرراً
د. بلخير مراد	أستاذ محاضر قسم أ	جامعة تلمسان	عضواً ممتحناً
د. باي بن زيد	أستاذ محاضر قسم أ	جامعة تلمسان	عضواً ممتحناً
أ.د. خيرة سريو حاج	أستاذ	جامعة وهران01	عضواً ممتحناً
أ.د. بوسيف مختارية	أستاذ	جامعة سيدي بلعباس	عضواً ممتحناً

السنة الجامعية: 1444–1445هـ/2022–2023م